#المقاطعة_مستمرة

ALEX NORTH

أليكس نورث

الظلال

رواية

THE SHADOWS

مكتبة عصير الكتب

ترجمة: عهد عاطف

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط!

telegram @soramnqraa

الظلال
THE SHADOWS

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Shadows
- العنوان العربي: الظلال
- طُبِع بواسطة:
MICHAEL JOSEPH an imprint of Penguin
- حُقوق النشر:
Copyright © Alex North, 2020
- الطبعة الأولى: يناير/ 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- ترجمة: عهد عاطف
- تحرير: مصطفى رزق
- تدقيق لغوي: كارم أحمد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 13416/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-287-4

مكتبة
t.me/soramnqraa

ALEX NORTH

مكتبة
t.me/soramnqraa

أليكس نورث

الظلال

رواية

THE SHADOWS

عصير الكتب

ترجمة: عهد عاطف

مقدمة

مكتبة
t.me/soramnqraa

كانت والدتي مَن أخذتني إلى مركز الشرطة!

أراد الضباط أن يقلوني إلى هناك بأنفسهم في المقعد الخلفي بسيارتهم لكنها رفضت، لقد كانت المرة الوحيدة التي أتذكر فيها فقدانها أعصابها، كنت في الخامسة عشرة من عمري واقفًا في المطبخ محاطًا بشرطيين ضخمين. كانت أمي تقف في المدخل، وأتذكر تغيُّر تعابير وجهها عندما أخبروها عن سبب وجودهم هنا وعن الذي أرادوا التحدث معي عنه، في البداية بدا عليها الارتباك مما كانت تسمعه، لكنْ بعد ذلك تحوَّل وجهها أقرب إلى الخوف عندما نظرت إليَّ ورأت كم كنتُ ضائعًا وخائفًا في تلك اللحظة.

ومع أن والدتي كانت امرأة صغيرة، فإن شيئًا ما في شراسة صوتها وقوة وضعها تسبب في تراجع هذين الشرطيين الضخمين عني؛ في طريقي إلى مركز الشرطة جلست في مقعد الراكب إلى جانب والدتي شاعرًا بالخدر، في حين كنا نتبع السيارة التي كانت ترافقنا خلال القرية.

تباطأت السيارة عندما وصلنا إلى الملعب القديم.

قالت لي والدتي: «لا تنظر».

لكنني فعلت، رأيت الأشرطة التي وُضِعَتْ في المكان لتطوِّقه، والضباط الذين يصطفُّون في الشارع متجهمي الوجه، وجميعَ المركبات المتوقفةِ على جانب الطريق وأضوائها تدور بصمت في وقت متأخر من شمس الظهيرة.

ورأيتُ إطار المزلقة القديمة التي اعتادتِ الأرض المجاورة لها أن تكون باهتة ورمادية من قبل، لكنْ في الوقت الحالي يمكنني أن أرى أنها مطلية باللون الأحمر، بدا كل شيء هادئًا ومهيبًا، وتكاد تكون الأجواء وجلة.

ثم توقفت السيارة التي أمامنا.

كان الضباط يتأكدون من أنني ألقيت نظرة فاحصة على مشهد، هم متيقنون من أنني مسؤول عنه.

عليك أن تفعل شيئًا حيال «تشارلي»

كانت فكرة راودتني إلى حد كبير في الأشهر التي سبقت ذلك اليوم، وما زلتُ أتذكر الإحباط الذي لطالما أحدثتْه هذه الفكرة. كنت في الخامسة عشرة من عمري ولم يكن ذلك عادلًا. شعرتُ أن حياتي كلها كانت مقيدة وخاضعة لسيطرة البالغين من حولي. ومع ذلك فلم يلاحظ أي منهم تعفن الزهرة السوداء في منتصف الحديقة، أو أنهم قد قرروا أنه من الأسهل ترْكها وشأنها، فالعشب الذي تسممه لا يهم.

لم يكن يجب أن يُترَكَ لي أمر التعامل مع تشارلي.

أفهم ذلك الآن.

ومع ذلك عندما جلستُ في السيارة في ذلك الوقت غمرني شعور الذنب الذي أرادوني أن أشعر به. في وقت سابق من ذلك اليوم كنت أسير في الشوارع المغبرَّة محدقًا إلى الشمس ومتعرقًا في الحرارة الشديدة. ورصدتُ «چيمس» هناك في الملعب، صديقي الأقدم، هيئة صغيرة ووحيدة من بعيد جالسة أعلى إطار المزلقة بشكل غريب. ورغم مرور أسابيع منذ ذلك الوقت الذي تحدثنا فيه أنا وهو، فقد كنتُ أعرف جيدًا ما كان يفعله. إنه كان ينتظر تشارلي وبيلي.

ومررت بجانبه.

استدار عدد من الضباط في مكان الحادث للنظر إلينا، وشعرتُ لحظةً أنني محاصر في لحظة من الصمت المطلق، في حين يُحدِّق إليَّ ويُحكِّم عليَّ.

ثم جفلتُ عندما عمَّت ضوضاء مفاجئة الجوَّ.

استغرق مني الأمر ثانية لأدرك أن والدتي كانت تضغط بوق السيارة. بدا حجم الصوت الصاخب مزعجًا ومهيبًا في المكان -كصرخة في جنازة- لكنْ عندما نظرت إليها رأيتُ فكَّها مشدودًا ونظرتها موجهة بغضب إلى سيارة الشرطة في الأمام. أبقت يدها مضغوطة واستمر الصوت يتردد صداه في جميع أنحاء القرية.

خمس ثوانٍ

- أمي.

عشر ثوانٍ

- أمي.

ثم بدأت سيارة الشرطة التي أمامنا في التحرك ببطء بعيدًا مرة أخرى. رفعتْ والدتي يدها عن البوق وطغى الهدوء. عندما التفتت إليَّ كان تعبيرها بطريقة ما عاجزًا وحازمًا في ذات الوقت، كما لو أن ألمي كان ألمها وكانت مُصمِّمة على تحمُّل ثقله عني بقدر ما تستطيع.

لأنني ابنها وكانت ستعتني بي، قالت: «سيكون الأمر على ما يرام».

لم أَرُدْ، فقط بادلتها التحديق، مدركًا الجدية في صوتها والقناعة على وجهها. شعرت بالامتنان لوجود شخص ما هناك لرعايتي، حتى لو لم أكن لأعترف بذلك قطُّ. كنت شاكرًا لوجود شخص معي يهتم بي ولديه هذا الإيمان ببراءتي الذي لم يكن لتُعبِّر عنه الكلمات.

شخص سيفعل أي شيء لحمايتي.

بعد ما بدا كأنه دهر، أومأتْ لنفسها ثم نظرت إلى الأمام مرة أخرى وبدأت في القيادة. تبعنا السيارة إلى خارج القرية وتركنا سيارات الشرطة المتوقفة والضباط المحدقين والملعب الملطخ بالدماء خلفنا. وكانت كلمات والدتي لا تزال تتردد في رأسي عندما وصلنا إلى الطريق المزدوج.

سيكون الأمر على ما يرام.

لقد مرتْ خمسة وعشرون عامًا ولكنني ما زلت أفكر في ذلك كثيرًا. هذا ما يقوله جميع الآباء الجيدين لأطفالهم. ومع ذلك، ما الذي يؤول إليه الأمر حقًا؟ إنه أمل، أمنية. رهينة للقدر، إنه وعد عليك أن تقطعه ويجب أن تبذل قصارى جهدك لتؤمن به، لأنه ماذا يوجد أيضًا غير ذلك؟

سيكون الأمر على ما يرام.

نعم، أفكر في ذلك كثيرًا.

كيف يقول كل والد جيد ذلك وكم من مرة كانوا مخطئين.

الجزء الأول

1

الحاضر

في اليوم الذي بدأ فيه كانتِ المحققة «أماندا بيك» متوقفة تقنيًّا عن العمل. نامتْ متأخرًا بعد أن استيقظتْ في الساعات الأولى بسبب الكابوس المألوف. تشبثتْ بخيوط النوم لأطول وقت ممكن. عندما استيقظتْ واستحممتْ وبدأتْ في صنع القهوة كان قد اقترب الوقت من الظهيرة. قُتِلَ صبي في ذلك الوقت لكن لم يعرف أحد بالأمر بعد.

في منتصف ما بعد الظهيرة بدأتْ أماندا في رحلة صغيرة لزيارة والدها، وعندما وصلتْ إلى حدائق «روزوود» كان هناك عدد قليل من السيارات المتوقفة ولكنها لم ترَ أحدًا. ساد صمت مدقع في الأجواء وهي تسير في المسار المتعرج بين أحواض الزهور المؤدية إلى المدخل المحاط بالأسوار. ثم سلكت المنعطفات التي احتفظت بها في ذاكرتها على مدار العامين ونصف الماضيين. مارةً بشواهد القبور التي أصبحت علامات مألوفة لها.

هل كان من الغريب التفكير في الموتى كأصدقاء؟

ربما، ولكنَّ جزءًا منها فعل ذلك. زارت المقبرة مرة على الأقل في الأسبوع، وهذا ما يعني أنها رأت المزيد من الناس يرقدون هنا أكثر من رؤيتها حفنة الأصدقاء الأحياء الذين تملكهم. كانت تضع عليهم علامة في عقلها وهي تمشي، هنا يوجد القبر الذي لطالما كان يُعتنَى به جيدًا مع الزهور النضرة.

ومن الناحية الأخرى يوجد القبر المحتوي على زجاجة براندي قديمة وفارغة متوازنة ضد حجره. وتوجد قطعة الأرض المكسوة بالألعاب اللطيفة التي بالتأكيد تنتمي إلى قبر طفل كما توقَّعت أماندا، الهدايا التي تركها الآباء الحزينون الذين لم يتمكنوا من السماح لأطفالهم بتركهم بعد.

وبعد ذلك بالقرب من الزاوية الأخيرة يوجد قبر والدها.

توقفت وأدخلت يديها في جيبي معطفها. كانت تتميز قطعة الأرض بحجر مستطيل، عريض وقوي، تمامًا مثلما تذكَّرت والدها منذ نشأتها. كان هناك شيء عنيد بشكل ممتع في بساطته -بالطريقة التي كان يوجد بها اسمه فقط وتاريخان يشيران إلى حياته- دون ضجة تمامًا كما كان سيريد. اعتاد والدها أن يكون مُحبًّا ومُراعًى في المنزل رغم أنه قد قضى حياته في الشرطة، إذ كان يؤدي واجبه ثم يترك عمله في المكتب مع نهاية اليوم. لقد شعرتْ أنه من الصواب أن تُظهِر هذا الجانب من شخصيته في اختيارها شاهدَ القبر. لقد وجدت شيئًا يؤدي المهمة المطلوبة منه -على أكمل وجه- لكنها أبقت العاطفة منفصلة.

- **لا زهور لعينة على قبري يا أماندا.**
- **عندما أرحل، سأرحل.**

أحد الأوامر الكثيرة التي اتبعتها.

لكن يا إلهي هي ما زالت تشعر بالغرابة والتناقض أنه لم يعد موجودًا في العالم. عندما كانت طفلة اعتادت أن تخاف من الظلام وكان والدها هو من يذهب إليها عندما تنادي. تذكرت أنها كانت قلقة كلما كانت لديه نوبة ليلية كما لو أُخِذَتْ شبكة الأمان بعيدًا عنها وأنه إذا سقطت فلن يكون هناك شيء للإمساك بها. كانت هذه هي الطريقة التي بدت بها الحياة هذه الأيام أيضًا. كان في مؤخرة عقلها إحساس دائم بأن شيئًا ما كان خاطئًا، شيء مفقود ولكنه لن يدوم، ومن ثم تتذكر أن والدها مات وتتوصَّل إلى الإدراك المرير بأنه إذا نادت الآن لم يكن هناك مَن يجدها في الليل.

شدَّت معطفها بإحكام حول جسدها.

لا تتحدثي معي بعد رحيلي أيضًا.

كان هذا أمرًا آخر، لذلك كل ما فعلته عندما زارت القبر هو الوقوف والتفكير. والدها كان محقًّا طبعًا، فهي مثله لم تكن متدينة، ولذا لم ترَ فائدة كبيرة في قول أي شيء بصوتٍ عالٍ. لم يكن يوجد هناك من يسمع الآن، فبعد كل شيء لقد ولَّت فرصة السؤال. تُرِكَتْ مع العمر القصير من الخبرة والحكمة التي منحها إياها والدها، وكان الأمر متروكًا لها لتدقق بها، لترفع أجزاءً منها إلى الضوء وتزيل عنها الغبار، لمعرفة ما الذي يعمل وما يمكنها استخدامه.

نزيه.

متحفظ.

عملي.

هذا ما اعتاد أن يكونه عندما يتعلق الأمر بعمله. لطالما فكَّرت في النصيحة التي قدَّمها لها وهي: عندما ترين شيئًا فظيعًا عليكِ وضعه بعيدًا في صندوق، هذا الصندوق هو شيء يظل مغلقًا في رأسكِ ولا تفتحيه إلا لرمي شيء آخر بداخله، ولا بدَّ لكِ من فصل عملكِ والمشاهد التي جلبها لكِ عن حياتك بأي ثمن. لقد بدا الأمر بسيطًا ومتقنًا جدًّا.

لقد كان فخورًا جدًّا بانضمامها إلى الشرطة، وبينما كانت تفتقده من كل قلبها، فقد كان هناك جزء صغير منها شاكرًا لأنه لم يكن موجودًا ليرى كيف تعاملت مع العامين الماضيين. صندوق المخاوف في رأسها الذي لم يبقَ مغلقًا والكوابيس التي راودتها، وحقيقة أنها كما اتضح لم تكن من نوع الضباط الذي اعتاد أن يكونه، وتساءلت أكان في إمكانها أن تكون على الإطلاق.

وعلى الرغم من اتباعها تعليمات والدها، فإن ذلك لم يمنعها من التفكير فيه. فاليوم كما هي الحال دائمًا قد تساءلت عن مدى خيبة أمله.

كانت في طريقها إلى السيارة عندما رنَّ هاتفها.

***

بعد نصف ساعة عادت أماندا إلى «فيذربانك» سائرةً خلال الأرض المهجورة.

كرهت هذا المكان بكل ما يتضمنه من شجيرات خشنة محروقة بالشمس والصمت والعزلة وبالطريقة التي دائمًا ما يُشعِر الهواء بالعلة هنا، كما لو أن الأرض نفسها قد تدهورت ويمكنك الشعور بالتعفن والسُّمية فيها على مستوى بُدائي معين.

- هذا هو المكان الذي وجدوه فيه، أليس كذلك؟

كان المحقق «جون دايسون» يسير بجانبها ويشير إلى هيكل شجيرة، مثل كل شيء تمكَّن من النمو هنا فقد كانت قاسية وجافة وحادة.

قالت: «بلى، إنه كذلك».

حيث وجدوه.

لكنه كان المكان الذي فقدوه فيه أولًا. قبل عامين اختفى صبي صغير في أثناء عودته إلى المنزل هنا وبعد أسابيع قليلة أُلقِيَتْ جثته في المكان نفسه. لقد كانت قضيتها، الأحداث التي تلت ذلك دفعت حياتها المهنية إلى التهاوي سريعًا. فهي قبل الصبي الصغير اعتادت تخيُّل نفسها تترقى بثبات في الرتب على مر السنين، والصندوق في رأسها مغلق بأمان. لكن اتضح أنها لم تكن تعرف نفسها على الإطلاق.

أومأ دايسون لنفسه قائلًا: «عليهم تطويق هذا المكان، وإزالته من النطاق».

قالت: «إنهم الأشخاص مَن يفعلون أشياء سيئة، إذا لم يفعلوها في مكان معين فإنهم سيفعلونها في مكان آخر بدلًا من ذلك».

- ربما.

لم يبدُ مقتنعًا ولكن لم يبدُ أنه يهتم حقًّا. اعتقدت أماندا أن دايسون غبي جدًّا، لكن في دفاعه بدا أنه على الأقل أدرك ذلك، واتَّسمت حياته المهنية بنقص متفرد في الطموح. فكونه في أوائل الخمسينيات من عمره الآن يؤدي

عمله ويحصل على الراتب ويعود إلى المنزل في المساء دون إلقاء نظرة إلى الوراء. لقد حسدته.

كان خط الأشجار الكثيف الذي ميَّز الجزء العلوي من المحجر قبالتهم مباشرة. نظرت إلى الوراء، حُجِبَت الأشرطة التي أمرت بوضعها حول الأرض المهجورة بسبب الشجيرات، ولكنها شعرت بوجودهم هناك. وبعد ذلك طبعًا بدأت التروس غير المرئية لتحقيق كبير الدوران.

وصلوا إلى الأشجار.

قال دايسون: «انتبهي إلى خطواتكِ هنا».

- انتبه لخاصتكَ.

خَطَتْ أمامه عمدًا وثنت السياج الفاصل بين الأرض المهجورة والمحجر منحنية تحته. كانت توجد علامة تحذير باهتة معلقة ولم تفعل شيئًا لمنع الأطفال المحليين من استكشاف المنطقة، ولربما حتى كانت حافزًا، أو على الأقل بالنسبة إليها عندما كانت طفلة. لكنَّ دايسون كان محقًّا فإن الأرض هنا شديدة الانحدار ووعرة، لذا صبَّت تركيزها على خطواتها وهي تقود الطريق، فإذا انزلقت أمامه الآن سيتعين عليها قتله لتحفظ ماء وجهها.

كانت جوانب المحجر شديدة الانحدار بشكل خطر لذا شقت طريقها بحذر. شحبت ألوان الجذور والأغصان بسبب حرارة الصيف الطاغية. تخرج من الصخر مثل الأوتار، وأمسكت بلفائفها القاسية لتحقيق التوازن. كان عمقها نحو خمسين مترًا وشعرت بالارتياح عندما هبطت على أرض صلبة.

بعد لحظة خدشت أقدام دايسون الحجر بجانبها.

بعد ذلك لم يكن هناك صوت على الإطلاق.

كان للمحجر صفة غريبة تنتمي إلى عالم آخر، يبدو كمكان قائم بذاته ومهجور. وبينما كانت الشمس قوية على الأرض المهجورة فإن درجة الحرارة كانت أكثر برودة هنا. نظرت حولها إلى الصخور ومجموعات الشجيرات الصفراء التي نمت هنا، كان المكان أشبه بالمتاهة.

متاهة أعطاهم «إليوت هيك» توجيهات لها.

قالت: «مِن هذا الطريق».

في وقت سابق من بعد ظهر ذلك اليوم. احتُجِز صبيان مراهقان خارج منزل قريب، كان أحدهما هو إليوت هيك ذو اضطراب شخصية حَدي، والآخر هو «روبي فوستر» الذي كان أحمق وهادئًا. كان كلٌّ منهما يحمل سكينًا وكتابًا وكلاهما غارق في الدماء تقريبًا من الرأس إلى أخمص القدمين. كانا مُحتجَزين حاليًّا للاستجواب في القسم ، ولكن هيك قد أخبر الضابط الحاضر فعلًا بما فعلاه، وأين سيجدون نتيجة ذلك.

قال إنه لم يكن بعيدًا.

على بعد مائة متر أو نحو ذلك.

توجَّهت أماندا بين الصخور وأخذت وقتها متحركةً ببطء وحذر. كان هناك ضغط ناتج عن الهدوء هنا، وهذا جعلها تشعر وكأنها تحت الماء. شعرت بصدرها يضيق خشية بالتفكير فيما كانوا على وشك رؤيته. بافتراض أن هيك اعترف بالحقيقة فطبعًا كانت هناك دائمًا فرصة لعدم وجود شيء يمكن العثور عليه هنا على الإطلاق. وأن كل هذا ما هو إلا مزحة غريبة.

مدَّت أماندا يدها محركةً مجموعة من الأفرع الحادة إلى أحَد الجانبين، بدت فكرة أن هذه كانت مزحة عملية سخيفة. لكنها كانت أفضل تمامًا من فكرة أنها كانت على وشك الخروج ورؤية...

توقفت في طريقها.

ورأت ذلك.

خطا دايسون ووقف بجانبها متنفسًا بسرعة قليلًا، رغم أنه لم يكن واضحًا أكان ذلك بسبب المجهود الجسدي للهبوط والمشي أم بسبب المشهد الذي كان قبالتهما الآن.

قال دايسون: «يا إلهي!».

كانت الأرض الجرداء قبالتهما سداسية الشكل تقريبًا، أرضية ذات تضاريس ولكنها في الأساس مسطحة، وكان يحدُّها من جميع الجهات شجر وشجيرات متشابكة. وشيء هناك يكاد يكون غامضًا عن المكان، وهو الانطباع الأول الذي أُيِّدَ بالمشهد الواقع قبالتهما.

كانت الجثة على بعد نحو خمسة أمتار، مباشرةً في المركز. وُضِعَ في وضْع القرفصاء، منحنيًا تقريبًا كأنه يصلي، وطُوِيَتْ ذراعاه الرفيعتان إلى الخلف على الأرض مثل الأجنحة المكسورة. كانت تبدو الجثة وكأنها تنتمي إلى فتى مراهق. يرتدي سروالًا قصيرًا وقميصًا طُوِيَ حتى وصل إلى إبطه، لكنَّ الدم جعل من الصعب معرفة لون الملابس. نقَّلت أماندا بصرها على الجثة كاملةً. كان في جذع الفتى المكشوفِ العديدُ من الطعنات الداكنة والدم حوَّلها إلى بقع بنية شاحبة على الجلد، كانت توجد بركة أعمق من الدماء تحت رأسه الذي كان مائلًا بغرابة إلى الجانب وبالكاد متصل بجسده، ورحمةً لها فهي لم تكن تواجهه.

ذكَّرت أماندا نفسها: **نزيه.**

مكتبة
t.me/soramnqraa

متحفظ.

عملي.

للحظة كان العالم ساكنًا تمامًا. ثم رأت شيئًا آخر وعبست.

قالت: «ما هذا الذي على الأرض؟»

- إنها جثة طفل لعينة يا أماندا.

تجاهلت دايسون متخذةً بضع خطوات بحذر نحو المكان حريصة على عدم إزعاج المشهد، لكنها بحاجة إلى فهم ما كانت تراه. كان هناك المزيد من الدماء على الأرضية الحجرية، تمتد بشكل دائري على جميع الجوانب حول الجسم. بدا النمط منسقًا للغاية بحيث لا يمكن أن يكون عَرَضِيًّا، لكنها أدركت كل شيء فقط عندما وصلت إلى حافة بقع الدم نفسها. حدَّقت ناقلةً أنظارها هنا وهناك.

قال دايسون: «ما هذا؟».

مرة أخرى لم ترد، لكنْ هذه المرة بسبب أنها لم تكن تعرف تمامًا كيف ستفعل. مشى دايسون للانضمام إليها، كانت تتوقع أن يشكو بطريقة أكثر تبجحًا ولكنه ظل صامتًا، ويمكنها أن تقول إنه كان مضطربًا تمامًا كما كانت.

لقد أحصت البقع بأفضل ما تستطيع، لكن كان من الصعب المتابعة، كانوا يبدون كالعاصفة على الأرض.

توجد مئات من بصمات الأيدي الحمراء كالدم مطبوعة بدقة على الحجر.

2

تقع دار رعاية المسنين التي كانت أمي تحتضر فيها في أراضي مستشفى «جريتن».

بدا لي اتفاقًا كئيبًا بعض الشيء. على طول الطريق خلال البلاد كنت أتساءل لماذا لم يتجهوا إلى مكسب ثلاثي عن طريق بناء مقبرة وسير نقال في أثناء وجودهم، لكن تحولت الأراضي لتصبح جميلة، فبمجرد تجاوز المستشفى بدأ الممر في الالتفاف برويَّة بين المروج المشذبة بعناية المنتشرة بها أحواض الزهور ذات الألوان الزاهية وأشجار التفاح، ثم فوق جسر صغير مع جدول ماء يتدفق تحته. لقد كان يومًا حارًّا لذا فتحتُ نافذة السيارة، حيث الهواء في الخارج مشبَّعًا برائحة غنية من العشب المُقلَّم حديثًا، وصوت الماء على الصخور أدناه بدا متداخلًا بضحك الأطفال.

بيئة هادئة مناسبة لنهاية الحياة.

بعد دقيقة وصلتُ إلى مبنى مكون من طابقين مع مساحات خصبة من نبات اللبلاب تغطي جدرانها السوداء. طقطقت إطارات السيارة فوق بحر من الحصى دقيق الشكل. عندما أوقفتُ المحرك كانت الضوضاء الوحيدة الموجودة تصدر من تغريد العصافير اللطيف وكان الصمت المحيط بها شديدًا وعميقًا.

أشعلت سيجارة وجلست لحظةً.

حتى الآن لم يفُت الأوان للعودة.

لقد استغرق مني الأمر أربع ساعات للقيادة إلى هنا، وشعرتُ بحضور مستشفى جريتن يقترب طوال الوقت، ولقد زادت الرهبة بداخلي مع كل كيلومتر يمر.

مع أن السماء كانت مشرقة وصافية، فإنني شعرتُ كأنني كنت أقود نحو عاصفة رعدية، وقد توقعتُ إلى حدٍّ ما أن أسمع صوت دويِّ الرعد عن بُعد وأرى صواعق البرق في الأفق. بحلول الوقت الذي كنت أقود فيه سيارتي في الشوارع المتهدمة والمناطق الصناعية الكاسدة متجاوزًا صفوف المتاجر والمصانع التي تعرَّضت للتجوية والساحات الأمامية المتناثرة بالقمامة والزجاج المكسور كنت أشعر بالغثيان لدرجة أنني كنت أبذل الجهد محاولًا عدم الالتفاف بالسيارة.

أدخن الآن ويدي ترتجف.

لقد مرَّت خمسة وعشرون عامًا منذ أن كنتُ هنا في جريتن.

قلت لنفسي: **سيكون الأمر على ما يرام.**

أطفأتُ السيجارة ثم خرجتُ وسرتُ تجاه دار رعاية المسنين. انزلقتِ الأبواب الزجاجية عند المدخل لتكشف عن منطقة استقبال نظيفة وبسيطة، مع أرضية مصقولة بالأبيض والأسود. أعطيتُ اسمي في المكتب وانتظرتُ، مشتمًّا رائحة الطلاء والمطهِّر. بصرف النظر عن صوت أدوات المائدة التي تصدر من أحد الأماكن بعيدًا فقد كان المبنى هادئًا مثل المكتبة، وشعرت بالرغبة في السعال ببساطة لأنني شعرت أنه لا ينبغي لي ذلك.

- السيد آدامز؟ ابن دافني؟

نظرتُ إلى الأعلى وكانت هناك امرأة في منتصف العشرينيات من عمرها تقترب مني، قصيرة وشعرها أزرق شاحب وأذنها بها العديد من الثقوب، ثم إنها كانت ترتدي ملابس غير رسمية. لا شيء منهجي هنا.

قلت: «نعم. أنتِ سالي، أليس كذلك؟»

- هذا أنا.

صافحتُها قائلًا: «ناديني بول».

- سوف أفعل.

قادتني سالي إلى مجموعة من السلالم، ثم أسفل مجموعة من الممرات الهادئة، وأجرينا حديثًا قصيرًا على طول الطريق.

- كيف كانت رحلتك؟

- بخير.

- كم من الوقت مضى منذ أن عدت إلى جريتن؟

أخبرتها وبدت مصدومة.

- حقًّا! هل لا يزال لديكَ أصدقاء محلِّيون؟

جعلني السؤال أفكر في جيني وخفق قلبي قليلًا، تساءلتُ كيف سيكون شعور رؤيتها مرة أخرى بعد كل هذه السنوات.

قلت: لا أعرف.

قالت سالي: «أعتقد أن المسافة تجعل الأمر صعبًا؟».

- نعم، إنها تفعل.

كانت تعني المسافة الجغرافية، ولكنَّ المسافة عملت بطرق أخرى أيضًا. ربما استغرقت رحلة السيارة اليوم أربع ساعات، لكن بدت هذه المسافة القصيرة داخل دار رعاية المسنين أطولَ. وفي حين أن ربع قرن يجب أن يكون مدة تاريخية ذات ثقل ووزن، فقد كنتُ أرتجف بداخلي. شعرتُ أن السنوات قد تراجعت بشكل خطر وأن ما حدث هنا في جريتن كلَّ تلك السنوات الماضية قد يكون حدث بالأمس.

سيكون الأمر على ما يرام.

قالت سالي: «حسنًا، أنا سعيدة لأنكَ استطعتَ أن تأتي»

- العمل دائمًا هادئ خلال الصيف.

- أنت دكتور جامعي، أليس كذلك؟

- يا إلهي، لا. أدرِّس اللغة الإنجليزية لكنني لست بهذا المستوى العالي.

- الكتابة الإبداعية؟

- هذه أحد المناهج.

- كانت دافني فخورة بكَ، هل تعلم ذلك؟ كانت دائمًا تخبرني أنك ستكون كاتبًا عظيمًا يومًا ما.

ترددتُ قائلًا: «أنا لا أكتب. هل قالت ذلك فعلًا؟»

- نعم، تمامًا.

- لم أكن أعرف.

ولكن في النهاية كان هناك الكثير مما لا أعرفه عن حياة والدتي. ربما تحدثنا خلال الهاتف كل شهر أو نحو ذلك لكنها كانت دائمًا محادثات قصيرة وغير رسمية تسألني فيها عن حالي، وكنتُ أكذب ولم أسألها عن حالها لذلك لم تكن في حاجة إلى إخباري. لم تعطني قطُّ تلميحًا بأن أي شيء كان خطأً.

ثم قبل ثلاثة أيام تلقيتُ مكالمة هاتفية من «سالي»، العاملة المسؤولة عن رعاية والدتي، لم أكن أعرف عن سالي، ولم أكن أعرف أيضًا أن والدتي كانت تعاني الإصابة بالخرف الحاد بشكل مطَّرد لسنوات، وأنه خلال الأشهر الستة الماضية بات مرضها بالسرطان غير قابل للعلاج، حتى إنه في الأسابيع الأخيرة أصبحت والدتي ضعيفة للغاية لدرجة تحول معها صعود الدرج إلى مهمة صعبة، لذا كانت تعيش حياتها بالكامل تقريبًا في الطابق الأرضي من المنزل رافضةً نقلَها. وفي إحدى الأمسيات في وقت سابق من الأسبوع دخلتْ سالي المنزل لتجدها فاقدةً الوعي في أسفل الدرج.

لأنه -إما بدافع الإحباط وإما الاضطراب- بدا أن والدتي قد حاولت الوصول إلى بسطة الدرج أعلاه وخانها جسدها. كانت إصابة الرأس التي تعرضت لها خطرة وليست مميتة، لكنَّ السقوط دفع بقية آلامها إلى الهجوم بسرعة أكبر.

كان هناك الكثير مما لم أكن أعرفه.

أخبرتني سالي أنه تبقَّى لها القليل من الوقت وإذا كان بإمكاني القدوم؟

قالت الآن: «دافني نائمة في الغالب. إنها تتلقى رعاية ملطِّفة ومخفِّفة للآلام، وهي تفعل ما بوسعها. لكن ما سيحدث خلال الأيام القليلة المقبلة هو أنها ستنام في أغلب الأحيان لمدد زمنية أطول. ومن ثم في النهاية هي سوف...».

- لن تستيقظ؟

- هذا صحيح. فقط سترحل بسلام.

أومأتُ برأسي، فقد بدتْ هذه وكأنها طريقة جيدة للموت، لأنه يجب أن توجد نهاية، وربما يكون هذا كل ما يمكن لأيٍّ منا أن يأمله- وهو أن يستغرقوا في النوم بثبات. اعتقد بعض الناس أن هناك أحلامًا أو كوابيس تأتي بعد ذلك، لكنني لم أفهم حقًّا السبب. فكما أعرف أفضل من معظمهم، فإن تلك الأشياء تحدث في المراحل السطحية من النوم، وقد كنتُ آمل دائمًا أن يكون الموت في مرحلة أعمق بكثير من ذلك.

توقَّفنا خارج الباب.

قلت: «هل هي بكامل وعيها؟».

- إنه يختلف، ففي بعض الأحيان تتعرَّف الناسَ ويبدو أنها تفهم مكانها بشكل مبهم، ولكنها كثيرًا ما تبدو كما لو كانت في مكان وزمان مختلفين.

دفعت الباب وتحدثتْ بهدوء أكثر قائلة: «ها هي فتاتنا».

تبعتُها إلى الغرفة مُهيِّئًا نفسي لما كنت على وشك رؤيته، لكنَّ المشهد لم يزل يمثل صدمة لي. وُضِعَ سرير المستشفى بجانب أقرب جدار، يحتوي على عجلات متصلة بالساقين وأدوات تحكم لرفع وضعه وتغييره، وإلى جانبه كانت توجد آلات أكثر مما كنت أتوقع؛ عربة بها مجموعة من شاشات المراقبة الطبية، وحامل من الأكياس الشفافة مع أنابيب تخرج منه متصلة بالجسم المستلقي تحت أغطية السرير.

أمي.

اضطربتُ، فأنا لم أرها منذ خمسة وعشرين عامًا، وبينما كنتُ واقفًا في المدخل الآن فقد بدا الأمر كأن شخصًا ما قد صنع نموذجًا لها من الشمع، لكنْ نموذجًا أصغر حجمًا وأضعف مقارنةً بالذكريات القديمة التي كانت لديَّ عنها. خفق قلبي، كان رأسها مغطًّى بضمادات من أحد الجوانب، وما استطعتُ رؤيته من وجهها كان أصفر بلا حَراك، شفتاها منفصلتان قليلًا، وكانت الأغطية الرقيقة بالكاد تشير إلى وجود جسد أسفلها. وللحظة لم أكن متأكدًا من أنها كانت حية.

بدت سالي رابطة الجأش. مشت خلال الغرفة ثم انحنت قليلًا لتفحص الشاشات. التقطتْ أنفي رائحة خافتة للزهور في مزهرية على الطاولة بجانب الآلات، لكنَّ الرائحة أُفسِدَتْ بسبب لمحة لشيء أحلى وغير صحي.

أنهتْ سالي الفحص واستقامت قائلةً: «أنت حر في الجلوس معها طبعًا، ولكن ربما يكون من الأفضل عدم إزعاجها».

- لن أفعل.

- هناك ماء على الطاولة إذا استيقظتْ وأرادتْ ذلك.

أشارت إلى حاجز السرير قائلةً: «وإذا واجهتَ أي مشكلة فستجد زرَّ استدعاء هناك».

قلت: «شكرًا لكِ».

أغلقتِ الباب خلفها عندما غادرت.

ثم عمَّ الصمت.

لكن ليس تمامًا، كانت النافذة الأقرب إلى السرير نصف مفتوحة، وكان بإمكاني سماع طنين قادم من بعيد هادئ وباعث على النوم من آلة جز العشب، وأيضًا صوت خافت يصاحب تلك الأنفاس البطيئة والضحلة التي كانت والدتي تأخذها، كانت هناك أوقات طويلة من الثواني بينهما. بالنظر إليها لاحظتُ نمط الأزهار الوردي لملاءات السرير لأول مرة، ملاحظة جلبتْ لي شبحًا من

الذاكرة، لم يكونوا متطابقين مع أولئك الذين تذكرتُهم من الطفولة، ولكنهم قريبون بما يكفي. لا بدَّ أن سالي أحضرتْهم من المنزل لتُشعِر والدتي بأنها في المنزل هنا.

نظرتُ حولي وذكَّرتني الغرفة بغرف قاعات السكن خلال سنتي الأولى في الجامعة، فقد كانت صغيرة لكنْ مريحة مع حمام داخلي مبني في زاوية معينة ومكتب وخزائن على طول الجدار المقابل للسرير، كما كان هناك بعض الأشياء المنتشرة على المكتب ومن الواضح أن بعضها كان طبيًّا، كانت زجاجات فارغة وأشرطة حبوب مستعملة وقطع ممزقة من القطن الطبي، لكن بعضها الآخر كان مألوفًا وشائعًا أكثر، فقد كانت توجد كومة من الملابس المطوية بعناية ونظارات في علبة مفتوحة، والصورة القديمة لحفل زفاف والدي -التي أتذكر أنها كانت موضوعة على رف الموقد عندما كنت طفلًا- موجودة هنا الآن وموضوعة بزاوية حتى تتمكن والدتي من رؤيتها إذا استيقظتْ.

مشيتُ إلى المكتب، كان ينبغي أن تكون الصورة تسجيلًا لحدث سعيد، لكن بينما كانت والدتي مبتسمةً ومفعمةً بالأمل بدا وجه والدي صارمًا كما هي الحال دائمًا، كان هذا التعبير الوحيد له الذي أتذكره منذ الطفولة، سواء كان وجهه مُضَاءً بالنيران المستمرة التي كان يشعلها في الحديقة الخلفية أو مظللًا في الردهة في أثناء مرورنا ببعضنا دون تحدُّثٍ. كان دائمًا جادًّا ومتجهمًا -رجل خذله كل شيء في حياته- وكنا سعداء بالتخلص من بعضنا عندما غادرتُ المنزل. ولم تتضمنه أيٌّ من المكالمات الهاتفية التي تلقيتُها من والدتي على مر السنين. وعندما مات قبل ست سنوات لم أعد إلى جريتن لحضور الجنازة.

نظرتُ سريعًا على طول المكتب ورأيتُ شيئًا لم ألاحظه من قبل، كتاب سميك وُضِعَ على وجهه، كان قديمًا ولونه متغيرًا وكعبه ملتوِيًا قليلًا، كما لو نُقِعَ في الماء وتُرِكَ ليجف ملتويًا. أمي لم تكن قطُّ محبةً للقراءة وكان والدي دائمًا يزدري ساخرًا من الخيال ومني ومن حبي إياه. ربما اكتشفتْ والدتي شغفًا به بعد وفاته، ويكون هذا ما كانت تقرأه قبل الحادث. إنها حركة لطيفة من سالي، مع أنه بدا من التفاؤل إلى حد ما تخيُّل أن والدتي ستنهيه الآن.

قَلَبْتُ الكتابَ ورأيتُ وجه الشيطان الأحمر الناظر شزرًا على الغلاف، ثم سحبتُ يدي بعيدًا بسرعة، وأطراف أصابعي توخزني كما لو كانت محترقة.

«شعب الكابوس» (The Nightmare people)

- بول؟

قفزتُ مستديرًا، كانت أمي مستيقظة وقد انتقلتْ إلى جانبها داعمة نفسها على أحد مرفقيها، محدقةً إلى وجهي بريبة تقريبًا بعينها التي يمكنني رؤيتها وشعرها متدلٍّ على الوسادة في سيل رمادي رقيق.

كان قلبي يخفق بسرعة كبيرة.

تحدثتُ بهدوء محاولًا تهدئة نفسي: «نعم، هذا أنا يا أمي».

عبست قائلةً: «أنت.. لا ينبغي أن تكون هنا».

كان بجانب السرير كرسي، مشيتُ ببطء وجلستُ عليه. تبعتني نظرتُها حَذِرَةً مثل حيوان مستعد للفرار.

قالت مرة أخرى: «يجب ألا تكون هنا».

- كان عليَّ أن أكون هنا نوعًا ما، لقد سقطتِ، هل تتذكرين؟

واصلتِ التحديق إلى وجهي لحظةً ثم لان تعبيرها وانحنت نحوي هامسة بتآمر.

- **آمل ألا تكون إيلين هنا.**

نظرتُ حول الغرفة بلا حول ولا قوة: «إنها ليستْ كذلك يا أمي».

بدت حزينة: «يجب ألا أقول ذلك حقًّا، لكنَّ كلينا يعرف كم هي وقحة تلك المرأة. «كارل» المسكين. وجيمس المسكين الصغير أيضًا. نحن نفعل هذا فقط من أجله، أليس كذلك؟ أنت تعرف ذلك على ما أعتقد. لسنا بحاجة إلى قول ذلك، لكنك تفهم».

يبدو الأمر وكأنها في مكان وزمان مختلفين.

كانا مكانًا وزمانًا تعرفتُهما.

قلتُ: «نعم يا أمي، لقد فهمتُ».

استلقتْ بحذر مرة أخرى وأغمضتْ عينيها هامسةً: «يجب ألا تكون هنا».

قلت: «هل تريدين بعض الماء؟».

للحظة لم تفعل أمي شيئًا سوى الاستلقاء هناك متنفسةً بثبات، كما لو أن السؤال كان يستغرق وقتًا لشقِّ طريقه خلال متاهة عقلها المشوشة، لم يكن لديَّ أي إيمان بأنها ستصل إلى وجهتها لكنني لم أستطع التفكير في أي شيء آخر لأقوله الآن. وبعد ذلك فجأة تمايلت أمي مستيقظة مرة أخرى، تحركت معتدلة عند خصرها، ومدَّت يدها ممسكةً بمعصمي بسرعة كبيرة لدرجة أنه لم يكن هناك وقت لي للتراجع.

صرخت: «**يجب ألا تكون هنا!**».

- أمي.

- أيادٍ حمراء يا بول! في كل مكان أيادٍ حمراء.

كانت فاغرة العينين لا ترمش، تحدق إلى وجهي في رعب مطلق.

- أمي...

- أيادٍ حمراء يا بول.

تركتني وانهارت مرة أخرى على السرير. وقفتُ مترنحًا للخلف قليلًا، بصمة قبضتها البيضاء مرئية على بشرتي. لقد تخيلتُ إطار المزلقة وأرضيةً مطلية باللون القرمزي وتكررتْ كلماتها مرارًا وتكرارًا في رأسي متزامنة مع نبضات قلبي.

أيادٍ حمراء، أيادٍ حمراء، أيادٍ حمراء في كل مكان...

- يا إلهي إنها في المنزل يا بول.

ثم تلوَّى وجه أمي من الألم وصرخت في السقف أو ربما في شيء بعيد عن الأنظار فوقها.

- **إنها في المنزل اللعين.**

ومع الذعر الذي أصاب جسدي بالكامل حاولتُ الوصول إلى زر الإنذار.

3

في العطلة الصيفية عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري اصطحبتني والدتي وصديقي جيمس لرؤية جريتن بارك مدرستنا الجديدة. وصلنا إلى منزل جيمس أول شيء في ذلك الصباح، وأتذكر والدتي تهمس لي وكنا نسير على الطريق.

- آمل ألا تكون إيلين هنا.

أومأتُ برأسي فكنتُ آمل ذلك أيضًا. كانت إيلين والدة جيمس، لكنكَ لم تكن لتعرف ذلك من الطريقة التي عاملته بها. لم يكن جيمس قطُّ يفعل أي شيء صحيح في نظرها، وهذا على افتراض أنها لاحظته على الإطلاق. لطالما وجدتُها مخيفة. كانت تفوح منها رائحة الكحول، وبدا أنها تدخن باستمرار، وبيد تضم مرفقها تراقبك بشك كما لو كانت تعتقد أنك سرقتَ شيئًا منها.

لكنَّ كارل هو من فتح الباب في ذلك الصباح.

كان كارل زوج أم جيمس، وقد أحببتُه كثيرًا. كان والد جيمس الحقيقي قد تخلى عن إيلين عندما كانت حاملًا، وربَّاه كارل كما لو كان ابنه. لقد كان رجلًا متواضعًا وهادئًا ولطيفًا، لكن بينما كنتُ سعيدًا لأنه كان جيدًا مع جيمس فقد حيَّرني أيضًا كيف انتهى به الأمر مع امرأة مثل إيلين. كان كارل وأمي صديقين مقربين منذ الطفولة. واشتبهتُ أن هذا كان لغزًا لها أيضًا. قبل سنوات سمعتُ محادثة بينهما «**يمكنكَ اختيار شخص أفضل بكثير كما تعلم**» أخبرتْه والدتي وعمَّ صمت طويل قبل أن يرد كارل: «**أنا حقًّا لا أعتقد أنني أستطيع**».

بدا كارل متعبًا في ذلك اليوم، لكنه ابتسم بحرارة لكلينا قبل أن ينادي جيمسَ من داخل المنزل الذي ظهر بعد لحظات قليلة. كان جيمس يرتدي بنطالًا رياضيًّا قديمًا وقميصًا قذرًا مبتسمًا بإحراج. كان فتى خجولًا ولطيفًا ومسالمًا؛ دائمًا ما كان يائسًا لإرضاء العالم بأسره، لكنْ لا يتأكد قطُّ مما يريد.

وصديقي المفضل.

قالت والدتي: «تعالوا إذن يا فتيان».

ابتعدنا نحن الثلاثة عن المنزل تجاه الطريق المزدوج الذي يربط قريتنا ببقية جريتن. كان صباحًا دافئًا وكان الهواء رطبًا مليئًا بالغبار والبرغش. أحدث معدنُ الجسر العلوي قعقعةً تحت أقدامنا ونحن نشق طريقنا نحو محطة الحافلات القذرة على الجانب البعيد. كان تحتنا تدفق مستمر من الشاحنات وعربات النقل المفصلية التي تمر بشكل غير مبال. لم تشهد قريتنا سوى القليل من حركة المرور، وبينما كانت تُعَدُّ تقنيًّا من إحدى ضواحي جريتن فإنها كانت بالكاد موجودة على الخرائط. حتى اسمها جريتن وود «غابة جريتن» أعطى المزيد من الأهمية للغابة الهائلة القريبة أكثر من فكرة وجود أي شخص لا يزال يعيش هنا.

أخيرًا ظهرت حافلة من بعيد.

قالت والدتي: «هل لديك أجرة المواصلات؟».

أومأ كلانا برأسه، لكنني حوَّلتُ عيني على جيمس فابتسم لي. كنَّا بخير في الحافلات وزرنا مدرسة جريتن بارك في الفصل الدراسي السابق، بعد أن علمنا بأن المدرسة الثانوية التي التحقنا بها حتى الآن كانت مغلقة. لكنْ مع أن جيمس ربما لم يعترف بذلك، فإنه كان خائفًا من البدء في مدرسة جديدة في الفصل الدراسي المقبل، ولذا فقد توصَّلت أمي إلى طريقة للمساعدة دون إحراجه، وكنتُ سعيدًا بمجاراة ذلك.

استغرقتِ الرحلة نصف ساعة. كان معظم جريتن مشبعًا بالفقر وكان المنظر من خلال نافذة الحافلة كئيبًا لدرجة أنه كان من الصعب أحيانًا التفرقة بين المباني الفارغة والمأهولة بالسكان. لم أرغب في شيء أكثر من

الهروب من هنا -الابتعاد وعدم العودة أبدًا- لكنْ كان من الصعب تخيُّل حدوث ذلك على الإطلاق. كانت للمكان جاذبية تحتوي على كل ما أُسقِطَ حيث سقط، وهذا شمل الناس.

بعد ترجُّلنا من الحافلة مشينا نحن الثلاثة مسافة خمس دقائق سيرًا على الأقدام إلى جريتن بارك.

كانت المدرسة أكبر بكثير وأكثر إخافةً مما أتذكر. كانت صالات الألعاب الرياضية تقع على بُعد نحو مائة متر من الطريق الرئيسي، وتُظهِر نوافذها الكبيرة السماء اللطيفة وتحبسها في الزجاج. بعد ذلك كان المبنى الرئيسي مرئيًّا ومكونًا من أربعة طوابق من الممرات الغامضة والرتيبة، وأبواب الفصل سميكة وثقيلة بالطريقة التي تخيلت بها الأبواب في السجن. كانت زوايا المبنيين بعيدة قليلًا، بحيث بدت المدرسة من الشارع وكأنها شيء يسحب نفسه من الأرض ويبدو جزء منه غريبًا ومكسورًا كالكتف المنحنية إلى الخلف. نظرتُ إلى يمين الصالات الرياضية وكانت المنطقة هناك قيد التجديد، وكان بإمكاني سماع نقر المثقاب الهوائي من مكان ما خلف القماش المشمَّع الممتد، يبدو صوتًا متقطعًا ومتبددًا مثل صوت إطلاق نار بعيد.

وقفنا مدةً من الوقت.

وأتذكر أنني شعرتُ بعدم الارتياح. كان هناك شيء يبدو شريرًا بشأن المدرسة- في سكونها والطريقة التي يبدو أنها تبادلني النظر بها. قبل ذلك كنت أتفهَّم شعور جيمس بالتوتر بشأن البدء هنا، كانت المدرسة ضخمة -كانت بمكانة المنزل- إذا كان بإمكانك تسميتها كذلك، لأكثر من ألف طالب- وكان جيمس دائمًا هدفًا مألوفًا للمتنمرين. كان أعزَّ أصدقائي رغم ذلك. قلت لنفسي إنني لطالما اعتنيتُ به في الماضي وسأفعل ذلك دائمًا. ومع ذلك كان هناك شيء ينذر بالسوء حول المدرسة أمامي في ذلك الوقت جعلني أشك في نفسي.

عمَّ الصمتُ.

أتذكَّر أنني نظرتُ إلى والدتي مدركًا الارتباك الذي كانت تشعر به، كما لو أنها حاولت الاهتمام وفعل شيء جيد، لكنها أخطأتْ بطريقة ما.

وأتذكر النظرة على وجه جيمس إذ كان يحدق إلى المدرسة برهبة مطلقة. ورغم كل نوايا أمي الحسنة فإن هذه الرحلة لم تساعده على الإطلاق.

كان الأمر أشبه بأننا أحضرناه لرؤية مكان إعدامه.

***

كان سيأخذني أسرع طريق من دار رعاية المسنين إلى القرية على الطريق نفسه خارج المدرسة لذا ذهبتُ بطريق مختلف. أردتُ تجنب أي اتصال بالأشياء الفظيعة من الماضي لأطول مدة ممكنة.

لكن أصبح هذا مستحيلًا عندما قدتُ إلى جريتن وود نفسها. ظهرتِ القرية التي نشأتُ فيها وكأنها لم تمسها السنوات الفاصلة. كانت شبكة من الهدوء وكانت الشوارع المُقفِرة مألوفة على الفور، ولا يزال يهيمن الجدار المظلم للغابات على المناظر الطبيعية أمامه، ويلوح في الأفق فوق المنازل المتداعية المكونة من طابقين الموجودة في قطع الأراضي المنفصلة الخاصة بهم. كان لديَّ إحساس أن الرمال الخافتة التي تتلاشى تحت إطارات السيارة هي الغبار نفسه الذي كان هنا عندما كنت طفلًا. التُقِطَ ووُضِعَ مرة أخرى في أماكن مختلفة قليلًا لكنْ لم يُحرَّك حقًّا قطُّ.

اشتدَّ الشؤم الذي كنت أعانيه طوال اليوم، لم يكن مجرد رؤية هذا المكان لكنِ الشعور به. ظلَّت الذكريات تهدِّد بالظهور -بدأت تموجات التاريخ في طمس سطح الحاضر- وكان كل ما يمكنني فعله هو دفعها إلى الأسفل. في أثناء قيادتي كانت عجلة القيادة تحت يدي زلقة بعرق لا علاقة له بدرجة الحرارة.

كنت لا أزال مصدومًا من رؤية والدتي في دار رعاية المسنين. وصلت سالي خلال دقيقة من ضغطي زرَّ الإنذار، لكنْ بحلول ذلك الوقت كانت والدتي قد غطَّت مرة أخرى في النوم. فحصتْ سالي الآلات وبدت قلقة بعض الشيء.

- ماذا حدث؟

- استيقظت وتحدثتْ.

- ماذا قالت؟

لم أرد على الفور لأنني لم أكن أعرف ماذا أقول. أخبرتُها في النهاية أن والدتي تعرَّفتني ولكنها بدت كأنها في مكان آخر، تستعيد ذكرى من الواضح أنها وجدتها مُحزِنة. لكنني لم أخبر سالي ما كان ذلك الزمان والمكان -أو ما قالتْه بعد ذلك- وإلى أي مدى أثر بي هذا.

أيادٍ حمراء في كل مكان.

رغم حرارة الجو فإن هذه الكلمات جلبت لي القشعريرة. كنت لا أزال أحاول استيعابها. كانت والدتي مضطربة وتحتضر، وكان من المنطقي أنها كانت تعود إلى ماضيها، وأن بعضًا من ذلك سيكون مزعجًا لها. ومع ذلك مهما قلتُ لنفسي فإن الشعور المضطرب بداخلي -الشعور بالشؤم- استمرَّ في النمو بشكل أقوى.

يجب ألا تكون هنا.

لكنني كنتُ كذلك.

أوقفتُ سيارتي خارج منزل والدتي الذي كان مثل جميع المباني في القرية تقريبًا، هيكلًا متداعيًا من طابقين مفصولًا عن الجيران بمسافات من الأوساخ والأسيجة تتكون أساسًا من الأسلاك الشائكة. وكانت الوجهة الخشبية متهالكة والنوافذ مظلمة وفارغة، والحديقة متضخمة بشكل كبير، وأنابيب الصرف والبالوعات صدئة تكاد تسقط في بعض الأماكن.

لا يبدو أن المنزل قد تغيَّر حقًّا على مر السنين، فلقد أصبح قديمًا فقط. جلب مشهده الآن موجة من الشعور. كان هذا هو المكان الذي نشأتُ فيه والذي انتظر فيه شرطيان معي قبل خمسة وعشرين عامًا حتى تعود والدتي إلى المنزل.

لقد تركتُه ورائي ومع ذلك كان موجودًا هنا طوال الوقت.

ترجَّلتُ من السيارة، داخل المنزل كانت الرائحة هي ما قابلني أولًا- مثل فتح صندوق مليء بمتعلقات طفولتك والانحناء متنفسًا بعمق. لكنْ ظهرتْ روائح أخرى على الفور تقريبًا. نظرتُ إلى الجدار بجانب الدرج ورأيت أنه مغطى ببصمات من العفن الأسود والرمادي. أثر منتجات التنظيف في الهواء لم يستطع إخفاء الغبار والرطوبة. شممتُ رائحة الأمونيا وشيء آخر أيضًا، الهواء العليل نفسه الذي كنت أتنفسه سابقًا في دار رعاية المسنين.

تبيَّن أن الرائحة الأخيرة كانت أقوى في الغرفة الأمامية، حيث كان من الواضح أن والدتي قضت معظم وقتها. يبدو أن سالي قد رتَّبت قليلًا، لكنَّ كومة البطانيات الناعمة على ذراع الأريكة -مهما كانت مرتَّبة- قد سهلتْ عليَّ تصويرها على أنها سرير مؤقت. نُقِلَتْ طاولة صغيرة بجانبها ولم يكن عليها شيء الآن، لكنْ يمكنني تخيُّل الأشياء هناك.

كوب من الماء ونظارات أمي.

وربما الكتاب الذي كنتُ أحمله قبل قليل.

«شعب الكابوس».

عدت إلى الردهة متتبعًا رائحة الأمونيا إلى المخزن أسفل الدرج. كان يطنُّ زوجان من الذباب على الزجاج الأخضر المعتم للنافذة، وفُكَّتِ السجادة ثم طُوِيَتْ وعُبِّئَتْ. استغرق الأمر مني بضع ثوانٍ حتى أفهم. لأنها لم تكن قادرة على الصعود إلى الطابق العلوي في الأسابيع الأخيرة، فلا بدَّ أن هذه المساحة المنعزلة كانت بمنزلة حمام والدتي.

في ذلك الوقت تخيَّلتُ والدتي -تضاءل جسدها وخذلتها أعضاء جسدها، تهيم بغرابة في عالم كان ينغلق من حولها- وضربتني موجة من الذنب.

يجب ألا تكون هنا.

رغم كل شيء كان يجب أن أكون هنا.

أصدر الدرج صريرًا تحت قدمي، وصعدتُ بحذر، كما لو كنت حذرًا من إزعاج شخص ما. في منتصف الطريق إلى بسطة السلم أعلاه نظرتُ إلى الأسفل. كانت هناك زاوية من ضوء الشمس تنبعث من خلال الزجاج في الباب

الأمامي، كشفتْ عن مساحة من ألواح الأرضية هناك نُظِفَتْ وصُقِلَتْ، ومرة أخرى استغرق الأمر مني لحظة لأميِّز ما كنت أراه، لا بدَّ أنه كان المكان حيث استلقتْ والدتي بعد سقوطها. مكتبة سُر مَن قرأ

في الطابق العلوي وقفتُ خارج ما اعتدتُ أن تكون غرفة نومي إلى ما بدا كأنه زمن كامل، ثم صدر صرير من المفصلات عندما فتحتُ الباب. كشف المكان عن نفسه ببطء، لم يتغيَّر شيء هنا. من الواضح أن والديَّ لم يستخدما الغرفة لأي غرض في السنوات التي تلت مغادرتي، والفرق الحقيقي الوحيد الآن هو أنها بدت أصغر بكثير مما أتذكر. كانت بقايا سريري القديم لا تزال بجوار الحائط -مجرد إطار معدني مع مرتبة عارية- في حين ظل مكتبي الخشبي القديم تحت النافذة المقابلة له. لطالما كانت الغرفة فارغة هكذا، لم يكن لديَّ الكثير من قبل. كانت ملابسي محفوظة في أكوام على الأرض بجانب المبرد، وكتبي مكدسة في أعمدة مترنحة على الجدران.

كأنني انتقلتُ البارحة، يكاد جزء مني أن يشعر بشبح صبي يجلس منحنيًا على المكتب في وقت متأخر من الليل يعمل على القصص التي كان يحب كتابتها في ذلك الوقت.

مشيتُ خلال الغرفة فاتحًا الستائر فوق المكتب، غامرًا الغرفة بالضوء. كان تحتي الفوضى المتشابكة في الحديقة الخلفية، ثم السياج في الطرف البعيد فجدار الأشجار وراءه.

ربما سُمِّيَتِ القرية على اسم الغابة، لكنْ مثل أي شخص آخر هنا كنتُ أعرفها باسم «الظلال». لطالما تذكرتُ أن هذا ما أطلقه عليها الجميع. فرغم وجود الشمس كانت المساحات بين الأشجار تبدو دائمًا مليئة بالظلام والأسرار، وبينما كنت أحدق إلى الحديقة كانت هناك ذكرى ترفرف من الغابات، سوداء وغير مرغوب فيها.

كيف اعتاد تشارلي أن يأخذنا إلى هناك.

في نهاية كل أسبوع من ذلك العام كنا نلتقي في الملعب القديم، ثم نتوجه إلى منزل جيمس ونذهب إلى الغابة من خلال حديقته الخلفية. كنا نمشي عدة

كيلومترات. لطالما قاد تشارلي الطريق، وادعى أن الظلال كانت مسكونة -أن شبحًا يعيش هناك- لكن بينما كان كثيرًا لديَّ إحساس بأن من بين الشجر شيئًا يراقبني، فقد كنتُ عادة أكثر قلقًا أن أضلَّ الطريق. لطالما بدتِ الغابة حية وخطرة بالنسبة إليَّ، وكلما تعمقتُ بدأ الشعور في الواقع كأنكَ تظلُّ ساكنًا- أن وهم الحركة كان ناتجًا عن الأرض التي تعيد ترتيب نفسها من حولك، مثل المربعات على رقعة الشطرنج التي تتحرك حول القطع.

ومع ذلك كان تشارلي دائمًا ما يخرجنا بأمان.

لكنْ بعد ذلك تذكَّرتُ آخر مرة ذهبتُ فيها إلى هناك معهم. عميقًا بين الأشجار، على بعد كيلومترات من أي روح حية أخرى كان تشارلي يشير بمقلاع محمَّل إلى وجهي.

أغلقتُ الستائر.

وكنت على وشك مغادرة الغرفة عندما لاحظتُ أن الغرفة لم تكن فارغة تمامًا، كان على الأرض بجانب المكتب صندوق قديم كرتوني. في مرحلة ما أُغلِق الجزء العلوي منه بطبقات من شريط الطرود البني، لكن قُطِعَتِ الآن، وسُحِبَتِ الطيات إلى الخلف، ركعتُ على ركبتيَّ بحذر وفردتها على نطاق أوسع قليلًا.

كانت ممتلكاتي القديمة مبعثرة بالداخل. أول شيء وجدتُه هو مجلة قد اصفرَّ لونها تُسمَّى «**حياة الكتابة**». كما هي الحال مع الكتاب في دار العجزة فقد شعرتُ بأطراف أصابعي توخزني عندما لمستها، لذا وضعتُها على الأرض بسرعة إلى أحد الجوانب. تحت ذلك كان يوجد كتاب مقوَّى نحيف، كنت أعرف ما هو ذلك، ولم أرغب في النظر إليه الآن ناهيك بلمسه.

ومن ثَمَّ أدناه كان يوجد العديد من دفاتر الملاحظات الخاصة بي، تلك التي كنت أستخدمها لكتابة محاولاتي المتعثرة في القصص عندما كنت مراهقًا.

من بين أمور أخرى.

التقطتُ دفتر الملاحظات بالقرب من الجزء العلوي ثم فتحتُه وقرأتُ بداية المُدخل الأول.

أنا في السوق المظلم.

ثارت موجة من الذكريات فجأة، مثل طيور فَزِعَتْ من فوق شجرة.

جيمس جالس على إطار المزلقة في ذلك اليوم.

طرق الباب في وقت لاحق.

الفكرة التي كنتُ أفكر فيها كثيرًا:

عليك أن تفعل شيئًا حيال تشارلي.

أنزلتُ دفترَ الملاحظات مرتجفًا قليلًا رغم حرارة اليوم. عندما اتصلتْ بي سالي في وقت سابق من ذلك الأسبوع وأخبرتني عن حادث والدتي وسألتني أكنتُ قادرًا على العودة إلى هنا، لم أَرُد على الفور لأن فكرة العودة إلى جريتن ملأتني بالرعب. لكنني بذلتُ قصارى جهدي لإقناع نفسي بأن الماضي قد ولَّى، وأنه لم تكن هناك حاجة إلى التفكير في ما حدث هنا. أنني سأكون بأمان بعد كل هذه السنوات.

وكنتُ مخطئًا.

لأن المزيد من الذكريات كانت تظهر الآن، مظلمة وغاضبة، وأدركتُ أنه مهما أردتُ أن أطوي صفحة الماضي، فما يهم هو أكان الماضي قد طوى صفحتي. وبينما كنت أستمع لصوت الصمتِ المشؤوم في المنزل ورائي، اقترب نذير الشؤم الذي كنتُ أشعر به طوال اليوم، متحالفًا مع الرهبة التي حملتْها تلك الذكرى منذ خمسة وعشرين عامًا.

شيء فظيع كان سيحدث.

4

سابقًا

كان ذلك في أوائل شهر أكتوبر بعد أسابيع قليلة من بداية الفصل الدراسي الأول في مدرسة جريتن بارك. في ذلك اليوم كانت لدينا لعبة الرجبي. بدَّلنا ملابسنا أنا وجيمس في المبنى الرئيسي مع بقية الفصل، ثم انطلقنا خلال الشوارع المرصوفة بالحصى إلى ساحة اللعب. أتذكر أن الهواء كان جليديًّا على فخذي، والطريقة التي تجعل بها أنفاسي الهواء ضبابيّا. في كل مكان حولنا كان نقر الأحذية الحادة على الطريق الأسفلتي قاسيًا وحادًّا.

ألقيتُ نظرة خاطفة على جيمس الذي كان يسير بجانبي بهالة رجل مُدَان. كان يراقب الأولاد الأكبر أمامنا بعيون حذرة. بينما اندمج كلانا بهدوء بعيدًا عن الأنظار في مدرستنا الجديدة قدر الإمكان، فإن جيمس كان هدفًا للمتنمرين منذ اليوم الأول. ولقد بذلتُ قصارى جهدي لحمايته عندما كنا معًا، لكنني لم أستطع أن أكون معه طوال الوقت، وبدا ملعب الرجبي كأنه موسم الصيد، مكان لا يُتسامَح فيه مع العنف فحسب، بل يُشجَّع بصورة فعلية.

كان المعلم -السيد «جودبولد»- يتباهى بين الأولاد أمامنا مازحًا مع المفضلين. بدا الرجل كأنه نسخة أقدم وأكبر من المتنمرين في المدرسة. مع الرأس المحلوق نفسه بسخط وقدرة بدنية قوية والاستياء نفسه من العالم وبالكاد أخفى ازدراءه من الأطفال الأكثر لينًا وحساسية. في بعض المرات

رأيته يمشّي كلبه من نوع البلدوج حول جريتن، وكلاهما يتحرك بالتناغم المتحدب والقوي نفسه.

وصلنا إلى الطريق واضطررنا إلى الانتظار عند إشارات المرور في حين كانت السيارات تندفع بشكل خطر بالقرب منا. جفلتُ من اندفاع الهواء نحوي وهم يمرون بسرعة. ومن السرعة التي انطلق بها بعضهم لم يكن هناك ما يضمن أنهم سيتوقفون إذا رأوا الضوء الأحمر في الوقت المناسب على أي حال.

انحنيت لجيمس هامسًا:

- يبدو الأمر كما لو أن كل جزء من هذه التجربة مصمم على قتلنا.

لم يبتسم.

بمجرَّد أن قطعنا الطريق بأمان قادنا جودبولد إلى أرض الملعب في أقصى نهاية الميدان، حيث كان مساعد التدريس يتصارع مع شبكة متشابكة من كرات الرجبي. بدت السماء الممتدة في السماء رمادية ولا نهاية لها.

- فريقان!

بسط جودبولد ذراعيه متمكنًا بطريقة ما من فصل تلاميذه المفضلين عن بقيتنا.

- أنتم كثيرون في هذا الصف، نظِّموا أنفسكم بالطول.

لقد قاد الأولاد الأكبر خلال الملعب، ونظرنا جميعًا إلى بعضنا وبدأنا في التنقل، كنتُ أطول من جيمس بمقدار رأس، لذلك انتهى بي الأمر على بعد مسافة عنه في الصف. أعطاني المساعد كرة. شاهدتُ جودبولد خلال الملعب ينظِّم الجانب الآخر حتى يكون أطول صبي في تلك المجموعة مقابل أصغرنا.

صرخ رافعًا الصفارة: «عندما أصفِّر في هذه ستحاول إيصال كرتكَ إلى الجانب الآخر، وسيحاول خصمك إيقافك. بهذه البساطة، هل كلنا نفهم؟».

كان هناك عدد قليل من التمتمات بـ «نعم، سيدي»، ولكن ليس مني. استطعتُ أن أرى كيف كان الأولاد خلال الملعب يتآمرون ويعيدون ترتيب

أنفسهم خلف ظهر جودبولد. بدَّل صبي اسمه «ديفيد هيج» مكانه مع من يجاوره حتى يكون قبالة جيمس مباشرة. فكرتُ: **يا له من وغد**، كان هيج أسوأ المتنمرين. جاء من أسرة صعبة وكان شقيقه الأكبر في السجن، ويبدو أنه سينتهي به الأمر بالطريقة نفسها. في اليوم الأول في جريتن دفعني هيج بدافع إهانتي، وألقيتُ لكمة دون تردد وبعدها انتهى القتال، وبعد ذلك تركني وشأني إلى حد ما، لكنَّ جيمس كان ضحية أسهل.

أخبرتُ نفسي أنه لا يوجد شيء يمكنني فعله حيال ذلك، كان جيمس بمفرده في الوقت الحالي. بدلًا من ذلك ركزتُ على خصمي. لم يكن نجاح فريقي مهمًّا بالنسبة إليَّ لكنني كنتُ مصممًا على الفوز ولو فقط من أجل مصلحتي، صررتُ على أسناني ممسكًا الكرة بجانبي ومعيدًا قدمي اليمنى إلى الخلف، بدأ قلبي ينبض بسرعة.

انطلقت الصفَّارة.

انطلقتُ بأسرع ما يمكن مدركًا بشكل خافت الصبي القادم إليَّ من الجانب الآخر. عندما جاء كان التدخل وحشيًّا، لقد ضربني حول الخصر، سلب الاصطدام أنفاسي وشعرتُ بالملعب يدور من حولي، لكنني ظللتُ أكافح للتقدم وألتفُّ حوله بغضب محاولًا الإفلات، مركزًا على خط النهاية من بعيد. وبعد لحظة لم يعد ممسكًا بي، وكنت أتقدم إلى الأمام مرة أخرى. ثانية أخرى وكانت الكرة على الخط ضاغطًا بيدي عليها.

انطلقت الصفَّارة مجددًا.

متنفِّسًا بقوة نظرتُ إلى أسفل الخط، فقط حفنة منَّا نجحوا في العبور، وكان منتصف الملعب مليئًا بالأطفال، بعضهم يقف وبعضهم الآخر لا يزال يتشبث بالأرض الصلبة. كان هيج هو من رأيتُه أولًا. كان يقف على بعد مسافة ويضحك. كان جيمس مستلقيًا على قدميه ملتفًّا حول نفسه وهو يبكي.

يلتفُّ جودبولد ببساطة حول طول الخط ويبدو غافلًا وهو يَعُدُّ الفائزين. نظرتُ إلى الوراء ورأيتُ هيج لا يزال يضحك وهو يذل جيمس.

تملكني الغضب.

نظر إلى الأعلى عندما اقتربتُ، لكنْ ليس في الوقت المناسب لتجنب الدفعة القوية التي أعطيته إياها، وهذا ما دفعه بعيدًا عن جيمس. كان التأثير بمنزلة صدمة لكلينا- لم أكن أعرف أنني سأفعل ذلك، وبدا هيج متفاجئًا بالقدر نفسه لثانية، لكن أظلم وجهه بالغضب. وظهر من العدم اثنان من أصدقائه واقفين بجانبه.

قلت بهدوء: «ما خطبكَ بحق الجحيم؟».

بسط هيج ذراعيه.

- ماذا؟ هل هو خطأي أن صديقك غريب أطوار؟

ابتلعتُ الإهانة. حتى لو كان جودبولد يشاهد فلن يتدخل- ليس حتى يصبح الأمر جادًّا على الأقل، لكنَّ الأطفال الآخرين كانوا يراقبوننا، وعرفتُ أنني لا أستطيع تحمُّل تبعية التراجع. وهذا ما يعني أنني سأُضطَرُّ إلى تلقي بعض اللكمات. أفضل ما كنت أتمناه حقًّا هو إعادة القليل من اللكمات في المقابل، ولذا شددتُ قبضتي وأجبرتُ نفسي على التحديق مرة أخرى إلى هيج.

قلت مرة أخرى: «ما **خطبك** بحق الجحيم؟».

اتخذ هيج خطوة نحوي.

- أستفعل شيئًا حيال ذلك؟

كان الحديث معدومَ الفائدة- سيكون من الأفضل فقط أن أضرب وأتمنى الأفضل. وكنت على وشك فعل ذلك عندما أصبحتُ على علم بوجود أحدهم بجانبي. نظرتُ إلى يميني ورأيتُ أن صبيين آخرين قد انضمَّا إلينا.

تشارلي كرابتري.

بيلي روبرتس.

لم أكن أعرفهما بخلاف أسمائهما، وبالكاد أعرف حتى أسمائهما. كانا يمتلكان البنية نفسها، وشاركانا عددًا قليلًا من الصفوف أنا وجيمس، لكن لم يتحدث أيٌّ منا معهما من قبل. في الواقع لم أرهما يتحدثان لأي شخص من

قبل. على حد علمي فقد كانا في جريتن بارك لسنوات، لكنْ شعرتُ أنهما كانا منفصلين عن بقية المدرسة كما كنتُ أنا وجيمس. وبدا أنهما يختفيان في أوقات الراحة وأوقات الغداء.

ومع ذلك كان واضحًا من لغة جسديهما أنهما كانا يدعمانني هنا لسبب ما. لم يكن أيٌّ منهما مقاتليْن واضحيْن إذ كان بيلي طويل القامة وأخرق ونحيفًا جدًّا بحيث لا يُشكِّل تهديدًا حقيقيًّا؛ كان تشارلي طوله مثل جيمس. لكنْ تكمُن القوة في العدد، فمع أنه كان من غير المتوقع أن يكونا بجانبي فقد كنتُ شاكرًا في ذلك الوقت.

أو على الأقل كنت حتى تحدث تشارلي.

قال: «لقد حلمتُ بك الليلة الماضية يا هيج».

بدا جادًّا لدرجة أن الكلمات استغرقت ثانية حتى نتمكن من استيعابها. لم يكن ذلك ما توقعتُ منه فعله قطُّ. تفاجأ هيج أيضًا هازًّا رأسه.

- عمَّ تتحدث يا كرابتري؟

ابتسم تشارلي بصبر كما لو كان يتحدث إلى طفل بطيء الفهم: «فقط ما قلتُه، كنتَ ملقًى على الأرض وقد تأذيتَ بشدة. كانتْ جمجمتكَ مهشمة ويمكنني أن أرى دماغك ينبض -قلبك ينبض فيه- لم يتبقَّ لديك سوى عين واحدة وظلتْ تحدق إلى وجهي. أنتَ لم تكن ميتًا لكنكَ كنتَ ستموت، وكنتَ تعرف ذلك أيضًا. كنتَ تعلم أنك تحتضر وكنتَ مرعوبًا».

رغم التفاوت في أحجامهما فلا يبدو أن تشارلي خائف ولو قليلًا من هيج، وكانت في الهواء ضجة كما لو كان يوجِّه شيئًا فظيعًا -بعض القوة الداخلية التي يمكنه إطلاقها إذا أراد ذلك- كان هيج معتادًا أكثر المواجهات الجسدية. لم تكنْ لديه أي فكرة عن كيفية الرد على شيء غريب مثل ما سمعه للتو.

هز رأسه مرة أخرى.

- أنت...

أُطلِقَت الصفَّارة خلفنا.

تراجعنا جميعًا بغريزية- جميعنا باستثناء تشارلي. ظلَّ واقفًا حيث كان بالضبط ولا يزال يبتسم محدقًا بشدة إلى هيج.

تردَّد صدى صوت جودبولد خلال الملعب: «ستة منكم نجحوا، كان من الممكن أن يكونوا تسعة لو لم يترك كرابتري وأصدقاؤه الخط. تذكروا ذلك المرة القادمة يا فتيان».

توجَّه هيج وصديقاه نحو صفهم وهو يُحدِّق إلينا من فوق كتفه، مددتُ يدي مساعدًا جيمس ليقف على قدميه.

- هل أنت بخير يا صديقي؟

- نعم.

لكن مع أنني مَن كنتُ أساعد جيمس الآن، فإنه كان ينظر إلى تشارلي، تشارلي الذي لم يزل يبتسم لنفسه. وبجانبه التقت عيني عينَ بيلي لثانية، تعبيره فارغ وغير قابل للقراءة.

صرخ جودبولد: «دعونا نجرب ذلك مرة أخرى».

***

بعد الدرس انتهى بنا الأمر نحن الأربعة إلى العودة إلى الملعب معًا. لم أشعر وكأنها مصادفة بالنسبة إليَّ، ولكنني لم أكن متأكدًا تمامًا من كيفية حدوث الأمر، فلم يبدُ أن أحدًا منَّا يبحث عن الآخر، ومع ذلك وجدنا أنفسنا بطريقة ما نسير جنبًا إلى جنب. شعرتُ حتى ذلك الحين أنه كان هناك فعلًا تخطيط لما حدث.

كان هيج وأصدقاؤه متقدمين أمامنا قليلًا، وظل هيج يلقي نظرات خاطفة علينا. تأثير ما قاله تشارلي قد تلاشى الآن واستعاد تبجحه الغاضب المعتاد.

بدا تشارلي غير مبالٍ بالاهتمام.

قال بفتور: «أتساءل كم مرة سيأتي السيد جودبولد إلى غرف تغيير الملابس بدعوى التأكد من أننا جميعًا نستحم؟».

لقد تحققتُ بسرعة للتأكد من أن جودبولد كان خارج نطاق السمع، لم يكن من الواضح أنه كان كذلك. عدتُ إلى الوراء قائلًا: «على الأقل لسنا موحلين للغاية».

ركل بيلي الأرض الصلبة: «الشيء الجيد الوحيد في الشتاء».

قال تشارلي: «لم يحنِ الشتاء بعد».

بدا بيلي متألمًا بعض الشيء: «يبدو الأمر كذلك، فإن الجو بارد مثل الشتاء».

اعترف تشارلي: «نعم هذا صحيح».

- لا أريد أن أسمع أنكَ تحلم بي أيها الأحمق.

في الأمام استدار هيج وأصبح يمشي إلى الوراء الآن محدقًا إلى تشارلي. كان يتحدث بصوت أعلى بكثير من صوت تشارلي، لذلك هذه المرة كنت مقتنعًا بأن جودبولد يمكن أن يسمع، لكن طبعًا لم يكن سيتدخل.

أصدر هيج أصوات تقبيل.

- أعلم أنك لا يمكنك تمالك نفسك رغم ذلك.

ابتسم تشارلي له:

- من قال إنني لا يمكنني تمالك نفسي؟

- ماذا؟

كرر تشارلي: «من قال إنني لا يمكنني تمالك نفسي؟ ربما **اخترتُ** أن أحلم بموتكَ، وعينكَ تنفجر ودماغكَ يتدلى من رأسك، أعني من **لن** يختار أن يحلم بذلك؟ لقد كان مشهدًا رائعًا».

رغم استعادته لشجاعته فقد شحب وجه هيج قليلًا.

- أنت **غريب الأطوار** يا كرابتري.

ضحك تشارلي: «نعم، نعم أنا كذلك».

أظهر هيج تعبيرًا مشمئزًا ثم استدار. استطعتُ أن أرى أن انتباه جيمس كان مأثورًا من قِبل تشارلي، كان يحدق إليه كما لو كان سؤالًا لم يواجهه من قبل ويحتاج إلى إجابة عنه.

قال تشارلي: «غريب الأطوار».

كان الصوت عاليًا بما يكفي لكي يسمعه هيج، يستفزه متعمدًا. وعندما وصلنا إلى الرصيف استدار هيج وبدأ في المشي إلى الخلف مرة أخرى غاضبًا من أنه استُفِزَّ. لكنْ مهما كان رده فلم أسمع ذلك قطُّ، لأنه خطا بلا تفكير إلى الطريق، اصطدمتْ به شاحنة واختفى.

كان هناك صوت صرير من المكابح. نظرتُ بخدر إلى يساري ورأيتُ السيارة تنحرف خلال الطريق، تدور الآن تاركةً الدخان في الهواء ودُوَّامة من بصمات الإطارات على الطريق الأسفلتي. توقفتْ على بعد نحو ثلاثين مترًا أسفل الشارع، ينتشر الدم ملطِّخًا زجاجها الأمامي المتشقق مثل بصمة يد هائلة على الزجاج.

عمَّ الصمت المكان لحظةً.

ثم بدأ الناس الصراخ.

- ابتعدوا عن الطريق.

بينما اقتحم جودبولد الطريق أمامنا، نظرتُ إلى تشارلي. كنتُ لا أزال مصدومًا جدًّا لدرجة أنني لم أرمشْ، ناهيك باستيعاب ما حدث للتو، لكنني أتذكَّر أن تشارلي بدا هادئًا تمامًا. كانت لديه الابتسامة نفسها على شفتيه.

كان جيمس يحدق إليه وفمه مفتوحًا في رعب وشيء يشبه الرهبة إلى حد ما.

فكرت: كانت جمجمتك مهشمة.

يمكنني أن أرى دماغك ينبض.

وأتذكر أن تشارلي نظر إلى جيمس وغمز.

5

- لقد أحببتُها حقًّا.

نظرتُ إلى الأعلى. انتهى نادي وقت الغداء للكتابة الإبداعية وكنت مشغولًا بحشر الأشياء مرة أخرى في حقيبتي من العلامة التجارية «هيد». اعتقدتُ أن الجميع قد غادر فعلًا لكن تأخرتْ فتاة في الخلف وكانت تقف بجانب مدخل الفصل الآن.

قالت ببطء أكبر: «قصتُكَ، لقد أحببتُها حقًّا».

- حقًّا... شكرًا لكِ.

جعلتني المجاملة أشعر بالحرج، وبالأخص لأنها جاءت من فتاة. كانت صغيرة مع شعر أسود حالك بدا كأنه قد قُصَّ بمقص في المطبخ، وكانت ترتدي قميصًا تحت بلوزة مدرستها.

جيني... تشامبرز؟

كان اسمها كل ما أعرفه عنها حقًّا، بقدر ما لاحظتُها على الإطلاق، يبدو أنها كانت موجودة على أطراف المدرسة، بالطريقة نفسها التي كنا بها أنا وجيمس.

انتهيت من حشو حقيبتي: «شكرًا، اعتقدت أنها كانت مقرفة».

- هذه طريقة لطيفة للرد على مجاملة.

بدت متفاجئة أكثر من مُهانة.

قلت: «آسف، من اللطيف أن تقولي هذا. أنتِ تعرفين ما يكون عليه الأمر رغم ذلك. لن تكوني سعيدة أبدًا مع ما تفعلينه».

- إنها الطريقة الوحيدة للتحسن.

- أفترض ذلك. لقد أحببت قصتكِ كثيرًا أيضًا.

- حقًّا؟

بدتْ متشككة قليلًا، لا بدَّ أنه كان واضحًا أنني قلتها بدافع الأدب ولم أستطع تذكر قصتها فعلًا. أدارت معلمة اللغة الإنجليزية لدينا «السيدة هوروبين» ناديًا للكتابة الإبداعية لمدة نصف ساعة وقت الغداء مرة أسبوعيًّا. كنا نكتب القصص مقدمًا، ويقرأها اثنان منَّا كل جلسة. كان دور جيني الأسبوع الماضي؟ أم الأسبوع الذي يسبقه؟

تذكرتُ قصتها في الوقت المناسب.

قلت: «القصة التي تتحدث عن الرجل وكلبه، لقد أحببتُها».

- شكرًا، مع أن الأمر كان يتعلق أكثر بالكلب ورجله.

- هذا صحيح.

كانت قصتها تتحدث عن رجل أساء معاملة كلبه. سحبه في كل مكان وضربه ونسي إطعامه. لكنَّ الكلب لكونه كلبًا فقد أحب الرجل على أي حال. ثم مات الرجل بنوبة قلبية في المنزل، ولأنه لم يكن لديه أصدقاء فلم يعثر أحد على الجثة لمدة طويلة لذلك اضطُرَّ الكلب -متأسفًا تقريبًا- إلى أكل الجثة. كتبتها جيني من وجهة نظر الكلب وأطلقتْ عليها اسم «**الفتى الجيد**».

كانت هناك بضع ثوان من الصمت عندما انتهت من القراءة، ثم سعلت السيدة هوروبين ووصفت القصة بأنها **معبِّرة**.

قلتُ: «لا أعتقد أن السيدة هوروبين كانت تتوقع ذلك تمامًا».

ضحكت جيني.

- نعم، لكنْ هذه هي أفضل أنواع القصص، أليس كذلك؟ أنا أحب تلك التي تأخذك على حين غرة.

- أنا أيضًا.

- **وكانت** مبنية على نصة حقيقية.

- حقًّا؟

- نعم حدث ذلك في مكان ليس بعيدًا عن هنا. من الواضح أنني لم أكن **هناك** لذلك اختلقتُ الكثير منها. لكنَّ الشرطة وجدت حقًّا ما تبقى من الرجل عندما ذهبوا إلى منزله.

- يا للعجب لم أسمع عن ذلك.

أومأتْ جيني برأسها تجاه الباب: «أخبرني أحد الأصدقاء، أستخرج؟».

- نعم.

أغلقتُ حقيبتي وغادرنا معًا.

قالت: «من أين حصلتَ على فكرة قصتك؟».

ومرة أخرى شعرتُ بلحرج. كانت قصتي تدور حول رجل يسير في القرية التي نشأ فيها شأنا طريقه إلى منزل طفولته. في رأسي هو كان مُلاحقًا لارتكابه شيئًا ما، ،أراد إعادة زيارة الماضي لمرة أخيرة -يعود إلى مكان لا يزال يشعر فيه بأن العالم منفتحًا ومليئًا بالإمكانات- لم يكن واضحًا أعاد إلى المنزل أم لا، لقد أنهيت القصة عند وصوله إلى شارعه القديم، مع صوت صفَّارات الإنذار من بعيد. لقد تظاهرتُ لنفسي بأنه من الذكاء و**الأدب** أن تكون غامضة هكذا، ولكن في الحقيقة لم أتمكن من التفكير في طريقة أفضل لإنهائها.

قلت: «هل قرأتِ رواية ،**الموقف**» (The Stand)؟».

لم أكن أتوقع منها قراءتها، لكنَّ عينيها اتسعتا.

- يا إلهي، نعم أنا أحب «ستيفن كينج»، وأنا أفهم ذلك الآن، الرجل السائر، أليس كذلك؟

جعلني حماسها أشعر بالمثل أيضًا قليلًا: «نعم، هذا الرجل عالق في ذهني حقًّا، مع أنه كما تعلمين تبين أنه الشيطان أو أيًّا كان. لكنْ في البداية عندما كان يمشي فقط، وأنتِ لا تعرفين حقًّا لماذا يفعل؟ لقد أحببتُ ذلك كثيرًا».

- لقد أحببتُ ذلك أيضًا.

- هل قرأتِ أي كتب أخرى لستيفن كينج؟

- جميعها.

- **جميعها؟**

نظرت إليَّ كما لو كانت فكرة عدم قراءتها جميعَ الكتب مجنونة: «نعم طبعًا، إنه مؤلفي المفضل، لقد قرأتُ معظمها مرتين أو ثلاث مرات، أعني **على الأقل**».

- يا للروعة.

في وقت لاحق علمتُ كم كان هذا صحيحًا. كانت جيني قارئة شرهة ويرجع ذلك جزئيًّا إلى أن أسرتها كانت فقيرة، وكانت الكتب شكلًا رخيصًا من أشكال الهروب من الواقع، لكن يرجع ذلك أيضًا إلى ما كانت عليه شخصيتها. في ذلك الوقت كنت مدهوشًا ببساطة لأنها قرأت كتبًا لـ «كينج» أكثر مما قرأتُ.

قلت: «لقد قرأتُ معظمها، **بعضها** أكثر من مرة واحدة».

- ما روايتكَ المفضلة؟

فكرتُ في الأمر: ««**البريق**» (The Shining)، ربما».

- نعم من الصعب الاختيار، أليس كذلك؟ إنها جميعًا جيدة جدًّا.

- ماذا عنكِ؟

- «**مقبرة الحيوانات**» (Pet Sematary)

- يا إلهي، إنها **فظيعة.**

ابتسمتِ ابتسامة عريضة: «أعلم، أنا أحبها، النهاية كئيبة جدًّا».

- وأنت **تحبين** ذلك؟

- بالتأكيد، من المفترض أن تكون قصص رعب، أليس كذلك؟ ومن الواضح أنها كذلك، لكنِ انظر إلى «**الموقف**» تحدث الكثير من الأشياء السيئة، ولكن في النهاية يفوز الأخيار. وفي «**البريق**» نعم إنها حزينة وكل ما يحدث للأب، ولكنَّ الطفل على ما يرام. لكنْ في «**مقبرة الحيوانات**» ليس هناك أمل على الإطلاق.

أومأتُ برأسي، لكنني أدركت أيضًا الاستسلام المحزن في الطريقة التي قالتها بها. جزء مني أراد أن يخبرها أنه يجب ألا تكون كل النهايات ميؤوسًا منها، لكن بعد ذلك خرجنا إلى الملعب الرئيسي، وواجهنا تجمع الأطفال والمناظر الطبيعية الرمادية من حولنا ولم أستطع التفوُّه بالكلمات. في الأيام العادية كان من الممكن أن أصدِّق أنني كنت سأهرب من جريتن عندما أكبر، لكنَّ الحقيقة هي أن قلة قليلة من الناس هنا سيعيشون على أي شيء سوى حياة صعبة وبائسة. لم يكن هناك سبب للاعتقاد بأنني أو جيني مميزان، أو أن نهاياتنا ستكون أكثر سعادة من معظم الناس.

نظرتُ إلى اليمين وكان جيمس ينتظرني في نهاية صالة الألعاب الرياضية. رفعتُ حقيبتي على كتفي قائلًا: «سأذهب من هذا الطريق».

- وأنا سأذهب من الطريق الآخر، هكذا تسير الأمور.

لقد بدا كشيء غريب قوله. لكن بعد ذلك تذكرتُ كيف لم أرها قطٌّ في أوقات الراحة وأوقات الغداء -كيف بدتْ وكأنها تختفي بالطريقة نفسها التي اختفيتُ بِها أنا وجيمس- تساءلتُ إلى أين ذهبتْ: ما الجزء المنسي من المدرسة الذي اعتبرتْه ملكها، وما الذي فعلتْه هناك.

قالت: «هل قرأتَ رواية «**مخلب القرد**» (The Monkey's Paw)؟».

- لا أعتقد ذلك، هذه ليست لستيفن كينج، أليس كذلك؟

- لا، إنها قصة قصيرة، ولكنها أقدم. تشبه تمامًا «**مقبرة الحيوانات**» قد تعجبك.

- تبدو جيدة.

- إنها كذلك، وهي لديَّ في المنزل. يمكنني إحضارها لك لتقترضها؟ أعني فقط إذا أردتَ.

ربما يضيف بعض الأشخاص السؤال في النهاية لتجنب الإحراج من الرفض، لكنَّ جيني بدت مرتاحة حيال ذلك -كما لو كان الأمر لا يهمها حقًّا بطريقة أو بأخرى- لقد أعطت انطباعًا على أنها انطوائية من قبل، لكنْ كان من اللافت للنظر من التحدث معها كم بدت واثقة بنفسها وعلى وفاق مع ما كانت عليه. كان الأمر كما لو أن العالم كان شيئًا يمكنها أخذه أو تركه، وشعرتُ وكأنه نوع غريب من الامتياز أنها اختارتني لتتواصل معي.

قلت: «نعم، أود ذلك حقًّا».

ثم ذهبتُ لمقابلة جيمس.

وتشارلي وبيلي طبعًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

***

في الأسابيع والأشهر التي أعقبتْ حادث هيج بدأنا نحن الأربعة في التسكع معًا.

لم أكن متأكدًا قطُّ من كيفية حدوث ذلك، كان الأمر إلى حد ما مثل كيف وجدنا أنفسنا نسير عائدين من الميدان معًا في ذلك اليوم -كما لو كان الأمر مصادفة فقط- لكنني أعلم أنه كان في الغالب بسبب جيمس، أصبح مفتونًا بتشارلي بعد ما حدث في ذلك اليوم، وشجَّع تشارلي الاهتمام، وكان الانجذاب بينهما هو الذي أدخلنا نحن الأربعة تدريجيًّا في مدار أقرب. بدأنا في قضاء المزيد من وقتنا معًا. في عطلات نهاية الأسبوع كان تشارلي يأخذنا في رحلات إلى الغابة متحدثًا عن الأشباح، وفي المدرسة قضينا أوقات الغداء في الغرفة C5b.

كانت الغرفة في قبو المدرسة أسفل درج منعزل في نهاية الممر الرئيسي. أتذكر أنه كانت في الأسفل فجوة مظلمة، مع مصعد قديم بدا كأن أبوابه ستُحدِث صرير إذا فُتِحَتْ. بقدر ما أستطيع التذكر فلم تكن أعلاه أبواب

مقابلة، لذلك افترضتُ أنها يجب أن توصل إلى طابق سفلي حتى أسفل القبو. ربما غرفة المرجل. مكان رطب ومبلل مليء بالأنابيب الصدئة.

كان الباب الآخر الوحيد هناك هو الغرفة C5b التي تخيلتُ أنها كانت فصلًا دراسيًّا ذات مرة. كانت في المقدمة صفوف مائلة من المكاتب المتربة، لكنْ في الجزء الخلفي من الغرفة أيضًا كراسي مريحة، وهذا ما يمنحها شعورًا بأنها متداعية ومجزأة، كما لو أن الأثاث قد جُمِعَ من مختلف المحال التجارية المستعملة على مدى سنوات. كانت الغرفة مثل جزء من المدرسة قد نُسِيَ، وأعتقد على هذا المستوى أنها كانت مكانًا مناسبًا لنا نحن الأربعة. كنا نلتقي هناك ونتجول حولها ونحن نتناول الغداء وندردش، في بعض الأحيان كنا نستخدم قطع الطباشير القديمة لكتابة كلمات الأغاني على السبورة في المقدمة. لفرق الروك «نيرفانا» و«بيرل جام» و«فيث نو مور». مهما كان ما كتبناه فقد ظلَّ هناك حتى نمحي الكلمات ونكتب شيئًا آخر.

كان تشارلي وبيلي هناك فعلًا عندما وصلتُ أنا وجيمس في ذلك اليوم؛ بيلي يجلس متراخيًا على كرسي بذراعين يقرأ إحدى مجلات «البنادق والذخيرة» التي كان مهووسًا بها. نظر إلى الأعلى لمدة وجيزة للتأكد من أننا لسنا معلمًا قادمًا لطردنا جميعًا ثم واصل القراءة. أما تشارلي في مقعده المعتاد في أقصى نهاية الغرفة، في الأعلى خلف المكتب الانفرادي المصنوع من خشب البلوط. لم ينتبه لنا على الإطلاق، كان جُلُّ انتباهه منصبًّا على دفتر ملاحظات على المكتب أمامه، حاملًا قلمًا فوق الصفحة كأنه مستعد لترك ملاحظة حاسمة.

قدتُ الطريق خلال متاهة الأثاث.

- مرحبًا يا رفاق، كيف الحال؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

استهجن بيلي بنظرة مُتجهِّمة على وجهه كما لو كان طُلِبَ منه شيء ما. ولأنه كثيرًا ما كان ينظر بهذه الطريقة فقد كان من المستحيل الجزم بذلك. لم يُجِب تشارلي بعد، لكن عند وصولنا إلى الجزء الخلفي من الغرفة قطب حاجبيه ثم كتب شيئًا بعناية في دفتر الملاحظات.

جلستُ على أحد الكراسي ذي الذراعين مقابل بيلي وأخرجتُ الغداء المعلَّب الذي أعددته لنفسي ذلك الصباح، وتجاهلتُ تشارلي بالمقابل. لقد اعتدتُ هذا النوع من السلوك. بين الحين والآخر كنا نصل لنجد تشارلي يفعل شيئًا غامضًا بوضوح جدًّا. لكنْ بينما آكل لاحظتُ الفضول في تعبير جيمس، واضطررتُ إلى قمع شعور الانزعاج الذي أحدثه. لقد أصبح متأثرًا جدًّا بتشارلي وهذا لم يَرُقْ لي. بينما كنت مستعدًّا لأتسلى بغرابة تشارلي، كنت أتأكد دائمًا من إدارة عيني في عقلي، في حين كان من الواضح أن جيمس كثيرًا ما كان يعتقد أن تشارلي مهمٌّ تمامًا كما اعتقد الفتى بنفسه. ولأسباب وجدتُ صعوبة في التعبير عنها فقد أزعجني ذلك.

قال جيمس أخيرًا: «ماذا تفعل يا تشارلي؟».

لوى بيلي قسمات وجهه لكنه لم يُبعِد نظره عن مجلته: «لقد سألتُه ذلك فعلًا، إنه **سر**، على ما يبدو».

تنهَّد تشارلي واضعًا قلمه على المكتب.

قال: «هذا ليس **سرًّا**، كنتُ أركز. عندما تفكِّر في شيء مهم فأنت تريد الاستمرار دون أن تُقاطع».

تمتم بيلي: «يا إلهي، أنا آسف».

- بالطريقة نفسها التي لن تريدني أن أقاطع... أيًّا كان ما تقرأه.

نظر بيلي إلى المجلة ثم أغلقها.

ابتسم تشارلي لجيمس.

- كنتُ أكتب في مذكرات أحلامي.

- ما مذكرات الأحلام؟

حمل تشارلي دفتر الملاحظات.

- كل صباح، أكتب ما كنتُ أحلم به في الليلة السابقة.

تناولتُ قطعة شطيرة: «إنه ليس الصباح».

- لم أقل إن هذا ما كنتُ أفعله **الآن.**

ابتلعتُ، إن هذا صحيح بشكل مزعج.

قال جيمس: «لا أتذكر أحلامي قطُّ».

وضع تشارلي دفتر الملاحظات: «معظم الناس لا يستطيعون، اعتدتُ أن أكون كذلك أيضًا. تُخزَّن الأحلام في الذاكرة قصيرة المدى ولهذا السبب من المهم تدوينها بمجرد أن تستيقظ قبل أن تُنسَى. إذا لم تفعل فإنها تختفي إلى الأبد».

لقد قاومتُ الرغبة في إدراة عيني فعليًّا. لقد اعتدتُ افتتان تشارلي بالهراء الغامض. كان يجلب كتبًا عن السحر والشيطانيات إلى المدرسة، لكنني اعتقدتُ أن المغزى الحقيقي له هو أن يُرى يقرأها أكثر من كونه ناتجًا عن اهتمام حقيقي -أنه كان جزءًا من شخصية يحب أن ينميها- كان تشارلي أكثر من سعيد بأن يعتقد الناس أنه قضى أمسياته جالسًا متربعًا داخل شكل خماسي مرسوم بالطباشير محاطًا بالشموع. لكن عادةً ما كان يحب أن تتمتع سمعته بمزية أكثر من هذا.

قلت: «إذن ماذا كنتَ تفعل؟».

نظر إليَّ: «أبحث عن الأنماط، تدوين ملاحظات حول ما اكتشفتُه. بمجرد أن تبدأ في فعل ذلك ستبدأ في ملاحظة الأحلام نفسها التي تظهر مرارًا وتكرارًا. المواضيع نفسها والأماكن نفسها والناس أنفسهم».

- وماذا في ذلك؟

- إنه يساعد على **الحضانة.**

ابتسم تشارلي.

وترددتُ لحظةً، الشطيرة في منتصف الطريق إلى فمي. لقد بدا الأمر كتلك المرة عندما تحدث إلى هيج يوم وقوع الحادث؛ قائلًا شيئًا غير متوقع وغريبًا بما يكفي لإيقافك عما تفعله.

الحضانة.

لم تعجبني الكلمة. جعلتني أفكر في شيء فظيع يُزرَع في جرة. وطبعًا أدركتُ أنني كنت مخطئًا في ذلك الوقت- بعد ما حدث لهيج، كانت الأحلام في الواقع لها مزية عندما يتعلق الأمر بتشارلي.

بدا جيمس غير مرتاح أيضًا.

- ماذا تعني **الحضانة**؟

قال له تشارلي: «التأثير في ما تحلم به، وهذا ما يساعد على إيقاظ الجلاء. هل تعرف ما الحلم الجلي؟».

هز جيمس رأسه.

- إنه عندما تدرك أنك تحلم وأنت داخل الحلم. تقريبًا كما لو كنتَ تستيقظ داخل حلمك ولكنكَ تبقى نائمًا. بمجرد أن تفعل ذلك فأنت تتحكم في ما يحدث. يمكنكَ أن تفعل أي شيء تريده وعيش أي تجربة تريدها، وجعل عالم أحلامك كما تريده أن يكون بالضبط. أي شيء يمكنك التفكير فيه يمكن أن يكون حقيقيًّا.

نظرتُ إلى جيمس ورأيتُ أنه يفكر في ذلك، وتساءلتُ عمَّا سيختار أن يفعل إذا كان بإمكانه فعل أي شيء على الإطلاق. ينتقم من المتنمرين الذين عذَّبوه؟ أم سيتصور حياة منزلية أكثر سعادة؟ أم الهروب من جريتن تمامًا؟ تخيلتُ أن الفكرة يجب أن تروق له، ولم تعجبني الطريقة التي كان يحدق بها إلى تشارلي كما لو أنه عُرِضَ عليه للتو شيء سحري.

قلتُ: «ما زالت مجرد أحلام، عندما تستيقظ لن تجد الأمر كما لو كان مهمًّا. لن يغير أي شيء».

نظر إليَّ تشارلي لحظةً، تعبيره بدا فارغًا تمامًا، لكن كان هناك اتجاه خفي له جعلني على الحافة، كما لو أنني ارتكبتُ نوعًا من التجاوز من خلال تحديه.

قال: «ماذا تقصد؟».

استهجنتُ: «هذا فقط. إنها مجرد أحلام، لن تُحدِث أي فرق».

ابتسم تشارلي حينها، ولسبب ما أثار ذلك أعصابي أكثر مما فعل تعبير وجهه الفارغ. كانت الابتسامة نفسها التي أظهرها لهيج في ذلك اليوم التي أشارت إلى أنه كان متقدمًا عليَّ كثيرًا، وأنني قلت شيئًا بسيطًا وصبيانيًّا هو نفسه قد تجاوزه منذ وقت طويل.

إنها مجرد أحلام.

ابتسامة تقول إنه يعرف سرًّا لم أعرفه.

6

الحاضر

عملتْ أماندا لوقت متأخر في تلك الليلة.

أغلقتِ الستائر في مكتبها وأطفأتِ الضوء بحيث تصدُر الإضاءة الوحيدة في الغرفة من شاشة الكمبيوتر على مكتبها ومصباح موضوع بزاوية جانبها. ربما لم يكن الترتيب جيدًا لبصرها، لكنها كانت تحب العمل بهذه الطريقة إذا أمكنها. ركَّزت انتباهها وجعلت بقية العالم يذهب بعيدًا، سمح لها ذلك بالتفكير.

ما كانت تفكر فيه الآن هو مذكرات الأحلام.

بدا المفهوم سخيفًا بالنسبة إليها. كانت المذكرات اليومية غريبة بما فيه الكفاية -إذا حدث شيء لم يكن مهمًّا بما يكفي لتذكره في **رأسك فعلًا-** فما الهدف من كتابته؟ كانت فكرة المضيِّ قدمًا وتسجيل أحلامك بعيدة جدًّا خارج الكوكب حيث احتاجت إلى تلسكوب لرؤيتها. لكن يبدو أن هذا ما كانت تنظر إليه الآن.

بينما لم يكن روبي فوستر يتعاون، وإليوت هيك كان في حالة هستيرية حَدية، فإن الشرطة قد تمكنت من وضع جدول زمني تقريبي للأحداث، وتعرف أماندا الآن المزيد عما حدث. قرب منتصف النهار ذهب هيك وفوستر إلى المحجر مع صديق لهما يدعى «مايكل برايس»، وقد قتلاه هناك. بعد

ذلك تناولا الحبوب المنومة وعندما استيقظا في النهاية تجولا خلال الأرض المهجورة ملطَّخيْن بالدماء وتائهيْن، وعند هذه النقطة رُصِدَا من أحد العامة القلقين. كان كلا الولدين يحمل سكينًا وكتابًا. لم ينكر أي منهما القتل، وبينما سيأخذ الطب الشرعي وقتًا، لم يكن لدى أماندا أدنى شك في أن المراهقيْن مذنبان. كان لديها **الفعل والفاعل**.

ما لم تفهمه بعد هو **السبب**.

كانت قد اجتمعتْ مع رئيسها، رئيس المفتشين «كولين ليونز» قبل ساعة، كان ليونز وغْدًا سيئ السمعة، وكانت تعرف جيدًا الحسابات التي كانت تدور في رأسه في ذلك الوقت. كانت هناك جريمة قتل على شارته التي بدت سيئة، لكنَّ القتلة كانوا محتجزين فعلًا ويبدو أنه لا يوجد خطر على المجتمع. ستكون الإدانات قوية ونتيجة لذلك سيبدو القسم بمظهر جيد. كان الصبي ميتًا أساسًا، لكنَّ الأمور كان من الممكن أن تكون أسوأ.

كانت هذه هي الطريقة التي يعمل بها عقل ليونز -وبينما لم يكن والدها بالتأكيد وغْدًا فقد تخيلت أماندا أن الرجلين سيفهمان بعضهما على الأقل- **السؤال عن السبب** لم يكن بالضرورة سؤالًا مهمًا. الدوافع والأسباب والحيثيات -كان دائمًا ما يتضح أنهما مبتذلان ومخيبان للآمال- ما التفسير المحتمل للرعب الذي رأته في المحجر بعد ظهر ذلك اليوم الذي قد يكون منطقيًّا؟ السؤال عن السبب كان مثل الغوص في ثقب أسود. كلَّما تعمقتْ قلَّ الضوء الذي وجدتْه.

لكنها اضطُرَّتْ إلى النظر.

وقد وجدتْ ظلامًا يصعب فهمه. أخذ فوستر وهيك مذكرات أحلامهما معهما إلى مسرح الجريمة، وعلى المكتب أمامها الآن توجد نُسخ مطبوعة من آخر مُدخلات كُتِبَتْ. قرأتْ ما كتبه الولدان في ذلك الصباح.

روبي فوستر أولًا:

أنا في المحجر، الضوء غريب. أؤدي خدعة الأنف وتقنية البيئة المحيطة لتحقيق الاستقرار ثم أسير إلى المسرح. إليوت ينتظرني، يبدو ضبابيًّا، لكن يمكنني الجزم أنه موجود فعلًا. (كلانا يضع يديه على الأرض) «أ.ح» يراقبنا من بين الشجيرات وكدت أرى وجهه. يراه إليوت أيضًا، وكلانا يعلم أن الوقت قد حان.

ثم إليوت هيك:

أنا على المسرح في المحجر، الهواء له لون غريب. يصل روبي بعد لحظة، ووازنَّا بعضنا بوضع أيدينا على الأرض، يستغرق الأمر بعض الوقت لكن بعد ذلك شعرت بـ أ.ح. ما زلتُ لا أستطيع رؤية وجهه لكنه بين الشجيرات في أحد الجوانب. روبي يبتسم لي. لقد أعددنا كل شيء بعناية ونعرف بالضبط ما يجب فعله، تمامًا كما أخبرنا تشارلي. كلانا يعلم أن اغد هو الوقت المناسب.

اتكأتْ أماندا على كرسيها.

مع أخذ المُدخلات بظاهرها، يبدو أن كلا الصبيين قد حلما بالشيء نفسه. باستثناء أن الحسابات لم تكن متطابقة. كان الأمر أشبه بحدث يُوصَف من منظورين مختلفين. كما لو أن هيك وفوستر كانا في الحلم نفسه معًا.

من الواضح أن هذا لم يكن ممكنًا.

طبعًا كان على الولدين أن يكونا واهمين ليفعلا ما فعلاه، وأكثر ما يثير اهتمامها هو التفاصيل الأخرى هناك. ماذا يعني أ.ح؟

ومن كان تشارلي؟

أيًّا كان من هو، فإن مدخل هيك على وجه الخصوص يشير إلى أن الاثنين كانا يتبعان تعليمات منه، وهذا بدوره يشير إلى أن القتل قد لا يكون مضبوطًا تمامًا كما كان يأمل ليونز.

وضعتْ أماندا المطبوعات في أحد الجوانب ووجَّهت انتباهها إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها، وفتحت ملف القضية الذي كان يُبنَى خلال الإنترنت. استُولِيَ على أجهزة الكمبيوتر المحمولة الخاصة بـ هيك وفوستر في وقت سابق. كان كلا الجهازين ينتظران التحليل الكامل، لكنْ لديها قائمة بأنشطة التصفح الخاصة بهما؛ الاثنان يترددان على مواقع مختلفة خلال الإنترنت. ومن خلال التدقيق في التفاصيل الآن يبدو أن أحد المنتديات المحددة قد جذب غالبية اهتمامهم.

غير المحلول والمجهول

كتبت أماندا العنوان في متصفحها الخاص.

قابلها موقع جريمة حقيقي يبدو رخيصًا، كُتِبَ العنوان في الأعلى باللون الأحمر، كما لو كان مكتوبًا عن طريق غمس طرف الإصبع في الدم، وتحته كان هناك عدد هائل من المنتديات الفرعية. رُتِّبَتِ المجلدات حسب التسلسل الزمني لأحدث منشور، ولفت انتباهها على الفور المجلد الموجود في أعلى الصفحة.

كرابتري / روبرتس - «أ.ح»

لا يمكن أن يكون استخدام أ.ح مصادفة. نقرت ثم واجهت جدارًا آخر من المنشورات، ولكل منها ردود عدَّة خاصة بها. كانت القليلة الأولى بخط مائل -سلسلة تدوينات قديمة مثبتة كما افترضت- لكنَّ قلبها خفق عندما نقرتْ على أحدث منشور أدناه وبدأت في قراءة السلسلة.

242LP: يا رفاق، لقد تلقيتُ للتوِّ أخبارًا عن جريمة قتل في فيذربانك، إنه ليس بعيدًا عن المكان الذي أعيش فيه، وهذا سبب معرفتي. لا توجد تفاصيل عن الضحية حتى الآن لكن الشائعات المحلية تشير إلى أنه مراهق والشرطة لديها صبيان رهن الاحتجاز. من المحتمل كونهما RF@532 وEH@808 أعتقد؟ لم يكونا متصلين بالإنترنت ايوم على حد علمي. أتمنى ألا يكونا قد فعلا شيئًا غبيًّا؟ أحاول معرفة المزيد.

KH854: لا توجد منشورات حديثة يمكنني العثور عليها أيضًا. الجريمة نفسها موجودة في الأخبار، لكنْ لا يوجد اتصال بـ أ.ح يمكنني العثور عليه حتى الآن؟ دعونا لا نقفز إلى الاستنتاجات. @RF532 و@ EH808. تحققا معنا يا رفاق!

SR483: تعاطفي مع الوالدين المسكينين بصرف النظر. تحفظاتي على @RF532 و@EH808 هي مسألة ثابتة. ربما أيضًا قد تنعكس التعديلات فيما إذا حان الوقت أخيرًا لحضر @CC666؟ لأنه إذا كان هذا صحيحًا إذن @CC666 يداه/ا ملطختان بالدماء.

LP242: حسنًا، تحدثتُ إلى مصدر في مجال إنفاذ القانون أثق به. أُعلِنت أسمء الضحية والمجرمين على نطاق واسع محليًّا. قيل إنه قُطِعَ رأس الضحية تقريبًا، وعُثِرَ على مذكرات أحلام ِبصمات اليد على الأرض. إنه مئة بالمئة أ.ح، لكنَّ الشرطة إما أنها خجولة وإما لم تعمل الرابط. اللعنة يا @RF532 و@EH808 نحن جميعًا نتحدث بالهراء هنا،لكنني لم أعتقد قطُّ أنكما

ستتماديان في ذلك. فليرقد الطفل المسكين الذي قتلتماه في سلام وآمل أن تتعفنا يا رفاق في الجحيم.

قرأتْ أماندا سلسلة المنشورات بالكامل مرة أخرى.

@CC666 يداه/ا ملطختان بالدماء.

تحققتْ من الوقت والتقطتِ الهاتف.

عمل المحقق «ثيو روان» في قبو القسم، وكان يشار إلى مكتبه عادة باسم «الغرفة المظلمة»، وكان سبب التسمية مزدوجًا. جاء ذلك من قلة النوافذ والضوء الطبيعي هنا، وكذلك العمل الذي عمله ثيو وفريقه بداخله. عرفت أماندا أن العديد من الضباط في القسم اعتقدوا أن ثيو كان مخيفًا، لذا اعتقدتْ أن هذا عادل بما فيه الكفاية. إذا احتفظ بعض الناس بصناديق مخاوف مغلقة في رؤوسهم، فعلى الأرجح أن ثيو يحتفظ بصندوق سيارة.

لكنه كان كفؤًا، ففي غضون عشرين دقيقة من مكالمتها إياه وصل بريد إلكتروني إلى صندوق الوارد الخاص بها يحتوي على مجموعة كاملة لجميع منشورات ورسائل هيك وفوستر على موقع **غير المحلول والمجهول**. كانت ترمش وهي تستوعب حجم المواد: أُرفِقَتِ الرسائل في وثيقة «وورد» التي يبلغ حجمها ما يقارب المئة صفحة. من الواضح أن الاثنين كانا مشاركين نشطين في المنتدى.

تصفَّحت أماندا إلى الأسفل وبدأت في القراءة بعشوائية.

RF532: نجاح محدود مع الأحلام الجلية حتى الآن. بعض الخبرة من أ.ح ولكن @EH808 وأنا ما زلنا نعاني مع الاتصال، أي نصيحة؟

PT109: من الصعب القول. يبدو أنك تحرز تقدمًا، لكن لا تجري قبل أن تتمكن من المشي أولًا. حافظ

على المذكرات والحضانة وستصل أنت و@EH808
إلى هناك! تحلَّ بالإيمان يا أخي.

قرأتِ العديد من الرسائل المماثلة التي كانت ملتوية بالقدر نفسه، ولكنها أشارت جميعها إلى الاستنتاج نفسه. كان فوستر وهيك منخرطين في نوع ما من التجارب، وكانا يسعيان للحصول على المشورة والمساعدة في فعل ذلك في هذا المنتدى. لكن كان من الصعب فهم ما كان عليه الأمر.

إضافة إلى ذلك فقد اتخذ منشورٌ منعطفًا أكثر شرًّا.

RF532: هل يمكن لأي شخص تأكيد الشكل الدقيق للسكين التي استخدمته CC وBR؟ شكرًا مقدمًا.

FG634: أنا أستطيع! كانت سكين صيد نوع (Ithaca S3) كانت هناك حفنة من الصور في تغطية الصحف في ذلك الوقت. سأرفق بعض اللقطات القديمة التي أخذتها. أنشرها للمعلومات فقط كما هي الحال دائمًا. بالتوفيق.

[صورة مرفقة]

[صورة مرفقة]

لم تكن الصور مُضمَّنة في الوثيقة. لكن بعد بضع دقائق في منشور منذ شهرين وجدتْ ما كانتْ تبحث عنه.

FR532: أحتاج إلى نصيحة، EH808@ وأنا نحقق الآن نجاحًا مستمرًّا. أحلام جلية مشتركة كل ليلة، أ.ح وإلخ. الآن أفكر في المستوى التالي ولكنني متوتر قليلًا بالنظر إلى المحاولات الفاشلة في الماضي. ما الذي تعتقدونه جميعًا قد حدث خطأ حينها؟ لماذا نجح مع CC وليس مع BR والآخرين؟ النظريات مرحب بها.

CC666: كنت هناك، راسلني.

نظرتْ أماندا إلى الشاشة، كان هذا هو الإسهام الوحيد في السلسلة من قِبل المستخدم المعروف باسم CC666. هناك حفنة من المنشورات بعد ذلك، من بين ذلك تعليق من 483SR يعرب فيه عن تحفظاته بشأن سؤال فوستر وطلب المشورة من المسؤول. لكن لا شيء يبدو أنه نتج من ذلك، ولم يرد فوستر ولا هيك على السلسلة مرة أخرى.

كنت هناك، راسلني.

أُرفِقَ سجل الرسائل المباشر للصبيين على الموقع في الجزء الخلفي من الملف. تصفحتْ أماندا وصولًا له، وسرعان ما وجدت الرسائل المتبادلة بين فوستر وهيك ومن كان ينشر كأنهCC666. تناولتِ السلسلة عدة صفحات.

[المشاركون]: CC666@، EH808@، RF532

RF532: مرحبًا CC666، ماذا تعني بقولكَ إنك كنتَ هناك؟

CC666: أنت تعرف ما حدث في جريتن، هذا كل شيء أنا مستعد لقوله، لكنْ إليك دلالة. يمكنكَ القراءة بين السطور واتخاذ قرار بنفسك. هل تريد الإجابة عن سؤالك أم لا؟

كان هناك مرفق بتلك الرسالة بالذات: [صورة مرفقة] لم تستطعْ أماندا فتحها مباشرة من المستند، ولكنْ من الرسائل التي تلتْ ذلك بدا أن فوستر وهيك قد أُعجِبا بالمحتويات.

RF532: نعم.

CC666: جيد. لم ينجحِ الأمر مع بيلي أو الآخرين لأنهم لم يؤمنوا كفايةً. لكنها نجحتْ معي، ويمكن أن تنجح معكما. تحتاجان فقط إلى اتباع التعليمات.

تابعت أماندا القراءة وازداد شعورها بالاشمئزاز.

بعد مدة أغلقتِ النصوص وفتحتْ قاعدة البيانات الوطنية باحثةً عن تفاصيل جريمة مختلفة في مكان مختلف. لم تسمع عن جريتن من قبل. اتضح أنها مدينة صناعية على بعد مائة ميل شمال فيذربانك. قبل ربع قرن ارتُكِبَتْ جريمة قتل هناك.

فتحت الملف.

ثم انحنت أقرب إلى الشاشة، غير قادرة على تصديق ما تراه عيناها. كانت هناك صورة أُخِذَتْ منذ سنوات، لكنها ربما جاءت من فيذربانك في ذلك اليوم بالذات. أظهرت الصورة ملعبًا. لُفَّتِ الجثة هناك تحت أحد الحواجز القريبة، ربما في محاولة فاترة لإخفائها، وكانت الأرض مطلية بمئات البصمات الدموية.

قرأت ما حدث.

بعد ظهر يوم وقوع الجريمة اعتُقِلَ مراهق يدعى بول آدامز للاشتباه في ارتكابه جريمة قتل. لكن أُطلِقَ سراحه في ذلك المساء، عندما تجول صبي يدعى بيلي روبرتس في القرية ملطخًا بالدماء وحاملًا كتابًا وسكينًا، واعترف

بالجريمة. قتل هو وصبي يُدعى تشارلي كرابتري أحد زملائهم في الملعب في ذلك اليوم.

كان لدى الشرطة في جريتن **الفعل والفاعل** على الفور تقريبًا، لكن استغرق ظهور **السبب** وقتًا أطول قليلًا- وهي قصة جُمِّعَتْ تدريجيًّا على مدار الأيام والأسابيع التي تلت ذلك.

في الأشهر التي سبقت الجريمة قد أصبح تشارلي كرابتري وبيلي روبرتس مهووسين بالحلم الجلي. لقد احتفظا بمذكرات. اعتقدا أنهما يتشاركان الأحلام نفسها في أثناء النوم. وبمرور الوقت استحضرا شخصية غامضة حكمت هذه المملكة الخيالية، يعد القتل تضحية له. من خلال فعل ذلك، اعتقدا أنهما سيختفيان من العالم الحقيقي ويعيشان -بكل قوة- في أرض الأحلام إلى الأبد.

بعد ارتكابهما الجريمة سار الصبيان إلى الغابة القريبة حاملين سكاكينهما ومذكرات أحلامهما، وتناولا حبوبًا منومة وسقطا في النوم بين الشجيرات. استيقظ بيلي روبرتس بعد ساعات وعاد إلى القرية، حيث قُبِضَ عليه على الفور.

لكنْ لم يُقبَضْ على تشارلي كرابتري.

لأنه اختفى من على وجه الأرض ولم يُرَ مرة أخرى.

الجزء الثاني

7

الحاضر

في الأيام القليلة الأولى بعد عودتي إلى جريتن أمضيتُ وقتي متنقلًا بين المنزل ودار رعاية المسنين.

استمرَّتْ صحة والدتي في التدهور. كانت نائمة خلال معظم زياراتي، وشعرتُ بالذنب بسبب الارتياح الذي شعرتْ به جراء ذلك. بينما قلت لنفسي إنه من الأفضل لها أن تستريح، علمتُ أنني كنت خائفًا أيضًا مما قد تقوله إذا استيقظت في المرات القليلة التي كانت فيها، وجدتُ نفسي أحبس أنفاسي في انتظار قولها شيئًا آخر عن الماضي الذي اتخذتُ قرارًا واعيًا بالابتعاد عنه وتجنبه، ولكنه لم تفعل. في أغلب الأحيان كانت مرتبكة ولا يبدو أنها تتعرَّفني على الإطلاق، كان الأمر كما لو كنت غريبًا- وأفترض أنني فعلًا كنت كذلك، كانت فكرة أتت بجزء من الذنب من اتجاه مختلف، وهذا ما جعلني مرتبكًا أيضًا. لم أكن أعرف ما أريد حدوثه. ولم أكن أعرف ماذا أقول أو ما أردت سماعه.

بعد زيارتها كنتُ أذهب إلى حانة قريبة لبعض الوقت. لقد كان مكانًا محليًا أتذكر التسلل إليه عندما كنت مراهقًا، وقد تغير أكثر مما فعلت. الأرض المغطاة بالبصق ونشارة الخشب في ذلك الوقت، صارت حانة رياضية الآن مصقولة ومتقنة، خشب الديكور الداكن والإضاءة ناعمة. لم تكن مزدحمةً قطُّ

في وقت ما بعد الظهر. كنتُ أجلس إلى طاولة مع كأس من البيرة، مستمعًا إلى صدع كرات البلياردو من مكان ما في أقصى نهاية الغرفة، ولمدة ساعة أو نحو ذلك أحاول ألا أفكر في أي شيء على الإطلاق.

لأنه في المنزل كانت الذكريات في كل مكان.

لقد أعدتُ ممتلكاتي القديمة إلى الصندوق، لكن كان بإمكاني دائمًا الشعور بها في الداخل -خفقان مستمر من التهديد صادر من جميع أنحاء الغرفة بجانب المكتب- ويبدو أن شبح الصبي الذي كنت أتخيله جالسًا هناك أصبح حقيقيًّا أكثر يومًا بعد يوم.

تذكرتُ وقت الغداء عندما بدأ تشارلي التحدث إلينا أول مرة عن الأحلام -عن الحضانة- وكيف وجدتني جالسًا على المكتب في منتصف الليل من ذلك اليوم. كان دائمًا الوقت المفضل لديَّ من اليوم. أنجزتُ الأعمال والواجبات المنزلية، والمنزل صامت؛ والداي نائمان. كنت أتسلل من السرير مشعلًا المصباح وأعمل على قصصي. كان لديَّ الكثير من الدفاتر، أبقيتها مخفية بعيدًا في درج المكتب لأن والدي لم يكن ليتردد في قراءتها إذا وجدها، ويمكنني بسهولة تخيل السخرية على وجهه إذا فعل.

لكن في تلك الليلة كان دفتر الملاحظات أمامي جديدًا.

الأحداث التي حدثتْ في وقت الغداء كانت كما توقعتُ تمامًا. قرَّر تشارلي أننا جميعًا سنفعل شيئًا ما، ومن ثَمَّ اتفقنا في النهاية على مواكبته. حتى العملية كانت متوقعة. كان جيمس مهتمًّا، وهذا ما يعني أن بيلي -حريص ألا يُستبدَل في شعور تشارلي- انضمَّ أيضًا. تركني ذلك بمفردي وفي النهاية استسلمت.

أحلام جلية.

بقدر ما استخففتُ به في ذلك الوقت فقد أثار التفكير فيه اهتمامي. بالنظر حول غرفة نومي المترَّبة الرديئة، وبالتفكير في بؤس حياتي المنزلية، والعالم السطحي الرمادي المهزوم من حولي، كانت فكرة القدرة على الهروب من كل

شيء وتجربة كل ما أريد ساحرة. شعرتُ أنها قد تكون الطريقة الوحيدة التي سأفعل ذلك من خلالها.

أخبرنا تشارلي أن أول شيء نحتاج إلى فعله هو الاحتفاظ بمذكرات أحلام. وبعد أسبوع يجب أن نقرأ المُدخلات ونبحث عن الأنماط. بهذه الطريقة سيكون من المرجح أن نتعرَّفها في المستقبل، وعند هذه النقطة سندرك أننا كنا نحلم وسنكون قادرين على السيطرة.

كنتُ مستلقيًا على السرير في تلك الليلة محدقًا إلى السقف القديم لمدة من الوقت، ثم أغلقتُ الضوء باستخدام الحبل المتدلي بجوار اللوح الأمامي. أوضح تشارلي أننا بحاجة إلى إخبار أنفسنا بشيء ما قبل نومنا كل ليلة. لقد كانت الحضانة -إشارة إلى العقل الباطن- وبينما قد تشعر كما لو أن الكلمات لا تذهب إلى أي مكان، فإن شيئًا عميقًا بداخلنا سيسمعها ويستجيب لها.

قلتُ لنفسي: **سأتذكر أحلامي**.

وقد نجح الأمر. فعندما استيقظتُ في صباح اليوم التالي، كنت أتذكر أكثر من المعتاد. عندما جلست على مكتبي مع دفتر الملاحظات أولًا بدأت الصور بالظهور، كل واحدة تؤدي إلى التي تسبقها، كما لو كنت أنتشل نفسي على طول حبل الليل.

في الحلم الذي تذكرتُه بوضوح كنتُ في سوق خارجي غريب. كان الوقت ليلًا هناك، وكنت أركض في الممرات الضيقة خلال الأكشاك التي كانت مظلمة بحيث يصعب رؤيتها جيدًا. كان هناك أشخاص يتجولون حولي، رماديون وغير واضحين كالأشباح، وعرفتُ أنني بحاجة إلى الخروج من هنا، وأن هناك **شيئًا آخر** معي، كان بإمكاني سماعه يفر ويتدافع بغضب وعشوائية على طول الممرات القريبة، ويطاردني مثل مينوتور[1] في متاهة. ومع ذلك فقد بدا كل ممر متشابهًا، ومهما أخذت منعطفات بدا أنه لا يوجد مخرج.

وعرفت أنني لا أستطيع الهروب من هذا المكان بمفردي.

(1) أسطورة إغريقية تحكي عن وحش هائل مكون من نصف إنسان ونصف ثور.

كنت في السوق المظلم.

***

لكنْ لم تكن الذكريات البالغة من العمر خمسة وعشرين عامًا هي التي ملأت المنزل الآن. كان هناك أيضًا صمت معلَّق في كل غرفة، والذي بدا أثقل وأكثر حكمًا يومًا بعد يوم. ما الذي قصدته أمي بما قالته؟ **ماذا** كان في المنزل؟

حاولتُ إخبار نفسي أنه لا يهم -أن الماضي كان شيئًا يمكن تركه بمفرده- لكنْ كانت هناك لحظات بدا فيها أنني والمنزل منخرطان في حرب استنزاف، ولم أستطع إلا الشعور بأنه كان يفوز إلى حد ما. وبأن هناك شيئًا ما سيئ سيحدث عندما أكتشف ما هو.

أيادٍ حمراء في كل مكان.

رأيتها في اليوم الرابع.

***

كنتُ جالسًا في الحانة في ذلك الوقت مع بيرة نصف مكتملة على الطاولة أمامي. مددتُ يدي لألتقط الزجاجة ممررًا إصبعي على تكثُّف الماء البارد على الزجاجة، ورأيتُ الباب المقابل لي مفتوحًا.

دخلتِ امرأة محاطة بإسفين من أشعة شمس بعد الظهيرة الدافئة. ألقيتُ نظرة جانبية فقط على وجهها. لم أستطعْ تعرُّفها عندما أدارتْ ظهرها لي على الفور وسارت إلى الحانة.

هل هذه...؟

كانت ترتدي جينزًا أزرق وسترة جلدية سوداء أنيقة، وشعرها البني يتدلى إلى منتصف ظهرها. شاهدتُها تعبث بحقيبة يدها ومحفظتها. انتظرتُ قائلًا لنفسي أن أبقى هادئًا، أنها لا يمكن أن تكون هي حقًّا. أحضرتِ النادلة نبيذًا

أبيض لم ألاحظ طلبه، ثم أغلقت المرأة حقيبة يدها واستدارت، مدققةً في الحانة بحثًا عن مكان ما للجلوس.

لبضع ثوانٍ كان من الصعب تصديق ما تراه عيني.

بدت جيني مختلفة الآن طبعًا، ومع ذلك بطريقة ما زالتْ نفسها. لا يزال بإمكاني رؤية صورة الفتاة البالغة من العمر خمسة عشر عامًا التي كنت أعرفها: تبلغ الأربعين الآن، وجهها مرسوم بالحياة، لكنْ لا يزال من الممكن تعرُّفها على الفور.

تهاوت السنوات.

ربما سيكون من الأفضل لو لم ترَك.

لكنْ بعد ذلك قابلتْ نظرة جيني نظرتي، وتحركتْ لمدة وجيزة قبل أن تعود مرة أخرى إلى نظرتي. عبست واستطعتُ رؤية أن لديها الفكرة نفسها التي كانت لديَّ.

هل هذا...؟

ثم ابتسمتْ.

يا إلهي، ابتسامتها لم تتغير على الإطلاق.

شعرتُ بانتشار الدفء في صدري عند رؤيتها، واختفى أي خوف أو تحفظ بشأن رؤيتها مرة أخرى في أثناء سيرها تجاهي، عقبها الذي بدا كأنه لأحذية باهظة الثمن ينقر على الأرضية الخشبية.

قالت: «يا إلهي، مرحبًا يا غريب».

- مرحبًا، يا للعجب.

- يا للعجب حقًّا. كم مضى من الوقت؟

حاولتُ أن أنجح الأمر، لقد زارتني في الجامعة عدة مرات، لكن بدأ الأمر يبدو غريبًا، وفي مرحلة ما فقدنا الاتصال.

قلت: «عشرون عامًا؟».

- هذا **جنون** بحت.

قيَّمتني بهدوء للحظة. تساءلتْ عما رأتْه. يجب أن يكون مظهري -الملابس الرثة والشعر الأشعث والعيون المتعبة- قدَّم بالتأكيد تناقضًا تامًّا مع مظهرها.

قالت: «لا بأس إن انضممت إليك؟».

- طبعًا.

جلستْ أمامي واضعةً نبيذها على الطاولة.

قالت: «أفترض أنه ليس من المفاجئ رؤيتكَ، سمعتُ أنكَ كنتَ في زيارة».

رفعتُ حاجبًا: «حقًّا؟».

- نعم، إنه مجتمع صغير، تنتقل الأخبار بسرعة -دائمًا ما يحدث هذا الشيء، وسيظل دائمًا- أنت تعرف كيف هو هذا المكان.

- أعلم.

- كنتُ سأظل في تواصل معك، لكن حسنًا... كما تعلم.

نعم، تذكرتُ كيف انتهت الأمور بيننا.

قلت: «أعرف ذلك أيضًا».

ابتسمتُ بحزن، كانت هناك لحظة صمت، ثم نظرت إلى كوبها فاركةً طرف إصبعها ببطء حول الحافة.

- اسمع، كنت آسفةً جدًّا لسماع خبر والدتك.

- شكرًا لكِ.

جاء الرد تلقائيًّا، لكنني أدركتُ كم كنت غير مؤهل لأعطيه. شيء آخر كنت أقمعه في الأيام القليلة الماضية هو الشعور بالذنب، لكنْ مع جيني شعرتُ بالأمان لإخراج القليل منه.

قلت: «لا أعرف كيف أشعر، كان يجب أن أكون هنا لكنني أنا وأمي لم نتحدث كثيرًا مؤخرًا. لم أكن أعرف حتى كم كانت مريضة. أنا لم أعد إلى جريتن منذ مغادرتي».

احتست جيني نبيذها.

قالت: «أشعر كأنني هنا طوال الوقت، أعود لرؤية أمي كثيرًا. تتذكر أمي، أليس كذلك؟».

- طبعًا، كيف حالها؟

أومأت جيني برأسها لنفسها: «إنها بخير، نعم مسنة لكنْ بخير».

- أفضل من البديل.

- هذا صحيح. يا إلهي، أنت لم تعد إلى هنا حقًّا؟

قلت: «لا، سافرت إلى الجامعة وكان هذا كل شيء».

- ما سبب ذلك؟

- الكثير من الذكريات السيئة هنا.

كانت صامتة للحظة: «أتفهم ذلك. لكن يوجد بعض الذكريات الجيدة أيضًا، أليس كذلك؟».

بادرت بالابتسام، ورغمًا عن نفسي بادلتها. كان من الصعب التفكير في الأمر على هذا النحو، لكن بلى، كانت هناك ذكريات جيدة هنا أيضًا. اللحظات التي بالنظر إليها بموضوعية كانت مليئة بالضوء. والمشكلة هي أن ما حدث لاحقًا ألقى بظلاله، وكان من الصعب رؤيتهم.

قلت: «اتضح أنه لا يزال لدي كتابك بالمناسبة».

استغرق الأمر منها ثانية: «كتابي؟ **شعب الكابوس**؟».

- نعم هذا هو.

لقد أحضرتْه إلى المدرسة من أجلي في اليوم التالي بعد لقائنا: مختارات بالية من قصص الرعب الكلاسيكية. كان كعب الكتاب متهالكًا كلحاء الشجرة، وكان سعره عشرة بنسات مكتوبًا بقلم رصاص باهت في الزاوية العليا من الصفحة الأولى. ليس الكثير من المال طبعًا، وقد أعطتني إياه بنفس قلة اكتراثها الواضح الذي أظهرته في اليوم السابق، لكنني شعرتُ أن الكتاب مهم بالنسبة إليها، وقد قررت في التو أنني سأعتني به. إذا كان معرضًا لخطر الإتلاف فلن يحدث ذلك ما دمت موجودًا.

وأفترض أنني فعلت ذلك.

قلت: «أعتقد أن والدتي كانت تقرأه».

- نعم، ولكن الأهم من ذلك، هل انتهيتَ منه بعد؟

ابتسمتُ: «مرات عدَّة».

- هل ما زلتَ تكتب؟

- لا، تعرفين ما يقولون. من لا يستطع فعل شيء، يُعلِّمْه.

التقطتُ البيرة وأخبرتها قليلًا عن عملي في الجامعة والمناهج التي درَّستُها.

قلت: «ماذا عنكِ؟».

قالت: «نعم، ما زلت أفعل كل ذلك، الفن والموسيقى أيضًا، لكن في الغالب الكتابة. لقد نشرت بعض الكتب».

- رائع.

لقد سررتُ من أجلها، كان من الجيد أن أحدنا حافظ على هذا الحلم بالذات. وبينما كنت أميل على مقعدي، أدركتُ كم كان من الجيد التحدث إليها مرة أخرى حتى بعد كل هذا الوقت. لقد بدتْ رائعة، وقد دُهِشْتُ من مدى سعادتها. كنتُ سعيدًا لأن الأمور سارت على ما يرام بالنسبة إليها -أنها ابتعدتْ عن جريتن في النهاية- وكانت تعيش حياة جيدة.

قلتُ مرة أخرى: «رائع، لم أرها، يجب أن أطلع عليها».

نقرتْ أنفها بسرية.

- أنشر تحت اسم مستعار.

- الذي لن تخبريني به؟

- لا. على أي حال، هذه أمور تخص العمل يُعتنَى بها. ماذا عن الأسرة؟ هل لديك زوجة أو أطفال؟

هززتُ رأسي، كانت لديَّ سلسلة من العلاقات على مر السنين، كان الكثير جادًّا، لكن لم ينجح أي منها في النهاية. سيكون الأمر دراميًّا جدًّا قول إن

النساء في العلاقة قد شعرن بنوع من الظلام في الماضي الخاص بي، لكنْ ظل يسقط عليَّ من وقت إلى آخر. لم أسمح للناس بالدخول في حياتي؛ في أسوأ حالاتي دفعتهم بعيدًا. كانت الحاجة إلى تجنب مناقشة الأمر دائمًا أكثر إلحاحًا وأكثر أهمية من العلاقات التي وجدتُ نفسي فيها- وعرفتُ في أعماقي أن هذا لم يكن أساسًا لأي شيء طويل الأمد.

قلتُ: «لم يتسنَ لي فعل ذلك قطُّ».

ولسبب ما قاومتُ طرح السؤال في المقابل. جيني لم تكن ترتدي خاتم زواج لكنَّ هذا لا يعني شيئًا، وفي ذلك الوقت قررتُ أنني لا أريد المعرفة.

جلسنا في صمت بضعَ ثوان.

قالتْ: «هل والدتكَ مرتاحة؟».

- إنها نائمة في الغالب، عندما تكون مستيقظة لا تتعرَّفني...

عبستْ.

دفعتني جيني للإكمال.

- باستثناء؟

- باستثناء أول مرة رأيتُها فيها.

ولأنه لمرة أخرى شعرتُ بالأمان للتحدث مع جيني، أخبرتُها بما قالته والدتي في تلك الزيارة الأولى. كيف يجب ألا أكون هنا، حول وجود **أيادٍ حمراء في كل مكان**، وأنه كان في المنزل شيء.

هزَّت جيني رأسها.

- **ماذا كان** في المنزل؟

قلت: «لا أعرف، لا شيء على ما أعتقد. كان هناك صندوق به أشيائي القديمة كانت تبحث فيه، لذلك ربما شعرتُ بالذنب فقط بسبب رؤيتي لذلك. لكنها مرتبكة، ربما هذا لا يعني أي شيء على الإطلاق».

- نعم، لكنك ذكرتَ ذلك لذا من الواضح أنه كان يزعجكَ.

ترددتُ.

- لأنني كنتُ أبذل قصارى جهدي لعدم التفكير في الأمر، لقد أجريت بعض التنظيف وبعض الترتيب، وجلستُ معها.

ثم أشرت إلى اللاشيء: «أريد فقط أن أفعل كل ما أحتاج إلى فعله ثم أخرج من هذا المكان وأعود إلى المنزل، أترك الماضي حيث ينتمي».

بدأت جيني تهز رأسها قبل أن أنتهي.

- ولكنَّ هذا هراء يا بول. لا داعي للقلق بشأن أي من ذلك. أعني انظر إلينا الآن. هل من الغريب رؤيتي مرة أخرى؟

- لا، إنه من اللطيف رؤيتكِ.

- بالضبط. وأنا من الماضي، أليس كذلك؟ كان الماضي منذ زمن بعيد، لا يمكن أن يؤذيك بعد الآن

- ربما.

تفقدتْ ساعتها، ثم أنهتْ نبيذها.

وقفتْ: «أنا بحاجة إلى الذهاب، لكنْ إذا كنتَ قلقًا بشأن ما قالتْه والدتك، فقط... **افعل شيئًا** حيال ذلك؟ قد تكون على حق- قد لا يكون هناك شيء. لكن لا يوجد شيء تخاف منه هنا.

- ربما.

حملتْ حقيبتها على كتفها: «استمع إليك يا كابتن «ربما»، **ربما** أراكَ بالجوار؟».

قلت: «آمل ذلك».

وشعرتُ بهذا الشعور الدافئ في صدري مرة أخرى عندما شاهدتُها تمشي إلى الباب. ضوء صغير في الظل. كان الأمر أشبه بشمعة أردتُ تطويقها بيديَّ منافخًا عنها بلطف، وأعيدها إلى حياة أكثر إشراقًا، لكنْ طبعًا كان هناك دائمًا خطر عندما تفعل ذلك.

دائمًا ما تكون هناك مخاطرة جعْلها تنطفئ بدلًا من ذلك.

8

افعل شيئًا حيال ذلك.

بقيتْ كلمات جيني معي إلى صباح اليوم التالي، وبينما كنتُ أستحمُّ بأفضل ما أستطيع في الكشك الصغير باللون البيج في الحمام القديم، قررتُ أنها كانت على حق.

يا إلهي، إنها في المنزل يا بول.

إنها في المنزل اللعين!

أيًّا كان ما قصدته أمي عندما قالت إنها كانت في المنزل، من المحتمل أنه لم يكن شيئًا. لكن على أي حال، لم يوجد شيء لأخاف منه هنا، وفكرت في أنه قبل أن أغادر هذا المكان أخيرًا وإلى الأبد، كنتُ بحاجة إلى معرفة ذلك على وجه اليقين. عندما أغلقتُ الحمام وبدأتُ في تجفيف نفسي شعرتُ أن الصمت في المنزل، يطنُّ.

منتظر.

كنت أحاول إنهاء بعض الأعمال في غرفة نومي القديمة، كان الكمبيوتر المحمول الخاص بي موجودًا على المكتب هناك. بعد أن ارتديتُ ملابسي دخلتُ ونقلتُه إلى أحد الجوانب. ثم التقطتُ صندوق متعلقاتي في سن المراهقة وأفرغتُ المحتويات بنظام على المكتب، عنصرًا واحدًا في كل مرة.

الدفاتر ومذكرات الأحلام.

مجلة الكتابة.

الكتاب المقوى الصغير: **الكُتَّاب الشباب.**

كل عنصر جلب ومضة من الإدراك. شعرتُ كأنها قطع أثرية سحرية تحكي معًا نوعًا من القصة. التقطتُ المجلة، الصفحات القديمة خشنة ومتيبسة على أصابعي، ورأيتُ الغلاف -**حياة الكتابة**- ثم قلبتُه وقرأتُ ظهره، وشعرتُ بالسنوات تنسلُّ بعيدًا مني. وضعته جانبًا مجددًا. على كل تصميمي الجديد، السرد الذي روتْه هذه الأشياء لم يكن سردًا كنتُ مستعدًّا لمتابعته من البداية إلى النهاية حتى الآن. وعلى الرغم مما اقترحتْه عليَّ جيني، في حين كان من الواضح أن والدتي كانت تبحث في الصندوق، لم أكن مقتنعًا بأن هذا ما كانت تشير إليه.

إذن ماذا كان الأمر؟

حتى الآن، قضيتُ معظم وقتي في المنزل أرتب: مسح الأسطح في المطبخ، وإزالة البطانيات من الغرفة الأمامية وتخزينها في خزانة الملابس، والكنس والتلميع. لكن بدلًا من الشعور بأنني كنت منتجًا، شعرت كأنني أتباطأ. الآن قوَّيْتُ نفسي وشرعتُ في محاولة الإجابة عن السؤال الذي وضعتْه كلمات والدتي لي. فتحتُ الأدراج والخزائن باحثًا في المحتويات بسرعة. أخرجتُ الملابس ونثرتُها، ورفعتُ الوسائد واضعًا إياها على الأرضية. بعد أيام من معالجة المنزل بعناية كرستُ نفسي للعكس الآن: الاستيلاء عليه وإخراج محتوياته، والبحث عن أي شيء قد يفسر ما قالته.

لا شيء.

أو على الأقل، لا شيء ساعدني، لكنْ كانت هناك ذكريات هنا، ترفرف من طبقات المنزل مثل الغبار. من خلال البحث في ملابس والدتي، تعرفتُ الأشياءَ التي تذكرتُها وهي ترتديها: بنطلون جينز قديم ارتُدِيَ على مر السنين ورُقِّعَ على الركبتين وجانب الوركين، والمعطف الأسود الواهي الذي كانت ترتديه دائمًا في الشتاء، وحقيبة مليئة بالأحذية مقلوبة رأسًا على عقب ومضغوطة بشكل مسطح حتى بدت أنها ملتصقة ببعضها.

وإلى جانب الذكريات كانت هناك ألغاز: قطع أثرية تنتمي إلى حياة لم أكن أعرف عنها سوى القليل. في صندوق جواهر صغير اكتشفتُ خواتم وأساور، ومدلاة على سلسلة عندما فتحتُها كشفتْ عن صورة بيضاوية بالأبيض والأسود لامرأة لم أتعرَّفها، ربما جدتي، لكنْ كان من المستحيل معرفة ذلك، وكأن حتى أجزاء الماضي التي لم أخترْ نسيانها كانت محاطة بالضباب. خطر على بالي أنه عندما تموت والدتي سأصبح كل ما تبقى من أسرة لم أكن أعرفها، وللحظة تبخرتْ كل ثقتي كرجل بالغ، وتُرِكْتُ أشعر بالضياع والتفكك.

لكنَّ أغرب شيء كان الصور التي وجدتُها متجمعةً عشوائيًّا في صندوق أحذية، وتملأه تمامًا. أفرغتُه على السرير ثم نشرتُ الصور مكونًا شبكة متداخلة على الملاءات. لم يكن لها ترتيب. اختلطتْ نقاط مختلفة في الماضي بحرية، مستريحة فوق وتحت بعضها، جلس الناس والأماكن من عصور منفصلة جنبًا إلى جنب.

كنتُ هناك.

التقطتُ صورة لي عندما كنت طفلًا محتضَنًا بين ذراعيْ أمي. كنتُ أبكي لكنْ بينما بَدَتْ مرهقة كانت تبتسم. كانت هناك صورة لي على الطريق، ربما كنتُ أبلغ من العمر نحو ثلاث سنوات أو أربع متجولًا ومبتسمًا بسعادة في وجه شخص ما خارج الإطار. صورة أخرى وأنا عمري ست سنوات راكبًا دراجة مع مثبتات. صورة مدرسة في الثامنة أو التاسعة، شعري المقصوص في المنزل خشن قليلًا وخداي مليئان بالنمش. عيد ميلادي الحادي عشر واضعًا يديَّ في جيبيَّ، كتفاي الرفيعتان يعملان كشماعة لملابسي، واقفًا بإحراج بجانب كعكة صنعتْها لي.

وكانت هناك أيضًا.

لم تكن الصور التي معي فيها هي ما لفتت انتباهي بقدر الصور القديمة: الصور باهتة للغاية كأن الورقة التي طُبِعَتْ عليها كانت تنساها. كانت هناك صورة بالأبيض والأسود لأمي وهي طفلة صغيرة مستلقيةً على العشب وتبتسم

بخجل للكاميرا ويوجد كتاب مفتوح أمامها. في أخرى كانت أكبر سنًّا قليلًا، تقف خارج منزل لم أكن أعرفه، تحمي عينيها من الشمس.

لكنَّ لقطاتها عندما كانت مراهقة هي التي صدمتْني أكثر من غيرها. كانت جميلة، والتقطتْها الصور في لحظات حميمية، ووجهها الصحي يوحي بأن كل الحياة أمامها، عيناها تتألقان وهي تضحك. وجدتُ لقطة جماعية لخمسة أشخاص يجلسون على الدرج، لم أتعرَّف ثلاثة منهم، لكنَّ والدتي كانت على اليمين بجانب صبي مراهق أدركت بارتباك أن الشاب كان كارل داوسون؛ صبي سينتهي به الأمر بأن يكبر ويتزوج إيلين ويصبح زوج أم جيمس.

في الصورة كان مواجهًا لها، يدا أمي كانت على ركبتيها وتجمد وجهها في تعبير عن البهجة الشديدة، تعبير بين الصدمة والضحك، كما لو أنه تعمد قول شيء شائن وقت التقاط الصورة.

يمكنكَ اختيار شخص أفضل بكثير كما تعلم.

أغمضتُ عينيَّ ثم جمعتُ الصور معًا وأعدتها إلى الصندوق. عندما فكرتُ في والدتي كان دائمًا لها دور تؤديه في حياتي، وكان من الغريب أن أواجه حقيقة ينبغي أن أراها بوضوح: لقد كانت شخصًا لديها أحلامها وتطلعاتها التي شعرتْ بنفس ما شعرتْ به، وكانت لديها ذات مرة حياة كانت موجودة بالكامل خارج علاقتها بي. لم يقرِّبني أي منها مما كنتُ بحاجة إلى معرفته.

إنها في المنزل.

خرجتُ إلى بسطة الدرج وفركتُ جبهتي. ربما كان يجب أن يكون هناك شعور بالارتياح لأنني لم أجد أي شيء، لكن بعد أن التزمتُ بالعمل شعرت بالإحباط. لم يكن غياب الأدلة دليلًا على عدم وجودها. حقيقة أنني لم أجد أي شيء لا يعني أنه لا يوجد شيء لأجده، لكنْ يعني فقط أنني لن أكون متأكدًا أبدًا.

كان الصمت لا يزال يطنُّ.

فكرتُ: **هيا أيها المنزل، أنا أحاول هنا، قابلني في منتصف الطريق.** لكنْ طبعًا لم يقلِ المنزل شيئًا. تواجه نافذةُ بسطةِ السلمِ الحديقةَ الخلفية

ومقدمةَ غابة الظلال. حدقتُ إلى الخارج بعضَ الوقت ناظرًا إلى الأشجار التي امتدتْ إلى أعلى وشكَّلتْ جدارًا من أوراق الشجر المهشمة التي بدت كأنها تذهب في منتصف الطريق إلى السماء.

ثم نظرتُ إلى الأعلى قليلًا فوقي مباشرة رأيتُ الخطوط العريضة الرقيقة لباب في السقف.

العلية.

اشتدَّ الطنين في المنزل قليلًا.

في حالة والدتي الحالية، كان من الواضح أنه من المستحيل أن تكون قد صعدتْ إلى هناك، لكنْ لم تكن لديَّ أي فكرة متى بدأتْ صحتها الجسدية في التدهور، أو مدى سرعة حدوث ذلك. وبينما لم أستمتع بالاحتمال، كانت العلية هي المنطقة الوحيدة من المنزل التي لم أفتشها. لذلك رفعتُ يدي ضاغطًا حافة الباب.

رُفِعَتْ قليلًا. كانت هناك نقرة خافتة، وعندما حركتُ يدي إلى أسفل نزل باب معها. توقعتُ أن يغمرني الغبار وخيوط العنكبوت، لكن لم يكن هناك شيء. كانت المساحة أعلاه سوداء، لكنْ كان بإمكاني سماع اندفاع خافت من الهواء.

بُنِيَ السلم في نهايته، رفعتُ يدي مرة أخرى وبسطته من فوق الفجوة، ثم طويتُه إلى أسفل محدثًا ضجة، ثبتُّ قدميه في السجادة. لقد كنتُ في العلية عدة مرات عندما كنتُ طفلًا، لكنْ بينما كنت أتسلق الآن، بدا المعدن واهيًا وضعيفًا أكثر بكثير مما كنت أتذكر. بينما صعدت إلى الظلام بالتدريج انحنت كل درجة بشكل غير مستقر تحت وزني.

كان الهواء في العلية متعفنًا وباردًا- مليئًا برائحة الملابس القديمة والأمتعة والرطوبة. وضعتُ يدي على الخشب الخشن للدرجة الأولى، ثم رفعت نفسي، وبمجرد أن كنتُ واقفًا تقدمت إلى الأمام، متأرجحًا قليلًا، وفجأة أدركتُ الارتفاع والمسافة. بدا الباب خلفي صغيرًا، وبدا ضوء الشمس المتساقط على

بسطة الدرج في الأسفل يبعد كيلومترات بدلًا من أمتار. شعرتُ كأنني في عالم مختلف عن بقية المنزل.

وصلتُ إلى اليمين ووجدتُ حبل الضوء.

نقرة.

- سحقًا.

كنتُ محاطًا بقطيع من الطيور الحمراء الزاهية، كان المشهد طاغيًا لدرجة أنني تراجعت خطوة إلى الوراء، وقفز قلبي، كدت أسقط من خلال الفتحة. لكنْ حُوِّلَ المشهد من حولي إلى ما كانت عليه حقًّا. لا توجد طيور على الإطلاق. بدلًا من ذلك، غُطِّيَتْ أفاريز العلية ببصمات أيدٍ قرمزية. كان هناك المئات منها، مطبوعة على الخشب بزوايا، والطلاء الأحمر متداخل في بعض الأماكن، الأباهيم والأصابع المفلطحة تقارب شكل الأجنحة.

كانت جميعًا بالحجم نفسه. كلها صغيرة بما يكفي لتكون لأمي. تخيلتُها قادمة إلى هنا، عندما كانت لا تزال قادرة على فعل ذلك، تتنقل خلال الدرجات مثل الشبح ضاغطةً براحة يدها التي تقطر على الأفاريز. ولاحظتُ رائحة مختلفة للهواء هنا، وشعورًا مختلفًا أيضًا.

كان الأمر كما لو كنتُ أقف داخل الجنون.

بينما ينبض قلبي بسرعة كبيرة نظرت بعيدًا عن بصمات اليد نحو الطرف البعيد من العلية. عندما رأيتُ ما كان هناك، بدا العالم كأنه تجمد.

إنها في المنزل يا بول.

لأنني اعتقدتُ أنني وجدته.

9

الماضي

بعد أسبوع من بدء تجربة مذكرات الأحلام أتذكر التوجه إلى أسفل الدرج إلى الغرفة C5b وجيمس يتبعني. كان يتلكأ قليلًا، ويمكنني القول إنه كان متوترًا.

- هل أنت بخير؟

- نعم.

كان من الواضح أنه لم يكن كذلك حتى لو لم يرغب في الاعتراف بذلك، ويمكنني تخمين السبب الأكثر ترجيحًا لذلك، في وقت الغداء هذا كان من المفترض أن نتابع جهودنا مع مذكرات الأحلام، وكان واضحًا من قلق جيمس أنه كان قلقًا بشأن خيبة أمل تشارلي. جلب الإدراك شعورًا بالانزعاج. لم يكن يجب أن يهمه الأمر كثيرًا.

قلت: «الأمر برمَّته غبي للغاية».

- هل نجح الأمر معك؟

- من يهتم؟

كان الشيء هو أن الأمر نجح معي -على الأقل إلى حد ما. كل صباح من ذلك الأسبوع، كنتُ أحقق نجاحًا متزايدًا في تذكر أحلامي من الليلة السابقة،

وفي الليلة الماضية كان لديَّ حلم تعرَّفته. لم أكن في السوق المظلم، لكن في مكان ما معادل تقريبًا: مكان ضيق يشبه المتاهة حيث ضللتُ طريقي، غير قادر على العثور على طريقي للخروج، مع الإحساس بأن شيئًا ما يطاردني.

الخوف من الحلم ظل قائمًا عند الاستيقاظ. لكنْ كان هناك أيضًا حماس لتعرُّف الحلم. شعرتُ كما لو أنني حصلت على نوع غريب من التبصُّر في نفسي: نظرة على التروس التي تدور تحت سطح عقلي.

كان تشارلي على حق.

هذا لا يعني أنني سأعترف بذلك له طبعًا.

قلت: «لا تقلق بشأن ذلك، لا شيء من هذا مهم».

عندما دخلنا الغرفة، كان تشارلي في مقعده المعتاد في الطرف البعيد. وكان بيلي جالسًا على أحد الكراسي المريحة القريبة يحمل مخططًا قديمًا، يُفترَض أنه أعيد استخدامه للتجربة. عندما أخرج جيمس مذكراته، رأيتُ أنها كانت مجرد مجموعة من الأوراق، ورق مطوي إلى نصفين ومدبَّس في المنتصف. كانت مذكرات أحلام تشارلي على الطاولة أمامه. لقد كان دفترَ ملاحظات أسودَ تمامًا مثل الدفتر الذي استخدمتُه لقصصي، والذي بدأتُ استخدامه لتسجيل أحلامي. لسبب ما شعرت كما لو كان هناك نوع من معركة غير معلنة جارية بيننا.

قال تشارلي: «حسنًا، من يريد أن يبدأ؟ جيمس؟».

تحرك جيمس محرجًا في مقعده.

فكرت: **يا إلهي، تمالك نفسك يا صديقي.** لم أكنْ أعرف سواء أردتُ طمأنته أو هزَّه. لكنِ اتضح أنني لستُ بحاجة إلى القلق بشأن فعل ذلك أيضًا، لأنه كان من المستحيل أن يسمح بيلي لجيمس بسرقة منصبه الشرعي كبديل تشارلي في القيادة.

ابتسم بيلي مسرورًا بنفسه: «راودني حلم جلي، لقد نجح الأمر حقًّا- كانتْ كما قلتَ تمامًا. ذات ليلة حلمتُ أنني كنت في ورشة والدي، ثم حلمتُ بالشيء نفسه في الليلة التالية. وفي ذلك الوقت كان الأمر أشبه بنقر مفتاح أو

شيء من هذا القبيل. استيقظتُ تمامًا في حلمي، لقد كان مذهلًا. استخدمتُ خدعة الأنف وكل شيء».

قلت: «ما خدعة الأنف؟».

لم ينظرْ تشارلي لي: «سنتطرق إلى ذلك، بيلي، أنا مسرور جدًّا».

ابتسم بيلي بهدوء.

قال تشارلي: «كم من الوقت حلمت بجلاء؟».

- ليس طويلًا، استيقظتُ على الفور تقريبًا بسبب الصدمة.

- إذن لمْ تستخدم تقنية البيئة؟

- لا، لم أتذكر.

بدا تشارلي محبطًا، وتوقف بيلي عن الابتسام، بدا خجولًا الآن بدلًا من ذلك. من جانبي كنتُ أحاول فقط المواكبة. ملقيًا نظرة خاطفة إلى أحد الجوانب، يمكنني أن أقول إن جيمس كان يشعر بالحيرة مثلي. الطريقة التي كان يتحدث بها تشارلي، كان الأمر كما لو أن اختُبِرنا دون إعطائنا الدروس للتحضير لها.

قلتُ: «ما **تقنية البيئة**؟».

التفتَ تشارلي إليَّ: «قلتُ إنني سأشرح ذلك، ماذا عنكَ يا بول؟ كيف جرتِ الأمور؟».

لم أقررْ على وجه اليقين أكنت سأتحدث عن النجاح الذي حققته، لكنني لم أحب الطريقة التي صاغ بها تشارلي السؤال في ذلك الوقت. **كيف جرت الأمور**؟ كما لو كان عليَّ إثبات نفسي له.

قلت: «لا شيء على لإطلاق».

- لا؟

- ربما لو كنتُ أعرف عن **خدعة الأنف**...

تجاهل تشارلي السخرية وأومأ برأسه ببساطة، كما لو كان هذا ما كان يتوقعه معي. لم يكن هناك أي من خيبة الأمل التي أظهرها لبيلي. هو فقط مضى قدمًا.

- ماذا عنك يا جيمس؟

ضغط جيمس على الأوراق المدبَّسة في حِضنه وبدا محرجًا.

أردتُ أن أخبره: **بحق الجحيم.**

لا يهم.

قال جيمس بائسًا: «لا شيء، تمامًا مثل بول».

كانت الكلمات جارحة قليلًا، لكنَّ نبرة صوته أكثر إيلامًا. لقد جعل الأمر يبدو كما لو أن كونك مثلي كان مُخفقًا.

قال تشارلي: «لم تلاحظ أي أنماط؟».

- لا شيء على الإطلاق، كان كل شيء مجرد فوضى عشوائية.

- لا بأس. يتطلب الأمر فقط التدريب والخبرة. امنحها أسبوعًا آخر أو نحو ذلك، وسوف تصل إلى هناك. لقد عملتَ عملًا جيدًا لمجرد المحاولة.

أعطى جيمسُ تشارليَ ابتسامةً مرتبكةً.

نظر إليه بيلي.

- إذن بماذا **حلمتَ**؟

نظر جيمس إلى ما يعد دفترَ ملاحظاته.

- لا شيء مثير للاهتمام.

انحنى بيلي إلى الأمام وشرع في إبعاد مذكرات الأحلام عن جيمس: «لا، أخبرنا، ربما يمكننا العثور على بعض الأنماط هناك حتى لو لم تستطع».

انحنى جيمس بعيدًا عنه.

- لا تفعل.

- فقط أخبرنا إذن.

ألقى جيمس نظرة إليَّ: «حسنًا... الليلة الماضية حلمتُ بالغابات التي خلف قريتنا. الظلال».

بدا مذنبًا قليلًا. ربما كان ذلك بسبب أن بعد كل رحلات نهاية الأسبوع التي قمنا بها نحن الأربعة، لم نعد نشعر أن القرية والغابة كالتي نعرفها بعد الآن. ربما كان المكان الذي نشأتُ فيه أنا وجيمس لكنَّ تشارلي هو من بدأ في اصطحابنا إلى الغابة واختلاق قصص عن الأشباح.

قال تشارلي: «أكملْ».

- كان المكان مظلمًا في الحلم. كنتُ أقف في حديقتي على حافة الأشجار ناظرًا إلى الغابة.

- هل كان هناك أي أحد آخر؟

- كان في الحديقة ورائي الكثير من الناس- كما لو كانت هناك حفلة تجري أعتقد أن بعضهم كان يرتدي قلنسوات وأقنعة. لكنها لم تكن مخيفة، كان الأمر أشبه بنوع من التجمع حيث لم أُدْعَ إليه.

انحنى تشارلي إلى الأمام، مفتونًا الآن.

- ولكن ماذا عن الغابة؟

صمت جيمس للحظة.

- نعم، كان هناك... شخص ما في الغابة، على ما أعتقد.

- شخص واحد؟

- لم أستطع معرفة ذلك، كان الأمر أشبه بحضور. لكنْ شعرتُ كأن من كان هناك يمكنه رؤيتي، كما لو كانوا يحدقون إليَّ مباشرة. لأن كل شيء كان مضاءً في الحديقة خلفي، أليس كذلك؟ لكنهم كانوا في الخارج بين الشجر -في الظلام- لذلك لم أستطع رؤيتهم.

تحدث تشارلي بهدوء أكبر الآن: «هل أخافك **ذلك**؟ هل أخافك الناس في الغابة؟».

تردد جيمس.

- قليلًا.

استقر تشارلي إلى الخلف: «هذا منطقي، لم تكن هناك حاجة إلى الخوف، لكنك لم تكن تعرف في ذلك الوقت. هل تعتقد أنهم كانوا على وشك النداء عليك؟ أو المجيء نحوك؟».

- لا أعرف.

- إذن ماذا حدث؟

- تغير الحلم وذهبتُ إلى مكان آخر.

حتى بعد أسبوع واحد فقط، كنتُ على دراية بهذا الإحساس الآن -الطريقة التي تختلط بها الأحلام بسلاسة في بعضها- لكنَّ الطريقة التي صاغها بها جيمس لا تزال تجعلني أشعر بعدم الارتياح. **لقد ذهبتُ إلى مكان آخر**، لقد جعل الأمر يبدو كما لو أن الحلم كان حقيقة بطريقة ما. وكان تشارلي يحدق إليه بافتتان الآن، وكأن شيئًا مهمًّا قد حدث ولم يستطع تصديق ذلك تمامًا.

قال تشارلي بصوت مليء بالدهشة: «لقد رأيتَه».

سادت لحظة من الصمت في الغرفة.

قلتُ: «رأى من؟».

بدا بيلي متجهمًا: «لم **يره**، لم يقل قط إنه **رآه**».

أعطى تشارلي بيلي أكثر النظرات جفاءً قبل أن يولي انتباهه لجيمس: «شعرتَ به إذن، هل تعلم ما الذي حلمتُ به الليلة الماضية؟».

- لا.

ابتسم بفخر: «حلمتُ أنني كنتُ في المكان نفسه الذي كنتَ فيه. كنتُ في الغابات معه، وكان بإمكاني رؤيتكَ تنظر إلينا. كان المكان الذي كنا نقف فيه مظلمًا جدًّا، لذلك لم أكن متأكدًا إذا كان بإمكانك رؤيتنا، لكنك فعلتَ. حدث ذلك في وقت أقرب بكثير مما كنت أتوقع».

قلت: «ما الذي تتحدث عنه؟».

نظر تشارلي إليَّ.

- أنا وجيمس كنا في الحلم نفسه الليلة الماضية.

- **ماذا؟**

- تشاركنا أنا وجيمس الحلم.

- حقًّا، لا تكن **سخيفًا**.

خرجتِ الكلمات دون أن أفكر، وتغيَّر الجو العام في الغرفة معهم. مع أنني ربما حوَّلتُ عيني في الماضي، فإنني لم أتحدَّ تشارلي مباشرة أو عدوانية مثل الآن من قبل. اختفتِ الابتسامة وفرغتْ عيناه، وعرفتُ أنني تجاوزت حدودي.

لكنني مضيتُ قدمًا على أي حال.

- هذا غير ممكن يا تشارلي.

قال: «أنا أفهم يا بول، أنتَ لم تحاول بجد كبقيتنا. أنت لم تحقق أي شيء. لكن صدقني. لقد حدث ذلك حقًّا»

- نعم، حسنًا. لم **يحدث** ذلك حقًّا.

فتح تشارلي مذكرات أحلامه ومدها فوق المكتب لجيمس.

- جيمس، هل يمكنكَ قراءة هذا لي من فضلك؟

تردَّد جيمس، جعلته حدة المفاجئة للمحادثة متوترًا، لكنْ يمكنني أن أقول إنه كان مفتونًا أيضًا، وبعد ثانية اقترب وأخذ مذكرات تشارلي، ثم وقف هناك، يقرأ الصفحة التي كانت مفتوحة أمامه.

اتسعت عيناه.

قلتُ: «ماذا؟».

لكنَّ جيمس لم يرد. أنزل الكتاب عندما انتهى من القراءة، ونظر إلى تشارلي بشيء يشبه الرهبة على وجهه.

- هذا... هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا.

أومأ تشارلي برأسه تجاهي: «لكنه كذلك، دع بول يرَه».

سلمني جيمس مذكرات الأحلام مع أنه كان مرعوبًا بوضوح، ما زلتُ أعتقد أن هذا الأمر برمَّته كان سخيفًا. لا يستطيع الناس مشاركة الأحلام. نظرتُ إلى الكتاب، بدأ أحدث مُدخل كتبه تشارلي على الصفحة اليسرى، وملأ خط يده الصغير العنكبوتي كلا الصفحتين. كان التاريخ في أعلى الصفحة هو تاريخ هذا الصباح.

بدأتُ القراءة.

أنا جالس معه في الغابة.

الجو مظلم للغاية هنا، لكنْ يمكنني القول إنه يرتدي سترة الجيش القديمة التي بها نسيج مهترئ على الكتفين يشبه الريش، مثل ملاك قُصَّتْ أجنحته إلى جذوع الأشجار. هناك القليل من ضوء القمر. شعره أسود ومتشابك أشعث مثل الشجيرات من حولنا، ووجهه كثقب أسود، كما هي الحال دائمًا. لكنه يجلس متربِّعًا ويداه موضوعتان على فخذيه، ولسبب ما يمكنني رؤية يديه بوضوح. إنها حمراء زاهية.

يقف الرجل ويبدو أطول مني جدًّا، ضخمًا مثل الجبل. يمشي متثاقلًا نحو الغابة، وتتباعد الأشجار له، وأفهم أنني عليَّ اتباعه. هناك شيء يريد أن يريني إياه، شيء يحتاج مني إلى رؤيته.

أتتبعه خلال الغابات. إنه مثل الدب، وحش، يحجب المنظر أمامه وأنا أكافح لمواكبته، لكنني لا أريد أن أضل طريقي وأخذله. تُغلق الغابة خلفي بسرعة في حين تنفتح أمامه، وأنا مدهوش من السيطرة التي يتمتع بها هنا.

يتوقف فجأة ويمد إحدى يديه الحمراوين باسطًا الأصابع. أتوقف وأنتقل إلى جانبه ويضع يده الحمراء الضخمة على كتفي، وتوخزني بشرتي حيث يلمسني. بهذا القرب تفوح منه رائحة الأرض واللحوم، ويمكنني الشعور بصدره الضخم يتمدد ببطء بجانبي، وأنفاسه تهتز في حلقه وهو يتنفس. أريد أن أميل إلى وزنه وقوته وحمايته. أريد أن أرى وجهه لكنني أعلم أنني لستُ مستحقًّا بعد.

تتقدم الغابات على مسافة قصيرة أمامنا. ثم يظهر هناك ما يشبه الحديقة وهي مضاءة أكثر من المكان الذي نقف فيه. شخص ما هناك لكنه لن يتمكن من رؤيتنا بسبب الظلام لكن يمكنني رؤيته.

إنه جيمس.

يبدأ قلبي في النبض بقوة أكبر، لأنني أعرف أن الأمر يعمل أخيرًا، ما علمني وأخبرني به يتحقق. سأقودنا إليه واحدًا تلو الآخر.

كنت على وشك مناداة جيمس عندما استيقظتُ.

تحققتُ من التاريخ مرة أخرى بعد أن انتهيتُ من القراءة. وثم قرأتُ المُدخل للمرة الثانية، مع إعطاء نفسي وقتًا للتفكير. كانت الغرفة صامتة وكنت على دراية بالآخرين الذين يحدقون إليَّ، في انتظار رد فعلي- يتساءلون أكنت سأفوز أنا أم تشارلي في هذا التبادل بالذات. بدا كل شيء كأنه متوازن على حافة سكين.

ألقيتُ نظرة خاطفة على تشارلي. كان يراقبني بفضول ويمكنني مبادلته نظرته لثانية واحدة فقط قبل النظر إلى الكتاب مرة أخرى.

لأنه لم تكن لديَّ أي فكرة عما يجب أن أقول.

ما قرأتُه للتو -ما كان لا يزال أمامي الآن- كان مستحيلًا. لا يمكن لشخصين أن يتشاركا الحلم. ومع ذلك فقد كنتُ متأكدًا بالقدر نفسه من عدم وجود تواطؤ بين جيمس وتشارلي. كانت الصدمة التي رأيتُها على وجه جيمس حقيقية.

شعرتُ بالثواني تمر، ومع مرور كل واحدة تراكم الإحباط بداخلي. حاولت قدر المستطاع، لم أستطع معرفة كيفية كشف السحر الذي فعله تشارلي هنا. لكن كان عليَّ قول شيء، وكانت رغبتي العنيدة في التصدي له أقوى من أي وقت مضى. كان يوجد شيء خاطئ هنا وكنت أعرف ذلك، شيء خطر. ما لم أكن أعرفه هو كيفية التعامل معه.

أغلقتُ المذكرات وأسقطتُها عرضًا على المكتب أمام تشارلي، ثم حاولتُ أن أبدو رافضًا قدر الإمكان.

- إذن من هو **سيد «الأيدي الحمراء»**؟

10

الحاضر

- عاش مايكل هنا عمليًّا.

تحدثتْ ماري برايس بهدوء، كما لو كان الهواء في الغرفة الأمامية حسَّاسًا وكانت قلقة من أن صوتها قد يزعجه.

نظرت أماندا حولها، كان صحيحًا أن بقايا حياة مايكل برايس لا تزال متناثرة باعتيادية. توجد طاولة زجاجية بجوار النافذة مع ما بدا كأنه واجب الصبي المدرسي على سطحها، رُمِيَتْ كومة من القلنسوات بعشوائية على ظهر أحد الكراسي الخشبية، وسماعات رأس سوداء موضوعة فوق ذراع الأريكة، وبجانب التلفزيون شاهدتْ أماندا علبًا لألعاب الفيديو منتشرة على الأرض بجانب بلاي ستيشن. بدت الغرفة كما لو أن مايكل كان هنا قبل لحظات فقط وسيعود مرة أخرى قريبًا.

لكنْ عندما عادتْ نظرات أماندا إلى والديِ الصبي، كان من الواضح على الفور أنه لن يعود. بدتْ ماري برايس شاحبة ومصدومة. كان زوجها دين جالسًا بجانبها على الأريكة، وجهه فارغ وإحدى يديه تشد ركبته بإحكام. كان التحدث إلى أقارب الضحايا هو الجزء الأصعب الذي وجدته أماندا في الوظيفة. خاصة في الآونة الأخيرة، وجدتْ صعوبة في عدم تحمل آلامهم على أنها آلامها، وتخيلهم يقفون بجانبها في مسرح الجريمة، واستيعاب تأثير

حزنهم. كان الشعور بالفقد والغياب في الغرفة الآن يكاد لا يطاق بالنسبة إليها.

تخيلتْ والدها يخبرها: **أغلقيه بعيدًا، يجب أن تُبقي نفسكِ منفصلة.**

لكنها لم تستطعْ.

كانت ماري تقول: «هذا خطأنا جزئيًّا، أعلم؛ لم نتمكن من توفير الكثير، كان لدى مايكل الغرفة نفسها منذ أن كان في الثامنة من عمره. إنها صغيرة جدًّا بالنسبة إلى مراهق- تتسع فقط لسرير وبعض الأدراج، حقًّا يا إلهي، لقد كنتُ أمًّا فظيعة».

نظرتْ أماندا إلى دين برايس في انتظاره لتهدئة زوجته. لكنْ بدا الرجل بعيدًا جدًّا في ذلك الوقت لدرجة أنها لم تكن متأكدة حتى أنه سمع.

- يجب ألا تقولي ذلك، أنا متأكدة من أنكما بذلتما قصارى جهدكما.

قالت ماري: «هل لديكِ أطفال؟».

يا إلهي، لا. لا تزال أماندا تتذكر ذعر الحمل الذي واجهتْه في أوائل العشرينيات من عمرها، لقد كانت حقًّا إحدى أسوأ الأشياء التي حدثتْ لها على الإطلاق.

- لا، ليس بعد.

- إنه أمر يستحق العناء، لكنه قد يكون صعبًا للغاية. كان مايكل دائمًا صبيًّا هادئًا، لكنه أصبح **صامتًا** جدًّا عندما أصبح أكبر سنًّا. وطبعًا لم يرغب في التحدث إلى والدته.

ثم نظرتْ ماري إلى زوجها الذي كان لا يزال يحدق إلى الفراغ: «لقد تحسَّنت علاقتكما مؤخرًا، أليس كذلك؟ كان ذلك لطيفًا لكما لأنكَ جعلتَه يشعر بوحدة أقل، أعتقد».

ربتت ماري ركبته.

لم يرد دين، وأعادت ماري انتباهها إلى أماندا.

- لهذا السبب لم أمانع أن يلعب كثيرًا، كان يرخي دفاعاته قليلًا حينها، كما ترين. كان ينسى أنني كنتُ هنا، وكان من الجيد سماعه يتفاعل مع الناس.

- معظم أصدقائه كانوا على الإنترنت؟

- حسنًا، لم يكونوا أصدقاء حقًّا، مجرد غرباء كان يلعب ضدهم. هذا... هذا سبب كوني سعيدة جدًّا عندما بدا أنه التقى بعضَ الأصدقاء في العالم الحقيقي.

صمتت ماري وتحركت أماندا بشكل غير مريح في مقعدها. سيكون هذا صعبًا. لكن يجب فعل ذلك. بصرف النظر عن أي شيء آخر، كان الاثنان يستحقان معرفة ما حدث.

قالت: «كما تعلمان، اتُّهِمَ صبيان بقتل ابنكما. ومن المقرر أن يمثلا أمام المحكمة مطلع الأسبوع المقبل».

عاد دين برايس إلى الحياة.

قال: «إليوت هيك وروبي فوستر».

تحدث ببطء وتعمُّد، لكنه ظل محدقًا إلى الجدار المقابل. ترددتْ أماندا. لم يُعلَن أسما الولدين في الصحافة، لكنْ بدا أنه لا جدوى من الاحتفاظ بهذه المعلومات عن الوالدين. هما يعرفان فعلًا، الجميع يعرف. هكذا كان نوع المجتمع في فيذربانك، أصبح الأمر كذلك بعد وجود الهامس[1] كل تلك السنوات الماضية.

قالت أماندا: «هيك وفوستر كانا صديقين منذ الطفولة، هل أنا محقة في التفكير بأن ابنك بدأ التسكع معهما فقط في وقت سابق من هذا العام؟».

أومأتْ ماري برأسها: «هذا صحيح، لقد طلبا منه الجلوس معهما».

---

(1) شخصية القاتل المتسلسل في رواية «الهامس» (The Whisper Man) للكاتب «أليكس نورث».

وهذا ما قاله لهم هيك. بدأ الأولاد الثلاثة الجلوس معًا في المدرسة، ثم في عطلات نهاية الأسبوع كانوا يذهبون إلى المحجر. قال هيك إن مايكل برايس كان يتوق إلى الصداقة. ويكاد يكون شاكرًا لها بشكل كبير. الطريقة التي وصفها بها جعلت الأمر يبدو كأن الاثنين قد تبنيا جروًا ضالًّا. وفي ضوء ما حدث فإن التفكير في ذلك جعل أماندا تشعر بالاشمئزاز.

في صباح يوم السبت التقى مايكل هيك وفوستر في الأرض المهجورة، وكالعادة قد سار الأولاد الثلاثة إلى المحجر معًا. من المفترض أن مايكل كان يتوقع المزيد من الصداقة والرفقة التي كان يبحث عنها طوال حياته واعتقد أنه وجدها الآن. لكنَّ هذه المرة مَن يُفترَض أن يكونا صديقيه قد أحضرا معهما سكاكينهما ومذكرات أحلامهما. كان قتل مايكل نيتهما من البداية. وقد أخبرهما المستخدم المعروف باسم CC666 بكل ما يحتاجان إلى معرفته لتكرار ما فعله تشارلي كرابتري.

لقد كنتُ هناك، راسلني

- هل ذكر مايكل مكانًا يُدعى جريتن من قبل لكم؟

فكرتْ ماري في الأمر ووجهها فارغ. ولكن بعد لحظة انحنى دين إلى الأمام. لاحظتْ أماندا أنه كان رجلًا مصنوعًا من زوايا صلبة، وكان هناك شيء يكاد يكون مهدِّدًا بالطريقة التي وجَّه بها انتباهه إليها الآن.

قال: «لا، أين هذا؟».

ترددتْ قبل أن تقول: «بلدة على بعد مسافة صغيرة شمال هنا، ماذا عن تشارلي كرابتري؟ أو شخص يدعى الأيدي الحمراء؟».

هز دين رأسه فقط.

- من الأيدي الحمراء؟

فكرت أماندا أنها **أسطورة**.

باستثناء ذلك طبعًا فقد كانت «الأسطورة» مصطلحًا كبيرًا جدًّا لشخصية خيالية استحضرها مجموعة من الأولاد المراهقين من خمسة وعشرين عامًا.

لكنْ بقدر ما قد يكون الأمر سخيفًا، وبقدر كونه محزنًا وغير مجدٍ كما شعرتْ به أماندا، فقد بدا أن هذا حقًّا ما **يكمن** وراء مقتل مايكل برايس في نهاية هذا الأسبوع. كانت الجريمة الأصلية سابقة لوجود الإنترنت الحديث، لكنَّ لغز اختفاء تشارلي كرابتري قد تُنوِولَ ومُرِّرَ مثل العصا على مر السنين: بُحِثَ وحُلِّلَ ونُوقِشَ- والأسوأ من ذلك أنه أُخِذَ كمصدر إلهام.

والذي كان من الصعب تصديقه على أحد المستويات. ما عدا أنه حتى الآن في أواخر الثلاثينيات من عمرها، لا يزال بإمكانها تذكر الرعب المتأصل في سنوات مراهقتها. بالطريقة التي كافحتْ بها للتفاوض مع عالم يبدو أنه يتغير باستمرار، والارتباك والشكوك حول أفضل طريقة للتصرف من أجل التأقلم، ومجموعة الضغوطات والتوترات التنافسية. الأهم من ذلك كله تذكرتِ الرغبة في الهروب من كل شيء- أن تكون في أي مكان بعيدًا عن حيث كانت، وأن تعثر على الشخص الذي كان من المفترض أن تكون عليه، كما لو أن نفسها الحقيقية كانت موجودة فعلًا في مكان ما، وفي يوم من الأيام كانوا سيجتمعون ويتصافحون. كان المغزى أن المراهقين لم يكونوا عقلانيين، ولم يكن العالم دائمًا لطيفًا معهم.

بذلتْ قصارى جهدها لتشرح لماري ودين برايس ما حدث في جريتن قبل خمسة وعشرين عامًا. استمع دين باهتمام الآن، يزداد تعبيره قتامة بمرور الوقت.

قال: «أنا لا أفهم، هل تقولين إن ابني قد قُتِلَ بسبب شبح؟».

- أنا لا أقول إنه منطقي. أنا أقول إن قاتليْه يبدو أنهما يؤمنان حقًّا بكل هذا، لقد اعتقدا بصدق أن هذا ما سيحدث، ظنًّا أنهما سيختفيان.

- كيف علما حتى بأي من هذا؟

ترددتْ أماندا مجددًا، إذ إنها لم ترغب في ذكر ما قاله CC666 لهيك وفوستر في هذا المنتدى. كانت إحدى التفاصيل التي لم ترغب حقًّا في المخاطرة بخروجها إلى العامة الآن- خاصة أنها رأت الآن محتوى «الدليل» الذي قدمه/قدمته خلال الرسائل المباشرة.

قالت: « على الإنترنت الكثير من المعلومات عن القضية».

لكنْ من حسن الحظ كان دين لا يزال يركز على كل ما أخبرتْه به للتو. بدا غاضبًا ومُشوَّشًا، وغير متأكد من كيفية مروره في طريقه بين الاثنين.

- ولكن لماذا يصدق أي شخص مثل هذا **الهراء**؟

- كما قلتُ لقد وقعتْ جريمة القتل هذه قبل خمسة وعشرين عامًا وبعد ذلك اختفى تشارلي كرابتري حقًّا. اختفى في الهواء.

- ماذا تقصدين بأنه اختفى؟

قالت أماندا: «هذا حرفيًّا ما حدث، مما يمكنني جمعه فقد كان هناك بحث مكثف لكنه لم يُرَ مرة أخرى. لذا فإن بعض الناس...»».

كانت على وشك أن تقول إنهم **يعتقدون أنه فعل ذلك حقًّا**، لكنَّ دين برايس قاطعها مرة أخرى -هذه المرة ببساطة رفع راحة يده لإيقافها- كان الأمر أكثر من اللازم بالنسبة إليه. وقف وخرج من الغرفة دون كلمة أخرى. استمعتْ أماندا وماري إلى ضجيج خطواته على الدرج، ثم صوت إغلاق الباب برفق مدهش، عند بسطة السلم أعلاه.

سادت لحظة من الصمت.

قالت ماري: «أنا آسفة بشأن زوجي».

- لا أحد منكما لديه ما يعتذر عنه.

وقفت ماري ببطء وسارت إلى الطاولة وبدأتْ في تعديل كومة القلنسوات العشوائية على ظهر الكرسي وترتيبها.

قالت: «الأمر صعب للغاية بالنسبة إليه، كان دين في الجيش، وكان مايكل دائمًا فتى لطيفًا وهادئًا. لم يفهما بعضهما وعندما كان مايكل أصغر سنًّا اعتاد أن يخاف من الظلام وكان ينادينا. كان يشعر دين بالإحباط- أخبره ألا وجود لشيء مثل الأشباح أو الوحوش. لذلك في النهاية كنتُ دائمًا من يذهب إليه».

قالت أماندا: «كنتُ مثله وأنا طفلة».

- حقًّا.

- بالتأكيد.

باستثناء أن والدها دائمًا كان هو مَن يأتي إليها؛ كان هادئًا ولطيفًا وصبورًا عندما تعلق الأمر برعاية ابنته وطمأنتها. والدها الذي كان بالتأكيد يستهجن منها الآن، موضحًا أن هذا لم يكن نوع التفاصيل الشخصية التي يجب أن يتخلى عنها ضابط الشرطة في سياق عمله.

قالت ماري: «فقط منذ أن ترك دين الجيش بدأ الاثنان في الارتباط. كانا مقربين جدًّا. ولطالما كان دين عمليًّا وقادرًا على حل المشكلات».

قالت أماندا: «لكنَّ هذه ليست مشكلة يمكنه حلها، أليس كذلك؟».

ابتسمت ماري بحزن.

- لا، إنها ليست مشكلة يمكن لأي شخص حلها، أليس كذلك؟ إنها مجرد شيء عليك التعايش معه.

انتهت من ضبط كومة الملابس، وتنهدت لنفسها.

- برأيكِ، ماذا حدث له؟ أعني هذا الفتى.

- تشارلي كرابتري؟

- نعم، هل تعتقدين أنه لا يزال حيًّا؟

اعتقدت أماندا ذلك.

خلال اليومين الماضيين بحثتْ بقدر ما تستطيع عن جريمة القتل في جريتن، وما زالت لا تعرف ماذا تعتقد؛ من ناحية فإن البحث عن كرابتري كان شاملًا: شارك المئات من الضباط وفرق البحث والإنقاذ المحلية وكلاب التعقب. كان هؤلاء أفرادًا لديهم خبرة هائلة في الأرض والتضاريس، وكلهم ركزوا على العثور على مراهق من المؤكد أنه لم يستطع الوصول إلى هذا البعد.

لكنْ من الناحية الأخرى لم يُعثَر عليه قطُّ. وكان يوجد أيضًا CC666 للتفكير فيه. أيًّا كان مَن وراء هذا الحساب يبدو أنه يشير إلى كونه تشارلي

كرابتري، والمعلومات التي قدمها إلى فوستر وهيك سَفَرَتْ عن مقتل مايكل برايس.

فكرتْ في الـ [صورة مرفقة]، الملف الذي أُرسِلَ كدليل على هوية المستخدم. عندما فتحتْه تسبب مشهد ما على الشاشة في إحساس بالقشعريرة على طول جسدها. كان صورة دفتر لملاحظات مفتوح على صفحتين يعود تاريخهما إلى ربع قرن مضى ومليئة بسطور من الكتابة السوداء الأنيقة.

أنا جالس معه في الغابة.

مذكرات أحلام تشارلي كرابتري التي كان من المفترض أنها اختفتْ من العالم مثلما اختفى.

نظرت أماندا إلى ماري، لكنها في الواقع تذكرت كلمات دين الآن، وسؤاله الذي أجابت عنه بدلًا منه.

هل تقولين إن ابني قُتل بسبب شبح؟

قالت: «لا أعرف».

11

كانت العلية فارغة بالكامل تقريبًا باستثناء كومة من ثلاثة صناديق من الورق المقوى. كُدِّسَتْ بدقة وكان من الواضح أنها محور المكان كله، مثل الضريح. وُضِعَ قِدر مفتوح به طلاء أحمر متجمد بجانبها، وكانت هناك قطع من ورق المطبخ الملفوف منتشرة، غارقة في الطلاء حتى بدت كأنها ملطخة بالدماء.

افترضتُ أن والدتي مسحتْ يديها بعد أن فعلت ما كان مطليًّا حولي.

اقتربتُ من الصناديق مبدئيًّا، زوايا رؤيتي مليئة بتلك الأيدي الحمراء الجنونية. كان لديَّ إحساس غير مريح بأنها كانت تتحرك عندما لا أنظر إليها -أنه طوال الوقت الذي كنت فيه في المنزل في الأيام القليلة الماضية- كانت هنا ترفرف بصمت خلال الأفاريز في الظلام.

أخذتُ الصندوق الأول وجلستُ على الأرض.

كان مغلقًا بشريط لاصق واستخدمتُ أحد مفاتيحي لقطعه على طول الشق. في داخله رأيتُ كومة من الصحف المتهالكة. سحبتُ الموضوعة في الأعلى وكانت نسخة قديمة من صحيفة «جريتن فالي تايمز» «**Gritten Valley times**» التي كانت الصحيفة المحلية للمنطقة عندما كنت طفلًا. وضعتُها تحت شعاع الضوء، وميَّزت العنوان الرئيسي الواضح في منتصف الصفحة الأولى الصفراء.

اهتزت جريتن بقتل مراهق.

لُطِّخَ النص المطبوع أسفل العنوان ببصمات الإبهام وتلاشى بمرور الوقت، لكنَّ الصور المشوشة هناك كانت لا تزال مرئية. كان هناك بيلي في سن الخامسة عشرة محدقًا بتجهم إلى الكاميرا، وشعره البني الكثيف مفروق في المنتصف وكان هناك القليل من حب الشباب على خديه. وأسفل تلك الصورة كانت هناك واحدة لتشارلي مبتسم بذهن شارد وشعره الأسود مصفف إلى الخلف وعيناه فارغة وغريبة كعين سمكة القرش.

كنت أعرف كلتا الصورتين جيدًا. لقد أُخِذَتا من صورة الفصل التي التقطناها جميعًا في وقت مبكر من عام جريمة القتل، وعرفتُ أن بقيتنا كانوا هناك في مكان ما خارج الإطار. هذه الصور كُبِّرَتْ، وهذا ما يفسر جودتها المنخفضة. كانت هناك صور أخرى أفضل لتشارلي وبيلي، لكنَّ هذه كانت الصور التي استخدمتْها وسائل الإعلام عامةً في ذلك الوقت. لم أفهم السبب في ذلك الوقت لكنني أدركتُ الآن أنها تناسب القصة بشكل أفضل، إذ لم تلتقط القتلة أنفسهم فقط، لكنْ أيضًا أدوارهم فيما حدث.

تشارلي القائد.

بيلي المنقاد.

لم أرَ صورة لأي منهما منذ سنوات وتركني مشهدهما الآن مخدَّرًا في الداخل. لقد فكرتُ أنني يجب أن أشعر بشيء ما، لكنْ للحظة لم أشعر بشيء. حدقتُ إلى الصورة الضبابية لتشارلي بضعَ ثوانٍ فارغة، وبعد ذلك -أخيرًا تحرك شيء بداخلي- كما لو أن وترًا في ذهني قد انهار تحت الضغط المفاجئ، وخرجتِ العاطفة متدهورة وغاضبة ومثارة بالاشمئزاز.

أنا أكرهكَ.

أنا أكرهكَ بحق الجحيم.

ارتجفتْ يدي وأنا أُخرج المزيد من الصحف من الصندوق. كانت هناك نسخ أخرى من «**جريتن فالي تايمز**»، لكنْ كانت هناك صحف وطنية أيضًا، كل القصص حول جريمة القتل هنا في جريتن وما تلاها من تحقيق. كانت

هناك تغطية لاعتقال بيلي ومحاكمته، والبحث عن تشارلي. حزن المجتمع في حالة صدمة من الشر حالك السواد الذي ازدهر في وسطه.

لقد احتفظتْ والدتي بها جميعًا.

لكن لماذا؟ تذكرتُ أنها شجعتني على عدم متابعة وسائل الإعلام في ذلك الوقت، في محاولة لحمايتي منها. لقد تجاهلتُها طبعًا، وكل تقرير قرأتُه الآن جلب معه مجموعة من الذكريات. توجد هنا صورة للملعب مغطى خلف أشرطة مسرح الجريمة، شرطي يقف حارسًا بجانب الشجيرات. يوجد هناك أيضًا عمود جانبي آخر فظيع يوضح بالتفصيل هوس تشارلي وبيلي بالحلم الجلي.

طويتُ الصفحة وعثرتُ على صورة لسكين وقد جف الدم على نصلها إلى فتات صدئ المظهر، وقرأت التعليق أدناها.

السلاح الذي استخدمه تشارلز كرابتري وبيلي روبرتس لطعن زميلهما حتى الموت. سُجِّلَ خمسون جرحًا على الجثة، تاركين رأس الضحية مقطوعًا تقريبًا.

وضعتُها جانبًا بسرعة.

شعرتُ بالفراغ في داخلي الآن، أصيب جسدي بالذهول قليلًا، وكأن تأثير رؤية كل هذا مرة أخرى كان جسديًّا أكثر من كونه عقليًّا. وطوال الوقت تظهر الأيدي الحمراء على أطراف رؤيتي.

ماذا يوجد في الصناديق الأخرى؟

كان هناك إلحاح مفاجئ للسؤال، لذا أخذتُ الصندوق الثاني وفتحته. كانت داخله صحف أيضًا، لكن يبدو أنها أحدث. أول صحيفة أخرجتُها منه كانت بتاريخ منذ أربع سنوات فقط، ومع ذلك كان العنوان مألوفًا بشكل رهيب.

صبي في الرابعة عشر من عمره قُتِلَ على يد زملائه في الفصل.

بجانب ذلك كانت هناك صورة لصبي شعره أشقر جامح ويوجد تناثُر من النمش على وجهه، وكانت ياقة زيه المدرسي مرئية في أسفل الإطار. كان يبتسم بلطف للكاميرا. أخبرني التعليق أسفل الصورة أن اسمه كان أندرو بروك. بدا أصغر بكثير من أربعة عشر عامًا، وللحظة ذكَّرني كثيرًا بجيمس في العمر نفسه لدرجة أن الأمر سلب أنفاسي.

بينما واصلت التصفح خلال الصحف شعرتُ بأن كل شيء غريب ومضطرب من حولي، كما لو أن العلية كانت تدور بضع درجات، وكان العالم الآن يرقد في زاوية غريبة ومربكة. ظهرتْ قصة ما حدث لأندرو بروك مجزَّأة في العناوين الرئيسية.

اعتقال اثنين في تحقيق جريمة قتل.

«غريبان» متهمان بالقتل الوحشي.

ادعاء الشرطة بوجود رابط خفي «أحد مسارات التحقيق».

لم يُذكر اسما القاتلين في التقارير لكنه كان من الواضح بعد قراءة المقالات سريعًا أن أندرو بروك تعرض للهجوم من قبل صبيين من مدرسته -ولدان كان يعتقد أنهما صديقاه- وأن الشرطة اعتقدتْ أنهما قتلاه كجزء من إحدى الشعائر. ذُكِرَتِ المذكرات ومواد أخرى صُودِرَتْ من منازلهما لتحليلها.

سحبتُ الصندوق الثالث أمامي وفتحتُه، صحف مجددًا. كانت هذه منذ عامين فقط وكانت التقارير عن مقتل آخر، هذه المرة لصبي يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا يُدعى بين هالسول. قُبِضَ على اثنين من زملائه الطلاب ووجهت إليهما تهمة قتله.

علاقة طائفة الأحلام بجريمة قتل محلية.

وعلى غرار الصندوق السابق ظلتِ التقارير غامضة من حيث التفاصيل الدقيقة، لكنْ إذا كنتَ تعرف ما تبحث عنه فإن الرابط كان أكثر وضوحًا هنا. كانت هناك إشارات إلى كون المشتبه فيهما انطوائيين ومعزولين ومهووسين بالأحلام وأساطير الإنترنت. كان تأثير جريمة القتل في جريتن واضحًا. وكنت أعرف بالضبط ما كنت أنظر إليه.

القتل المقلَّد.

لمدة خمسة وعشرين عامًا بذلت قصارى جهدي لعدم التفكير فيما فعله تشارلي وبيلي، أو دوري في الأحداث التي سبقتْ ذلك. تخلصتُ من أي ذنب وعندما غادرتُ إلى الجامعة كنتُ أتخيل أن القطار الذي استقللتُه في ذلك اليوم أخذني بعيدًا عنه. إلى الحد الذي عندما كنت أفكر فيه فيما مضى كنت أفترض أن بقية العالم قد فعل الشيء نفسه كما فعلتُ، وأن تشارلي قد نُسِيَ.

لكنه لم يُنسَ.

وكانت والدتي تعرف.

لماذا احتفظتِ بكل هذا يا أمي؟

لكنْ طبعًا لا توجد إجابة عن هذا السؤال هنا. جلستُ على عقبي وأغمضتُ عيني. كان الصمت يرن في الأجواء. وفي الظلام من حولي شعرت بمائة يد حمراء كالدم تنزلق بهدوء فوق الأفاريز.

***

بعد ساعة أوقفتُ سيارتي خارج دار رعاية المسنين، كانت المناطق المحيطة هادئة كما اعتادتْ أن تكون، وأشعة الشمس تتسرب خلال الشجر، لكنْ شعرتُ أن العالم مظلم أكثر مما كان عليه من قبل. كان الأمر كما لو أن ظلًّا يسقط تدريجيًّا فوق كل شيء، وكان صدري يضيق توترًا وأنا أشق طريقي إلى غرفة والدتي. مكتبة سُر مَن قرأ

كانت نائمة. ولأول مرة منذ وصولي إلى جريتن تمنيتُ ألا تكون كذلك. بدتْ أصغر من أي وقت مضى اليوم، كان جسدها هناك بالكاد يتنفس. أصدرتِ الآلة التي كانت تراقب قلبها صفيرًا ناعمًا كل بضع ثوان وحتى هذا الصوت بدا أكثر هدوءًا من المعتاد.

سألت بهدوء: «بماذا تحلمين؟».

ثم جلستُ على الكرسي بجانب السرير بعضَ الوقت، أفركُ يدي معًا ببطء. كانت النافذة مفتوحة ويمكنني شم رائحة الشجر والعشب المقطوع هناك، وسماع اندفاع طفيف من النسيم.

لكنْ مع أن جسدي كان في دار رعاية المسنين، فإن عقلي استمرَّ في العودة إلى العلية وما وجدتُه فيها. وبينما كنت أنتظر أن تستيقظ والدتي أخرجتُ هاتفي وبدأتُ البحث خلال الإنترنت.

كان هناك الآلاف من نتائج البحث. كان سيستغرق الأمر مني ساعات لقراءتها كلها، لكنني نقرتُ منتدى كبيرًا مخصصًا لجريمة القتل في جريتن، ثم بحثتُ سريعًا في مئات المنشورات هناك. فاجأني مقدار المعلومات، إذ تُجرى مناقشة كل جانب من جوانب القضية بالتفاصيل. لكنْ ما وجدتُه أكثر روعة هو سلاسل المنشورات المخصصة لاختفاء تشارلي. استمرتِ التكهنات هناك.

بدا الأمر معدوم الجدوى. إذا لم تتمكن الشرطة من العثور على تشارلي قبل ربع قرن فما الذي سيحققه مجموعة من الهواة خلال الإنترنت الآن؟ فبصرف النظر كانت لديهم جميعًا نظرياتهم المفضلة حول كيفية اختفائه. اعتقد البعض أن بقاياه لا تزال موجودة في أعماق جريتن وود، لا يزال ينتظر أن يُكتشَف. ويعتقد آخرون أن شريكًا ساعد على إبعاده وأنه لا يزال حيًّا في مكان ما.

التفكير في ذلك جعلني أرتجف.

ولكنَّ الأسوأ من ذلك كانت المنشورات من الأشخاص الذين بدا أنهم يصدقون المستحيل. كان تشارلي يعتقد أن التضحية ستسمح له بالاختفاء في عالم الأحلام إلى الأبد، وكان هناك أشخاص على الإنترنت يعتقدون بصدق أنه نجح في ذلك.

وهو أمر سخيف طبعًا، لكن في الوقت نفسه تذكرتُ جيدًا كم جذبتني الأحلام الجلية عندما كنتُ مراهقًا- وكيف أنه مع عدم تصديقي الفكرة السطحية لهراء تشارلي، فإن الفكرة الأساسية **للهروب** لا تزال تجذبني. إذا

لم أصدقه من قبل فربما أراد جزء مني ذلك. لذا نعم كان الأمر سخيفًا. لكنني رأيتُ ذلك يحدث بنفسي، أليس كذلك؟ لقد شاهدتُ إيمانًا يترسخ، ثم تتكشف التداعيات المروعة لتلك القناعة ببطء وبلا هوادة في الوقت الفعلي.

كان قتلة أندرو بروك وبين هالسول يصدقون.

لقد أصابني بالغثيان أن ما فعله تشارلي وبيلي في ذلك اليوم أصبح قصة، قصة نمت وحُرِّفَتْ بمرور السنين، والآن مات بسببه مراهقان آخران على الأقل. ربما كان من السخيف تصديق أن تشارلي قد اختفى في عالم خيالي، ولكنه حقق أمنيته في بعض النواحي، فقد تسربت جريمة القتل إلى حياة العديد من الآخرين، وعاش تشارلي في أحلامهم وكوابيسهم، تمامًا كما أراد.

ولأنني أديتُ دوري الخاص فيما حدث فقد كان من المستحيل التخلص من الشعور بأنني مسؤول جزئيًّا عن جرائم القتل التي أعقبتْ ذلك. وأنني سواء كنت أعرف عنهم أم لا فكانوا بطريقة ما خطأي.

بعد مدة بدأتْ والدتي التحرك في أثناء نومها. تغيرتْ وتيرة تنفسها، وبينما كان من المحتمل أنني أتخيل لكنْ بدا أن الصفير الناعم لجهاز مراقبة قلبها بجانبي أعلى قليلًا.

فتحتْ عينيها.

انتظرتُ وهي تحدق إلى السقف لبضع ثوان. أدارتْ رأسها ونظرتْ إليَّ بتبلُّد. وبعد ذلك بدت حزينة كما كنتُ أراها دائمًا. كان الأمر كما لو أنها أرادت الوصول إلى شخص ما -لتلمسه- لكنْ كانت هناك نافذة تفصل بينهما.

قالت: «يمكنكَ اختيار شخص أفضل بكثير كما تعلم».

تذكرتُ الصور التي رأيتُها في المنزل. عندما كانت أمي شابة مليئة بالآمال والأحلام تضحك بفرح لدرجة أنه بدا كما لو كان كل العالم يسعدها. كان التناقض الآن شديدًا.

قلت: «أمي، إنه أنا بول».

حدقتْ إلى وجهي وكنتُ قلقًا من أنها قد تتفاعل بالطريقة التي كانت عليها في زيارتي الأولى، لكنْ بدلًا من ذلك بعد لحظة تغير تعبيرها، وتبدل الحزن بشيء أكثر سعادة قليلًا، لكنه لا يزال مخلوطًا بالحزن والفقد.

قالت: «تبدو ناضجًا جدًّا».

- أنا كذلك.

- أنا أعلم. أو على الأقل أنتَ **تعتقد** أنكَ كذلك. الجميع يفعل في عمرك لكنَّ هذا لا يمنعني من القلق عليكَ، فإن ابني يخرج بمفرده إلى العالم الكبير الواسع.

ابتلعتُ ريقي.

لم تكن موجودة معي الآن، لكنني كنت أعرف أين كان عقلها وماذا كان يرى. لم أكن بحاجة إلى إغلاق عيني لتصور ذلك اليوم الأخير في محطة السكة الحديدية في حين كنا ننتظر القطار معًا وأنا متوجه إلى الجامعة مع حقائبي على الرصيف بجانبي، تذكرت ما قالتْه لي.

سيحل عيد الميلاد قبل أن تدرك.

ابتسمتْ أمي بحزن الآن.

قالت: «وأنا أعلم أنك لن تعود».

لبضع ثوان لم أقل شيئًا تمامًا كما كنتُ أفعل في ذلك الوقت.

ثم انحنيتُ إلى الأمام.

قلتُ بهدوء: «لا، لن أفعل، أنا آسف».

- لستَ بحاجة إلى الاعتذار.

- هل أنتِ حزينة حيال الأمر؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

هزت رأسها بهدوء ناظرةً إلى السقف وابتسمت مرة أخرى، هذه المرة أكثر لنفسها.

قالت: «سأفتقدكَ كثيرًا، لكنني سعيدة من أجلك. أريدك أن تخرج وتفعل أشياءَ عظيمة. هذا كل ما أردتُه أن تبتعد عن هذا المكان وعن كل ما حدث هنا،

أريد أن ألقي بك بعيدًا قدر الإمكان، حتى تتمكن من أن تنمو وتقوى في مكان أفضل، وحتى تتمكن من الحصول على حياة جيدة. لا يهمني أفكرت فيَّ على الإطلاق أم لا لأنني سأفكر فيك بدلًا من ذلك».

لم أجِب فلم أكن أعرف ما الذي يدور في رأس والدتي في ذلك اليوم، ولم أنجبْ طفلًا من قبل لمساعدتي في فهم فكرة التضحية غير المشروطة التي كانت تصفها.

هذا كل ما أردتُه.

أن تبتعد عن هذا المكان وكل ما حدث هنا.

طوال هذه السنوات كانت على علم بجرائم القتل المقلدة. واحتفظتْ بصحف توضِّح بالتفصيل الجرائم المرتبطة بي التي كنتُ سعيدًا بعدم علمي بها. لقد سمحتْ لي بالهروب ثم حملتْ وزنًا في غيابي كان يجب أن أحمله.

لقد كانت تحميني.

قلت: «صعدتُ إلى العلية يا أمي».

ارتعشتِ ابتسامتها على إثر ذلك. كان الأمر كما لو أن كلماتي تدخَّلت في استقبالها، وهذا ما قاطع وضوح الإشارة التي كانت تتلقاها، مثل موجة تشويش مزعجة على شاشة ذكرياتها. ندمتُ على ذلك على الفور فإذا كانتْ قد فعلت ذلك من أجلي على مر السنين فمن المؤكد أن دوري قد حان لتحمل العبء الآن. أكثر ما يهم هو أن تكون أيامها وساعاتها الأخيرة سالمة.

قالت: «ماذا كان ذلك؟».

- لا شيء يا أمي.

تنفستْ ببطء. ومرتِ الثواني.

ثم عبستْ قليلًا.

قالت: «هناك شيء أريد أن أخبركَ به».

- ما هو؟

عمَّ المزيد من الصمت عدا صوت التنفس الهادئ.

قالت: «أنا فقط لا أتذكر ما هو».

انتظرتُ ولم تكن لديَّ أي فكرة عن الوقت أو المكان الذي كانت تتحدث منه أمي الآن، كما لو كانت كلماتي أزعجتها بوضوح. هل لا تزال في محطة السكة الحديدية في ذلك اليوم معي؟ أم إن هذه الأفكار تأتي من مكان آخر كليًّا؟

لكن لم تكن هناك إجابة عن هذا السؤال. فأيًّا كان ما كانت تحلم به أمي من قبل قد عادت إليه الآن.

12

هل تقولين إن ابني قُتِلَ بسبب شبح؟

كانتْ أماندا لا تزال تفكر في هذا السؤال عند عودتها إلى القسم، وبدلًا من التوجه مباشرة إلى مكتبها دخلتِ المصعد وضغطتْ زر الطابق السفلي.

كان بالتأكيد مكانًا للأشباح هنا. فبينما حُدِّثَ بقية المبنى قبل بضع سنوات فقد ظل الطابق السفلي كما هو. كان الطلاء على الجدران يتقشَّر ويقع في هيئة بقع، كما لو قُشِّرَ بالأظفار، وتومض بعض الأضواء العلوية وهي تمشي تحتها. كانت الممرات هنا صامتة بخلاف صوت طنين منتشر في كل مكان. كلما زارت أماندا الطابق السفلي لم تكن متأكدة قطُّ أكانت الضوضاء تأتي من الأضواء في الأعلى أم الأسلاك الموجودة في الجدران أم شيء آخر تمامًا. وأي من هذه الخيارات أثارت أعصابها أكثر من غيرها.

الغرفة المظلمة إذن.

عندما وصلتْ إليها طرقتِ الباب وانتظرتْ. مع أنها لم يعجبها الوجود هنا، بدا من الأسهل إجراء محادثة شخصية بدلًا من التقاط الهاتف أو إرسال بريد إلكتروني.

سمعتْ حركة من الداخل ثم فُتِحَ الباب بعد بضع ثوان. كان لدى المحقق ثيو روان طريقة لفتح الباب ليس بالعرض الذي قد تتوقعه، ذكَّرها بشخص ما يحتفظ بالسلسلة مغلقة في حال وصول زائر غير مرحب به. لكنَّ سُمعتَه

في جميع أنحاء القسم ترجع إلى حد كبير إلى العمل الذي عمله شخصيًّا، تخيلتْ أماندا أنه سيكون مفاجأة للأشخاص الذين سمعوا عنه ولكنهم لم يلتقوه قطُّ. كان ثيو في أواخر العشرينيات من عمره ببنية رياضية وشعر أشقر مجعد. ورغم كل الحديث عن كونه مخيفًا كانت لديه ابتسامة لطيفة، ظهرت الآن.

- أماندا.

- مرحبًا ثيو.

بينما بقيت الابتسامة موجودة ولكنه لم يفتح الباب على نطاق أوسع.

قال: «ما سبب تشريفكِ لنا هنا؟».

- أحتاج إلى مساعدة في العثور على شخص ما.

الذي علماه كلاهما أن هذه لم تكن وظيفته، لكنها كانت جربت فعلًا الطرق المعتادة دون جدوى، واعتقدتْ أن ثيو سيدرك أنها كانت تبحث عن نهج مختلف قليلًا. ليس مخالفًا القانون تمامًا، لكنْ ربما أقل تقليدية مما يسمح به كتاب القواعد بصرامة.

كما خمنت أنه سيكون مفتونًا باحتمالية ذلك. كانت على حق. فبعد لحظة فُتِحَ الباب كليًّا.

- يجب أن تدخلي بالتأكيد إذن.

تبعت ثيو إلى الغرفة وأغلقتِ الباب خلفها. رغم اللقب غير الرسمي الذي أطلقه الضباط عليها فقد كانت الغرفة المظلمة في الواقع أي شيء سوى ذلك. مع أنها تفتقر إلى الضوء الطبيعي، فإنها كانت مضيئة بسطوع، والأسطح نظيفة ومصقولة بشكل لا تشوبه شائبة لدرجة أنها ذكَّرتها بالمختبر.

وبطريقة ما كانت هناك فعلًا أشياء تنمو هنا.

نظرتْ أماندا إلى أحد جانبيها، في حين كانت معظم الغرفة بيضاء ونظيفة، والمكاتب مغطاة بشاشات مرتبة بعناية، فقد كان أحد الجدران أدكن وأكثر فوضوية. وُضِعَتْ مكتبة ضخمة من محركات الأقراص الصلبة

السوداء في نظام رفوف مفصل؛ دُوِّرَت الكابلات التي ظهرت بينهما ورُبِطَتْ بعناية، ولكنها لا تزال تخلق كتلة من الملمس الخشن الذي تومض منه الكثير من مصابيح الإضاءة الخضراء والحمراء مثل عيون العناكب مُيِّزَ كل محرك أقراص صلبة بعناية بعلامة بيضاء رفيعة، كانت تعلم أن العديد منهم كانوا أسماء أطفال، ليست أسماء حقيقية حية، لكن أسماء الشخصيات المزيفة على الإنترنت التي أنشأها ثيو وفريقه. كانت هناك هويات لأشخاص بالغة مختلقة بالقدر نفسه. أدرجت محركات الأقراص الأخرى ببساطة أسماء منتديات الإنترنت، كان بعضها سيئ السمعة لكن بعضها الآخر كان نحت رادار عامة الناس جيدًا.

كان العمل الذي عمله ثيو في الغرفة المظلمة واضحًا ومرعبًا في الوقت نفسه، قضى هو وفريقه أيامهم في أعماق الإنترنت يبحثون في ثغراته، إذا كان هناك أي شخص يمكنه مساعدتها على تعقب شبح خلال الإنترنت فهو المحقق ثيو روان.

كان الوحيد في الوقت الحالي، وقادها إلى مكتب في أقصى نهاية الغرفة.

قال: «هذا يتعلق بجريمة قتل برايس؟».

- نعم. **غير المحلول** و...

- **المجهول**. نعم أتذكر. أخبريني ما تحتاجين إليه.

أوضحتْ أماندا عن تاريخ القضية، والمستخدم في المنتدى الذي أرسل صورة لما بدا أنه مذكرات أحلام تشارلي كرابتري. باستخدام تسجيل دخول فوستر أثبتت أن كل شخص مسجل على الموقع لديه ملف شخصي، لكن خاصة CC666 تُرِكَ فارغًا تمامًا. استُضيفَ الموقع خارج البلاد وكان التسجيل خاصًا. لقد تواصلتْ مع المالك المجهول من خلال رابط في المنتدى ولكنها قُوبِلَتْ بالصمت. يبدو أنه ليست لديه رغبة في التعاون مع الشرطة. حتى الآن كل هذا يعني أن الدليل الوحيد الذي كان لديها على المستخدم المعروف باسم CC666 كان كلماتهم على الشاشة. يبدو أنه لم يكن هناك مكان آخر للذهاب إليه.

استمع لها ثيو بعناية لكن في المنتصف كان قد حوَّل انتباهه فعلًا إلى شاشة أمامه وبدأ في الكتابة بسرعة.

قال: «وهل تعتقدين أن هذا الشخص قد يكون كرابتري؟».

قالت أماندا: «لا أعرف، لا يبدو ذلك ممكنًا، لكنَّ هذا ما يبدو أنه يشير إليه في رسائله، وبالنظر إلى الطريقة التي شجَّع بها هيك وفوستر أودُّ بشدة معرفة من هو. أنا فقط لا أعرف كيف».

انتهى ثيو من الكتابة.

- ربما يمكنني أن أحضر لكِ عنوان الآي بي الخاص به.
- يمكنكَ؟
- ربما، لكنْ عليكِ أن تضعي في اعتبارِكِ أنه حتى لو فعلتُ قد لا يكون ذلك دقيقًا بما يكفي لتحديد هُويَّته. عناوين الآي بي تختلف من حيث دقتها. قد لا أكون قادرًا على تحديد منزله بالضبط من أجلكِ، لكنه قد يضيق نطاق بحثنا على الأقل إلى منطقة.

قالت أماندا: «سيكون ذلك جيدًا، لكن كيف؟».

أشار ثيو خلال الغرفة إلى جدار محركات الأقراص الصلبة الخاص به.

- مع القليل من المساعدة من أصدقائي.

أو بعبارة أخرى: خصَّصَ شبحًا للقبض على شبح.

أوضح ثيو أنه سيستخدم إحدى هُويَّاته المزورة المزروعة لإنشاء حساب في المنتدى، موفرًا معلومات كافية في الملف الشخصي لأي شخص ينظر إليه لإثبات أنه يبدو كشخص حي يتنفس ولا علاقة له بالشرطة. ومن ثَمَّ يرسل رسالة مباشرة إلى CC666 تحتوي على رابط مصمم لإثارة فضوله. سيبدو الرابط نفسه عامًّا وبريئًا -اختار الاثنان مقالًا صحفيًّا- لكنه سيمر خلال صفحة خادعة أولًا لن يراها الشخص الذي نقر عليها أبدًا. تلك الصفحة ستسجل بيانات شاملة عن المستخدم: اتصاله بالإنترنت، وتفاصيل حاسوبه، وموقع من نوع ما. ولما كان CC666 هو الشخص الوحيد الذي سيزور هذا

الرابط، سيكونان واثقين من أن أي معلومات حصلا عليها ستكون للشخص الذي يبحثان عنه.

جعل ثيو الأمر يبدو بسيطًا.

قال: «طبعًا، هذا يعتمد على CC666 في تناول الطُّعم».

- أستفعل أنت؟

رفع حاجبه وضحك.

***

عندما أخذت أماندا المصعد إلى الطابق العلوي كانت لا تزال تفكر في السؤال الذي طُرِحَ عليها مرتين في ذلك اليوم.

هل اعتقدتْ أن المستخدم هو تشارلي كرابتري؟

كان من الصعب تخيُّل ذلك. بالتأكيد يجب أن يكون كرابتري ميتًا الآن وإلا فقد وجده شخص ما. كان يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا وقت جريمة القتل، وبينما ما علمته عن القضية قد أعطاها فكرة عن مدى كونه ماكرًا ومدى دقة خطته، فقد كان من الصعب تصديق أنه كان بإمكانه التهرب من القبض عليه كل هذه السنوات.

لكنه ليس مستحيلًا.

أصابتها الفكرة بالقشعريرة. فإذا كان حقًّا هو إذن ماذا كان يفعل؟

ماذا يمكن أن تكون خطته الآن؟

عند عودتها إلى مكتبها أغلقتْ أماندا الستائر وأطفأتِ الضوء، واستدارتْ إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها. قائلةً لنفسها أن تكون عاقلة. فقبل أن تبدأ في التفكير بالأشباح هناك طرق أخرى لتستكشفها.

كنت هناك، راسلني.

ربما لم تعثر الشرطة على تشارلي كرابتري منذ خمسة وعشرين عامًا، لكنَّ الأدلة ضد بيلي روبرتس كانت قوية. وكان روبرتس قد أقرَّ بأنه مذنب

في جريمة القتل. حاول محاميه المجادلة بأن الصبي كان يعاني انفصامَ الشخصية، لكنْ طُعِنَ في التشخيص من قبل فحص نفسي ثانٍ ورفضه القاضي في النهاية. اتُّخِذَتِ الآثار المترتبة على إساءة معاملة الأطفال في الاعتبار، إلى جانب قبول أن كرابتري أخذ زمام المبادرة في الجريمة. في النهاية حُكم على روبرتس بالسجن عشرين عامًا بتهمة القتل.

وفقًا للملفات على الإنترنت التي قرأتْها فقد استجاب جيدًا لمختلف المبادرات والبرامج التي التحق بها خلال مدة عقوبته. وصفته التقارير التقييمية مرارًا وتكرارًا بأنه مُفكِّر وتائب ومن غير المرجح أن يمثل خطرًا آخر على المجتمع. حُكِمَ عليه بأنه لائق للإفراج عنه، وأُطلِق سراحه منذ أكثر من عشر سنوات.

اتكأت أماندا على كرسيها.

بيلي روبرتس الشخص الذي **كان** هناك حقًّا في ذلك اليوم، كان موجودًا في مكان ما في العالم الآن.

أثارت معرفتها بالأمر شعورًا مختلطًا. لقد أصبحت على دراية بجريمة القتل في جريتن، واستقرت شراسة ما فُعِلَ هناك في رأسها. فكرت كيف لا يمكنها وهي قد رأت نسخة منه بعينيها في المحجر؟ فكرة أن أحد الأشخاص المسؤولين عن مثل هذا الفعل الشنيع كان حرًّا في المجتمع هزتها قليلًا.

لكن طبعًا كان بيلي روبرتس أكثر بقليل من مجرد طفل في وقت جريمة القتل، وكان عليها أن تصدق أن الناس يمكن أن يتغيروا.

في الوقت نفسه كانت مترددة في الاعتماد بالكامل على أحكام الغرباء عندما يتعلق الأمر بذلك. قرأت التقارير على الشاشة مرة أخرى ربما يكون روبرتس قد قدَّم نفسه على أنه فِكَيْر وتائب سطحيًّا، ولكن من يدري مدى الضرر غير المرئي الذي أحدثه به القتل والسجن اللاحق على مستوى أعمق؟

خاصة عندما عرف أن تشارلي قد أفلت من العقاب.

فتحت أماندا علامة تبويب جديدة على الكمبيوتر وبدأت في الكتابة. كانت مستعدة لمحاولة تتبع بيلي روبرتس من خلال نظام الإفراج المشروط -وإن

كانت ستتحمل على مضض التعقيدات التي قد تنطوي عليها- لكن اتضح أن ذلك لن يكون ضروريًّا. بقدر ما كان لا يُصدق كما وجدته، فقد أُدرِج عنوانه ورقم هاتفه علنًا.

افترضت أنه هو على الأقل أو يجب أن يكون. كان العنوان على النظام على بعد كيلومترات فقط من وسط جريتن، وبعد فحص جانبي سريع للملف الأصلي تبين أنه كان المكان الذي عاش فيه والدا روبرتس في ذلك الوقت. وبالبحث أعمق قليلًا وجدت نفسها تدقق النظر في ما اكتشفته. توفيت والدة روبرتس في أثناء وجوده في السجن. عند إطلاق سراحه بدا أنه عاد إلى المنزل وعاش مع والده الذي توفي بعد ذلك بعامين، وظل روبرتس في منزل الأسرة منذ ذلك الحين.

فكرت: **يا إلهي**.

بالنظر إلى خلفيته من المفترض أنه لم يكن لديه خيار يذكر، لكنْ ما زال من الصعب تخيل رجل يرتكب مثل هذه الجريمة ثم يعود إلى المدينة التي حدثت فيها، ويعيش هناك- أو على الأقل محاولة العيش. تساءلت عن عدد جيرانه الذين تذكروا أو علموا بما فعله روبرتس، أوكان وجوده المستمر في المنطقة أكثر صعوبة بالنسبة إليهم أو إليه.

التقطت أماندا الهاتف.

رن لمدة من الوقت.

- مرحبًا.

صوت الرجل، تمكن بطريقة ما من أن يبدو فظًّا وفارغًا في الوقت نفسه، كما لو كان حانقًا لأن أُزعِجَ بشيء كان يعلم أنه لا يمكن أن يكون مهمًّا. كانت في الخلفية أصوات أخرى، كانت تسمع الشتائم والصراخ، لكنَّ كل شيء كان بعيدًا كأنه قادم من غرفة أخرى.

قالت أماندا: «مرحبًا، هل هذا بيلي روبرتس؟».

- من أنتِ؟

- أنا المحققة أماندا بيك، أنا أحاول...

أغلق روبرتس الخط.

حاولت أماندا الاتصال بالرقم مرة أخرى، لكنْ هذه المرة كما كانت تتوقع أكثر أو أقل لم تكن هناك إجابة.

عبست.

لماذا لا تريد التحدث معي يا بيلي؟

كان هناك مليون إجابة محتملة عن السؤال طبعًا، لكنَّ الحقيقة بقيت أن هناك شخصًا ما ادعى أنه كان حاضرًا في يوم جريمة القتل في جريتن وكان بإمكانه الوصول إلى ما يبدو أنها مذكرات أحلام تشارلي كرابتري المفقودة الذي ساعد على التحريض على جريمة القتل. في حين أن الفخ الذي قد نصبه ثيو قد يعطيها نتيجة، فقد بدا روبرتس مرشحًا لائقًا للنظر إليه في هذه الأثناء.

أغلقت الكمبيوتر وذهبت لرؤية ليونز.

13

أردتُ أن أرى جيني مرة أخرى، وكانت لديَّ فكرة عن أفضل طريقة للعثور عليها. الطريقة التي ظهر بها النبيذ الأبيض من قبل دون أن تطلبه، تشير إلى أنها كانت زبونة دائمة في الحانة المحلية عندما تكون في المدينة، ويمكنني أن أتخيل نظامًا تهرب فيه من منزل والدتها للحصول على بعض الوقت بمفردها في وقت ما بعد الظهيرة.

وبالتأكيد عندما دخلتُ الحانة رصدتُها على الفور، جالسة على الطاولة نفسها التي كانت من قبل، وكأس من النبيذ قبالتها. حصلتُ على مشروب وشققتُ طريقي إليها، نظرتْ إلى الأعلى شاعرةً بالذنب قليلًا عندما اقتربتُ.

قالت: «لقد أمسكتَ بي، بصراحة ليستْ لديَّ مشكلة».

- مرحبًا، أنا هنا أيضًا. هل تمانعين لو جلست؟

- تفضل.

جلستُ قبالتها ثم بدأت العبث بقاعدة كوب البيرة لإعطاء يدي شيئًا لأفعله. جلس كلانا في صمت للحظة، حتى اتكأت أخيرًا على كرسيها.

- كنت أفكر فيما قلتَه لي بالأمس.

- ما هو؟

- أشياء عن حياتك، لطالما ظننتُ أنك ستكون متزوجًا ولديك أطفال بحلول الآن. وتكتب قصصك، وأيضًا الطريقة التي لم تكن ترغب في

النظر فيها إلى ما قالته والدتكَ، إنها فقط مختلفة تمامًا عما كنت عليه في السابق. دعنا نقول فقط إنني أتذكر أنك كنت أكثر... استباقية قليلًا.

رفعتُ حاجبًا. أدركتُ أنه حتى بعد كل هذا الوقت كانت لا تزال لديها القدرة على جعلي أحمرُّ خجلًا، ومررتُ إصبعي على تكثف المياه على زجاجة البيرة لتشتيت انتباهي.

كانت على حق طبعًا. لكن بدلًا من التفكير فيَّ وفيها في ذلك الوقت، وجدتُ نفسي أتذكر ذلك اليوم في لعبة الرجبي بدلًا من ذلك -اليوم الذي مات فيه هيج- وكيف كنتُ مصممًا جدًّا على تجاوز الصبي المقابل لي على أرض الملعب. وكيف كنتُ أنا من وقف لجيمس وحماه. والتركيز الذي كان لديَّ عندما كنتُ مراهقًا أعمل على أفكاري للقصص في وقت متأخر من الليل، والمنزل مظلم وصامت من حولي.

قلت: «أعتقد ذلك».

- إذن ما الذي تغير؟

نظرتُ إليها: «أنت تعرفين ما تغير».

أعطتني نظرةً محددةً في المقابل: «لكنْ مرت خمسة وعشرون عامًا، يبدو هذا وقتًا طويلًا للاستقرار».

لم أردْ. ومرة أخرى افترضتُ أنها كانت على حق. بينما أمضيتُ معظم حياتي أحاول ألا أفكر في ما حدث في جريتن، الحقيقة هي أنكَ لستَ بحاجة إلى التفكير في شيء ما حتى يؤثر فيك. لقد خرجتُ عن مساري، وبإبقاء عيني مغمضتين لم أتمكن قطُّ من تصحيح هذا المسار.

قلتُ أخيرًا: «حسنًا، لقد بحثتُ في ما قالته والدتي وفتشتُ المنزل. كنتِ ستفخرين بي».

- إذن لقد بحثت، و...

- ووجدت.

أخبرتُها عن صناديق الصحف التي جمعتْها والدتي- تغطية ليس فقط لما فعله تشارلي وبيلي هنا في جريتن، لكنْ لجرائم القتل التي ارتُكِبَتْ منذ ذلك الحين. كيف بدا أنه على مر السنين قرأ مراهقون آخرون عن تشارلي وسعوا إلى محاكاة ما اعتقد بعضهم أنه تمكن من تحقيقه.

قلت: «القضايا المقلدة، لقد تحققتُ من خلال الإنترنت وكل التفاصيل موجودة. اعتقد تشارلي أن التضحية للأيدي الحمراء ستسمح له بالعيش في عالم الأحلام إلى الأبد، ولأنه اختفى **فعلًا** فهناك بعض الأشخاص الذين يعتقدون أنه تمكن من ذلك».

هزت جيني رأسها.

- لكنَّ هذا...

- سخيف؟ نعم، أنا أعلم، لكنْ هناك كل هذه المواقع.

ثم بدأتُ في الوصول إلى هاتفي، لكنْ بعدها غيرتُ رأيي «إنه جنون، مواقع الويب «websleuths»[1] هذه -أعني هذا حرفيًّا ما يطلقون على أنفسهم- إنهم يتفحَّصون كل التفاصيل الصغيرة في محاولة لاكتشاف كيف اختفى تشارلي».

قالت جيني: «يحب الناس الألغاز الجيدة».

- لكنْ لن يحلها أحد على الإطلاق. فكل شخص يعرف احتمالية كون تشارلي حيًّا.

على الفور تمنيتُ أن أستعيد الكلمات. كان التفكير في هروبه من العدالة بعد ما فعله أمرًا لا يطاق في حد ذاته، لكنْ كان يثير الأعصاب أيضًا تخيُّل أنه قد يكون موجودًا في مكان ما. حتى بعد كل هذا الوقت أخافتني فكرة كونه قريبًا.

سادت لحظة من الصمت.

---

(1) موقع ويب مختص بالجرائم والبحث عن المفقودين.

قلت: «أفترض أنه قد يكون كذلك، لأن الناس ما زالوا يستمعون له، أليس كذلك؟ ما زالوا **يتعلمون** منه».

- لماذا تعتقد أن والدتك احتفظت بكل شيء؟

قلت: «لستُ متأكدًا، أعتقد أنها لم تكن تريدني أن أعرف عنهم أو أن أتعامل معهم. هناك الكثير من الشعور بالذنب هناك، ويبدو أنها كانت تتعامل معه حتى لا يكون علي فعل ذلك»

قالت: «ليس لديك ما تشعر بالذنب تجاهه».

- بلى، لدي.

نظرتُ إليها وعادتْ إليَّ ذكرى مختلفة، أول حلم جلي حدث لي على الإطلاق بعد أسبوعين من مشاركة تشارلي وجيمس حلمهما الأول. لقد بدأ كواحد من الأحلام المتكررة تلك التي ظللتُ أحلم بها حول السوق المظلم -أتجول على طول الممرات الضيقة ويطاردني شيء ضخم وخطر- لكن هذه المرة كانت مختلفة.

اعتقدتُ **أنني كنت هنا من قبل.**

أدركت هذا.

كنتُ قد أغلقتُ جانبيْ أنفي وحاولتُ التنفس. كانت هناك طرق مختلفة لاختبار أكنت تحلم أم لا، لكنَّ تشارلي أخبرنا أن «خدعة الأنف» هي الأكثر موثوقية. ففي الحياة الواقعية لن تكون قادرًا على التنفس، لكن في الحلم سيمكنكَ دائمًا. لقد قوبلتُ بالإحساس المذهل والمستحيل بأن رئتي تمتلئ بالهواء.

يا إلهي، فكرتُ، **أنا أحلم الآن.**

كنتُ قد نظرت حولي إلى الأكشاك الرمادية والصناديق المضيئة بشكل خافت والطاولات المتهالكة والستائر الداكنة المحدثة صريرًا، وقد بدتْ جميعها حقيقية تمامًا. كان العالم لا يمكن تمييزه عن العالم الموجود من حولي عندما كنتُ مستيقظًا، شعرتُ بإحساس عميق بالدهشة. كان كل شيء

مُعقَّدًا لدرجة أنه كان من السخف الاعتقاد بأن عقلي كان قادرًا على بناء شيء معقد كهذا.

فكرتُ: **أرني الطريق للخروج من هنا.**

- بول.

جاء صوت جيني على الفور من أعلى يساري.

- من هذا الطريق.

كانت جيني هي التي استحضرها عقلي الباطن لمساعدتي خلال هذا الحلم الجلي الأول. إذا لم يستحضرها لسارت الأمور بشكل مختلف تمامًا.

ليس لديك أي شيء تشعر بالذنب تجاهه.

قلت مرة أخرى الآن: «بلى، لديَّ».

عبستْ جيني في وجهي.

- هل هذا حقًّا ما شعرتَ به طوال هذا الوقت؟

قلت: «لا، هذا شيء جديد. عندما غادرتُ هنا اتخذتُ قرارًا بحزمهم بعيدًا -بترك كل شيء ورائي- الذنب هو ما كان **يجب** أن أشعر به».

- يا إلهي، يجب أن تتحدث إلى شخص ما.

- أنا أتحدث الآن.

- شخص مناسب، أعني شخصًا يمكنه المساعدة.

- نعم، ربما.

- هذه الكلمة مرة أخرى، كما قلتَ لقد اعتدتَ أن تكون أكثر حسمًا.

ثم تنهدتْ ووقفتْ: «عليَّ أن أذهب».

- أنا أعلم.

- لكنْ بجدية فكر في ما قلتُه.

عندما شاهدتُها تمشي بعيدًا إلى الباب، فعلتُ. **ليس لديك أي شيء تشعر بالذنب تجاهه.** فكرتُ في الأمر مرارًا وتكرارًا، وحاولتُ تصديقه، لكنْ لم أشعر أنه صحيح.

***

في وقت لاحق استيقظتُ فجأة في منتصف الليل غير متأكد مما كان يحدث. كانت غرفة النوم من حولي شبه سوداء. كنتُ متأكدًا من أنني قد أُخرِجتُ من حالة من النوم العميق- شيء ما هزني بعنف لإيقاظي، لكنني لم أعرف ما كان.

استلقيتُ هناك وقلبي يخفق.

كشفتْ غرفة النوم عن نفسها تدريجيًّا وتظهر أشكال غامضة ببطء، كما لو كانت تتقدم إلى الأمام بعيدًا عن الظلام نحوي. مشهد غرفتي القديمة جلب إحساسًا مزعجًا اعتدته في الأيام التي مرَّت منذ عودتي. لم أكن موجودًا حيث يجب أن أكون، ومع ذلك كانت الغرفة مألوفة للغاية لدرجة أنني شعرتُ كأنها مكان ما لطالما كنت فيه.

طرق.

طرق.

طرق.

جلستُ بسرعة وقلبي ينبض الآن. جاءت الأصوات من الطابق السفلي- شخص ما يطرق الباب الأمامي. باستثناء أنه كان أكثر إيقاعًا من ذلك: تباعدتِ الأصوات كما لو أن الأمر تطلَّب جهدًا لمن كان هناك لرفع ذراعه. من ثقل الطرقات بدا الأمر كما لو كانوا يحاولون خلع الباب من مفصلاته.

أنزلتُ ساقي من السرير ثم بحثتُ على الأرض بجانبي. هاتفي بدأ العمل في يدي عندما وجدتُه، كانت الساعة قد تخطتِ الثالثة صباحًا. مذعورًا قليلًا ارتديتُ بنطالي الجينز من الليلة الماضية وبخطى خافتة خرجتُ إلى بسطة السلم.

في الطابق السفلي أُضيئتِ الأرضية بجوار الباب الأمامي بأعمدة من الضوء الضعيف من الشارع بالخارج، حدقتُ إليه لحظةً متوقعًا سماع الأصوات مرة أخرى ورؤية اهتزاز الباب في إطاره من قوة الطرق.

لا شيء.

ترددتُ.

اعتدتُ أن تكون أكثر حسمًا.

لذلك توجهتُ بحذر ولا يزال الهاتف المحمول في يدي، عندما وصلتُ إلى الباب الأمامي فتحتُ الهاتف ونقرتُ على علامة الكشاف. ملأ الضوء الساطع الردهة، ثم ومض الشعاع عندما فككتُ السلسلة وفتحتُ الباب.

لم يكن في الخارج أحد، وكان الممر الأمامي فارغًا والشارع وراءه مهجورًا. كانت البوابة مفتوحة برغم ذلك.

هل تركتها هكذا؟

لم أستطعِ التذكر. خرجتُ وشعرتُ بهواء الليل البارد على بشرتي والطريق الحجري الخشن تحت قدميَّ الحافيتين. وجهتُ الكشاف يسارًا ويمينًا، ملطخًا الحديقة المكسوَّة بالعشب بالضوء والظل. لا يختبئ أحد هناك. ثم شققتُ طريقي على الممر وخلال تلك البوابة المفتوحة إلى الرصيف. كان الشارع مغمورًا بلون عنبري لامع، وفارغًا في كلا الاتجاهين.

استمعتُ.

كانت القرية بأكملها صامتة وساكنة.

أغلقتُ البوابة ثم عدتُ إلى المنزل. عندما وصلتُ إلى الباب الأمامي مرَّ شعاع الكشاف من فوقه.

تجمدتُ وبدأ قلبي ينبض بسرعة الآن.

ثم ثبَّتُّ الضوء وبدأتْ بشرتي بالتخدُّر وأنا أوجه الشعاع على الخشب وأفكر في الطَّرق الذي سمعتُه للتو.

وفي حين أستوعب العلامات التي تُرِكَتْ على الباب.

14

الماضي

بعد حلمي الجليِّ الأول كان هناك المزيد والمزيد في الأسابيع التي تلت ذلك. لم أذكر أيًّا منها لتشارلي أو الآخرين. كان ذلك جزئيًّا لأنني شعرت أنها شخصية للغاية بحيث لا يمكن مشاركتها، لكنْ أيضًا مع مرور الوقت وجدتُ نفسي مستاءً من الطريقة التي بدأتْ بها التجربة في السيطرة على حياتنا.

بدأ تشارلي قيادة المناقشات عن «النتائج» التي توصلنا إليها بشكل متزايد، وأصبح من الواضح أنه مهما كان ما يحدث فإنه لم يكن أحدَ اهتماماته العابرة. بالنظر إلى الوراء أجد صعوبة في تذكُّر كيف حدث كل ذلك بالضبط. كانت فكرة مشاركة الأحلام مستحيلة، لكنهم فعلوها- أو على الأقل زعموا ذلك. كان يشبه نوعًا من سباق التسلح. قد يقرأ تشارلي من مذكرات أحلامه أولًا على سبيل المثال، ثم يصف بيلي **حلمه**، وستكون بينهما صلة، وسيكون تشارلي سعيدًا، وهو ما سيحفز جيمس طبعًا على إيجاد صلة خاصة به. أو سيبدأ جيمس أولًا وبعدها سيصف تشارلي حلمًا مشابهًا، ثم بيلي الذي لن يكون راغبًا في أن يُستبعَد، سيختلق أنه قد اختبر شيئًا مشابهًا. لم يظهروا لبعضهم مذكرات أحلامهم بعد المرة الأولى، ربما لم يرغبوا في ثقب العالم الخيالي الذي كانوا يطورونه بينهم.

وعلى نحو متزايد شعرتُ أن الأمر أصبح يخص ثلاثتهم فقط. بدأ إحجامي عن الانضمام في فتح انقسام في المجموعة، ظللتُ آمل أن تؤثر لامبالاتي في الآخرين ولكنها لم تفعل. يبدو أن جيمس على وجه الخصوص يسقط عميقًا تحت تعويذة تشارلي مع مرور الأيام.

وهو شيء آخر استأت منه.

كان لديَّ إحساس غير مريح بأننا جميعًا نعمل معًا من أجل شيء ما. كان هناك هدف لما كان يفعله تشارلي، وبينما لم أستطع معرفة ما كان فقد جعلني أشعر بعدم الارتياح أكثر فأكثر.

لكن بقدر ما بدا لي الأمر غبيًّا فأتذكر أنني كنتُ أفكر: **ما الضرر الذي يمكن أن يلحقه**؟ كما قلتُ لجيمس في اليوم الذي قارنًّا مذكرات الأحلام لأول مرة، لم يكن أي منها يعني شيئًا. كانت الأحلام مجرد أحلام، وهكذا اعتقدتُ في النهاية أن كل شيء سيحرق نفسه وستعود الحياة إلى طبيعتها.

لا يهم.

هذا ما ظللتُ أخبر نفسي به.

***

الحضانة

رغم دلالتها الشريرة فإن الكلمة تصف حقيقة واضحة: وهي أن الأحلام التي لدينا تتأثر بالعالم الحقيقي. يأخذ عقلنا الباطن التجارب اليومية ويحطمها على الأرض مثل المزهرية ثم يلتقط حفنة من القطع لتشكيل شيء عشوائي وجديد ليرينا إياه في أثناء نومنا. قد نتعرَّف بعضَ الشظايا ولكنها مرتبطة ببعضها بغرابة ومفصولة بشقوق غريبة. الأحلام مزيج مرتبط معًا بالأشياء التي تحدث لنا في حياتنا اليقظة.

لكن في بعض الأحيان يمكن أن يكون العكس هو الصحيح. في وقت الغداء كنتُ أنا وجيمس في الملعب متجهين إلى الغرفة C5b. لم أكن مستمتعًا

بالمزيد من الأنشطة المعتادة، وزاد الشعور بشكل أقوى في أثناء سيرنا لكنني لم أستطع التفكير في عذر لعدم الذهاب.

ثم نظرت خلفي.

كانت جيني في حافة الملعب البعيدة تمشي تجاه موقع البناء. بدتْ واثقة وقائمة بذاتها كما هي الحال دائمًا -بمفردها ولكنها ليست وحيدة قطُّ- والطريقة التي تحركت بها كانت كما لو أنها خططتْ بطريقة ما لطريق بين الأطفال الآخرين سمح لها بالسير في خط مستقيم دون الحاجة إلى التوقف.

شاهدتُها وهي تواصل السير على الطريق الصغير بجانب موقع البناء. إلى أين كانت ذاهبة؟ كان هناك القليل في هذا الطريق باستثناء ملاعب التنس، قلة من أكواخ التدريس وموقف سيارات الموظفين، ومع ذلك كانت تمشي باقتناع هادئ، ومن الواضح أن لديها جهة محددة في الاعتبار.

قال جيمس: «ماذا؟».

لم أَرُدْ للحظة، فإن رؤية جيني ذكَّرتني بأول حلم جلي كان لديَّ. ومثلما تتشكل أحلامنا من خلال واقعنا، توجد أوقات مثل هذه حيث يمكن أن تتغير حياتنا من خلال الأحلام التي كانت لدينا.

قلت: «سألحق بك».

- لماذا؟

- أنا فقط بحاجة إلى التحدث إلى شخص ما.

- حسنًا.

هزَّ كتفيه قليلًا ثم انطلق.

ترددتُ لكن بعد ذلك تراجعتُ إلى الطريق الذي أتينا به. عن قرب كان القماش المشمع شفافًا بما يكفي لرؤية الطين متناثرًا على الجانب البعيد، وذراع الحفار معلقة في الهواء أعلاه، وأسنانها المعدنية السميكة مشوَّهة وصدئة، ويمكنني شم رائحة القطران الخافتة في الهواء. من المفترض أن شيئًا ما كان يحدث هناك، لكنَّ الموقع كان هادئًا لدرجة جعلت من السهل

تخيل أنه كان كله مجرد وهم: أنه في النهاية سيُسحَب القماش المشمع جانبًا مثل منديل في خدعة سحرية للكشف عن عدم تغيُّر أي شيء.

لم يكن في الجوار أي شخص آخر، وأصبح العالم أكثر هدوءًا وأنا سائر. كانت ملاعب التنس على اليسار مغلقة خلف شبكة سلكية، في حين بدت الأكشاك التعليمية على اليمين كأنها قوافل مموجة مهجورة في خط. وإلى الأمام يجاوزهم قليلًا كان هناك مقعد خشبي وحيد. كانت جيني جالسة هناك، لقد كانت قبلي بدقيقة على الأكثر ولكنها كانت فعلًا تكتب على عجل في دفتر ملاحظات في حضنها.

توقفتُ على بعد مسافة قصيرة غير متأكد من نفسي الآن وأشعر ببعض الغباء، من الواضح أن هذا كان **مكانها**، وكانت منغمسة في ما كانت تفعله لدرجة أنه بدا من الخطأ التطفل عليها. وبينما تحدثتُ إليها عدة مرات منذ أن أعارتني الكتاب فقد كانت دائمًا محادثات عرضية: محادثات بعد نادي الكتابة الإبداعية أو تبادلات عابرة عندما اصطدمنا ببعضنا في الممر. لم أبحث عنها هكذا من قبل ولم تكن لديَّ أي فكرة عما سأقوله. ربما أحضرني الحلم إلى هنا، لكنَّ الواقع تركني عاجزًا عن الكلام. لذلك كنتُ على وشك الالتفاف للمغادرة عندما نظرتْ إلى أعلى ورأتني.

توقفتْ عن الكتابة على الفور ووجهها فارغ للحظة.

ثم نادت:

- مرحبًا.

بدَّلت حقيبتِي على كتفي.

- مرحبًا.

لحظة أخرى من الصمت.

قالت: «حسنًا، هل أنت قادم أو ذاهب؟».

مرة أخرى شعرت بالغباء. ففي الوقت نفسه إن الالتفاف والرحيل سيجعلني أبدو أكثر سخافة. مشيتُ إلى المقعد.

قلت: «أنا آسف، لقد بدوتِ مشغولة».

نظرت إلى دفتر الملاحظات: «مشغولة؟ لا أنا فقط أعبث بالأفكار».

- أفكار للقصة؟

أغلقتِ الكتاب.

- نوعًا ما، هل تريد الجلوس أم تخطط للوقوف؟

سؤال آخر لمَّا كنت هنا الآن فإن لديه إجابة واحدة ممكنة. جلستُ على أحد طرفي المقعد تاركًا مسافة حذرة بيننا. نظرتْ إليَّ متوقعة شيئًا.

نعم لقد أدركتُ.

ربما أحتاج إلى سبب لوجودي هنا، أليس كذلك؟

أتاني الإلهام.

قلت: «رأيتكِ وأدركتُ أنني كنت أنوي الاعتذار، لقد احتفظتُ بهذا الكتاب الذي أعطيتِني إياه مدةً طويلةً».

- لا تقلق بشأن ذلك.

- كان لديَّ انطباع أنه كان مهمًّا بالنسبة إليكِ.

- نعم، لكنني أمتلكه منذ زمن طويل، هل قرأتَ كل القصص بعد؟

- ليس تمامًا.

- إذن عليك الاحتفاظ به مدةً أطول قليلًا. أنهِ واجبك لأنها جميعًا جيدة. هناك بعض الكلاسيكيات الحقيقية- تلك التي يجب أن تقرأها بالتأكيد.

ابتسمتُ.

- لتثقيف نفسي؟

- نعم. إذا كنتَ ستصبح كاتبًا فعليك أن تعرف المجال، أليس كذلك؟ أن يكون لديك القليل من الاحترام لتاريخ. فبقدر ما أن ستيفن كينج رائع لا يمكنني تركك تقرأ له لبقية حياتك.

- أعتقد.

شعرتُ بمزيد من الإحراج الآن. **إذا كنتَ ستصبح كاتبًا**. أردتُ أن أكون كذلك، لكن مع التشتتات الأخيرة بالكاد تمكنتُ من كتابة شيء لأسابيع. لقد دوَّنتُ بعض الأفكار لكنها بدتْ سطحية وبلا حياة. شعرتُ كأنني لا أملك شيئًا للكتابة عنه. لا توجد قصص لأرويها.

قلت: «ما الذي تعملين عليه؟».

أضاء وجهها بنوع من الفرح الجذاب: «قصة رعب طبعًا، نوعًا ما على أي حال. قصة شبح لذا فهي حزينة أكثر من أي شيء آخر».

- لماذا حزينة؟

- لأن قصص الأشباح يجب أن تكون حزينة، ألا تظن ذلك؟

جعلتْني قصص الأشباح عمومًا أتخيل الملاءات البيضاء عمومًا وقعقعة السلاسل والممرات المظلمة مع هياكل تقفز عليك. لكنْ بالتفكير في الأمر يمكنني أن أرى ما تعنيه جيني.

- نعم أعتقد ذلك، يجب أن يكون من المحزن أن تكون شبحًا.

- **بالضبط**. إذا كان هناك شبح فهذا يعني أن شخصًا ما مات، وتُرِكَ شخص وراءه وهو ليس في سلام، وأشخاص آخرون حزينون، وهكذا.

- لا توجد أجزاء دموية في هذه إذن؟

استنشقت: «لا، حسنًا... ليس كثيرًا».

ابتسمتُ متذكرًا «**الفتى الجيد**»، القصة المروِّعة التي قرأتُها عن الكلب الذي أكل صاحبه بعد وفاته. جعلتني أفكر في جودبولد يمشي في الشارع مع حيوانه الأليف، وكان جزء مني يأمل أن يحدث له ذات الشيء يومًا ما. إلا أنه رغم كل عيوبه عندما يتعلق الأمر بنا فقد بدا أنه يعامل الحيوان جيدًا.

قلتُ: «كانت قصة الكلب ممتازة».

- شكرًا.

- لقد قلتِ إنها مبنية على قصة حقيقية. كيف سمعتِ عنها حتى؟

- أخبرتني ماري.

قلت: «من ماري؟».

وضعتْ جيني دفتر الملاحظات على المقعد بيننا: «صديقة لي، وهذا ما يذكرني في الواقع- لديَّ شيء لك، لا أعرف أكنت ستهتم، لكنْ أعطتني ماري إياه، وجعلني أفكر فيك، انتظر».

انحنتْ وبحثتْ في الحقيبة بجانب قدميها، في النهاية أخرجت مجلة ممزقة ومررتها لي.

قلت: «**حياة الكتابة**» (The Writing Life)

- تحقق من الغلاف الخلفي.

قلَبتُها وتفحصت التفاصيل.

قالت جيني: «إنها مسابقة قصة قصيرة، متاحة لأي شخص دون سن الثامنة عشرة. إذا جرى اختيارك ستكون هناك مختارات من الفائزين- كتاب حقيقي. الموعد النهائي ليس بعيدًا».

- حسنًا.

نظرتُ إلى الإعلان ولم أفهم.

فهمتُ أخيرًا.

- ماذا؟ هل تعتقدين أنني يجب أن أشترك؟

- نعم **طبعًا**. اعتقدتُ أن قصتك كانت جيدة حقًّا، يجب أن ترسلها بكل تأكيد.

- أسترسلين قصتكِ؟

- طبعًا، أعني... ما الذي سأخسره؟

حدقتُ إلى المجلة لبضع ثوانٍ وقرأتُ التفاصيل مرة أخرى، بعناية أكبر هذه المرة. الأهم أنه لم تكن هناك رسوم للدخول، إذن ما الضرر الذي قد يحدثه؟ كنت قلقًا بشأن الرفض طبعًا، لكنِ اعتقدتْ جيني أن قصتي جيدة بما فيه الكفاية.

- ليس لديَّ قلم.

قلَّبتْ عينيها: «لستَ بحاجة إلى إرسالها **الآن**».

- أنا أعرف **هذا**، أعني كتابة العنوان.
- لا بأس- خذ المجلة. لقد حصلتُ فعلًا على التفاصيل.
- هل أنتِ متأكدة؟
- نعم، تمامًا.

ثم هزَّت رأسها لي مرتبكةً: «لهذا السبب أحضرتُها».

لهذا السبب أحضرتها.

أتذكر أنني كنتُ متحمسًا لذلك. كان هذا يعني أنه رغم عدد المرات القليلة التي تفاعلنا فيها كانت جيني تفكر فيَّ، ومعرفة ذلك ولَّدت شعورًا بالإثارة يصعب وصفه، دفء في معدتي. لم أختبر شيئًا كهذا من قبل، لكن كان كما لو أنني تعلمتُ للتو أن العالم يحتوي على احتمالات لم أكن أعرف عنها.

وضعتُ المجلة في حقيبتي: «شكرًا».

قالت جيني: «على الرحب، إنه ليس بالأمر المهم».

***

في صباح اليوم التالي كنتُ أتثاءب وأنا أسير في القرية متجهًا إلى منزل جيمس لا إراديًا تقريبًا، ساعدني البرد على إيقاظي قليلًا، على الأقل- ورغم أن الربيع قد حان رسميًّا فقد بدا أن جريتن متمسكة بالشتاء تمامًا كما فعلتْ مع شعبها. لكن في القرية كان العشب ينمو مرة أخرى على الأقل، وبينما كانت الشمس أكثر من مجرد عملة متلألئة محاصرة بالسحب في ذلك الوقت، فقد شعرتُ أنها تجمع القوة. وكانت هناك أصوات عصافير لِمَا بدا كأنه المرة الأولى منذ شهور. صوت حذر بدا أنه لا يريد أن يضل القدر، ولكنه ما زال موجودًا.

بدأ قلبي الخفقان عندما وصلتُ إلى منزل جيمس.

عادة ما كان كارل هو من يساعده ليستعد للمدرسة ويرافقه في الصباح، لكن في ذلك اليوم كانت إيلين بالخارج على عتبة الباب. مرتدية ثوبًا باهتًا،

وكانت تمسح الباب بقطعة قماش زرقاء قديمة في قبضتها، ونظرة من التركيز الغاضب على وجهها. البوابة مُعلَّقة على مفصلة قديمة واحدة وخُدِشَ الخشب على طول الأرض عندما فتحتْه. نظرتْ إليَّ إيلين بحدة، وأبقيتُ رأسي منخفضًا وأنا أشق طريقي إلى الممر.

- صباح الخير سيدة داوسون.

- هل هو خير؟

استأنفتْ نشاطها ممسكةً الباب بيد وضاغطة على القماش باليد الأخرى، وتمسح بهذه الشراسة لدرجة أنني شبه توقعتُ أن يستسلم الخشب الواهي. صرخت إيلين في المنزل.

- اخرج إلى هنا يا فتى. حان وقت المدرسة.

لم يكن هناك رد فوري. وقفتُ هناك بإحراج بضعَ لحظات أشاهد عملها. كانت عند قدميها زجاجة مطهر.

قالت: «هل حدث شيء في منزلك الليلة الماضية؟».

أذهلني السؤال ولم تكن لدي أي فكرة عما تعنيه. بعد ثانية ربما أخذتْ صمتي كنوع من الشعور بالذنب، نظرتْ إليَّ بريبة.

- هل **خرجتَ** الليلة الماضية؟

- سيدة داوسون؟

- لا تفغرْ فاهك لي هكذا يا فتى، هل خرجتَ الليلة الماضية؟

- لا.

حدقت إليَّ وفحصتني. بعد ما بدا كأنه أبديٌّ هزَّت رأسها ثم أعادت انتباهها إلى الباب.

- كان شخص ما بالخارج. كان أحدكم بالخارج يتصرف بشكل مزعج لعين.

قبل أن أتمكن من قول أي شيء آخر ظهر جيمس في المدخل، متجاوزًا والدته بحذر كما لو كانت المرأة كهربائية وقد تصعقه إذا لمسها.

نادى إلى داخل المنزل: «أراك لاحقًا يا أبي، أحبك».

جاء صوت كارل من مكان بعيد داخل المنزل.

- أحبكَ أيضًا.

انتظرتُ حتى خرجتُ أنا وجيمس من مرمى السمع.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم.

من الواضح أنها كانت كذبة، لكنني لم أرغب في الضغط على الأمر. عندما وصلتِ الحافلة صعد أولًا. اعتدتُ أن أقودنا إلى الجزء الخلفي من الطابق العلوي -لأن هذا بدا كأنه المكان الذي كان **من المفترض** أن نجلس فيه في عمرنا- لكنِ اليوم أخذنا جيمس إلى مقعد فارغ في منتصف الطابق السفلي. عندما أُغلِقَتِ الأبواب وانطلقتِ الحافلة جلسنا هناك في صمت بعضَ الوقت. لكنْ بينما لم أرغب في سؤال جيمس صراحة عما حدث كنت لا أزال أشعر بالفضول حول ما قالته إيلين.

هل حدث أي شيء في منزلك الليلة الماضية؟

قلت: «ماذا كانت تفعل والدتك؟».

- تنظيف الباب.

- نعم رأيتُ ذلك، ما أعنيه هو لماذا؟

تردد جيمس.

قال: «هل سمعتَ أي شيء في الليل؟».

فكرتُ في الأمر مرة أخرى. بقدر ما أتذكر كنتُ أغطُّ في النوم دون إزعاج.

- ليس بحسب ما أذكر.

- هل أنت واثق؟

بدا جيمس متعبًا مثلما كنتُ، لكنْ خائفًا أيضًا.

قلت: «لا أعلم، ما الذي يفترض أن أكون سمعتُ؟».

لكن بعد لحظة استدار جيمس ونظر من النافذة إلى المناظر الطبيعية الكئيبة التي نتجاوزها.

- لا شيء.

- نعم، حقًّا **يبدو** كأنه لا شيء.

- شخص ما يطرق الباب، هل سمعتَ ذلك؟

- يطرق الباب؟ لا.

- حسنًا.

- أتعني أنكَ فعلتَ؟

هز جيمس كتفيه في إيماءة خجلة بالكاد اكتملت: «لا، هذا فقط ما قالتْه والدتي أن شخصًا ما كان يطرق بابنا في منتصف الليل، كانت غاضبة لأنه أيقظها. لذا أيقظتني أنا وأبي أيضًا. لم يكن هناك أحد رغم ذلك واعتقدتُ أنها ربما تخيَّلت الأمر، إلا أنه كان على الباب شيء هذا الصباح. هذا ما كانت تفعله- تنظيفه».

- تنظيف ماذا؟

مرة أخرى لم يَرُدْ جيمس. تساءلتُ أكان يعرف فعلًا- أم أكان هناك أي شيء على الإطلاق. كانت إيلين تشرب كحوليات كثيرًا، ولم تكن من النوع الذي يعترف بأنها فهمتْ شيئًا خطأً، كان من السهل تصديق أنها كانت تتخيل ضوضاء في الليل وبالغتْ في رد فعلها، وكانت تنظف الباب هذا الصباح كوسيلة للتظاهر بعناد بأنها كانت على حق.

انعطفتِ الحافلة في الطريق المزدوج وبدأت تشق طريقها خلال المصانع المهجورة والمتاجر المتهالكة والمنازل المضببة.

قال جيمس شيئًا تحت أنفاسه لم أستطع إدراكه تمامًا.

قلت: «ماذا؟».

- دماء.

كان لا يزال يشاهد المشهد الباهت، صوته هادئ لدرجة أنني بالكاد أسمعه.

- قالت إنه كانت توجد دماء على بابنا.

15
الحاضر

حدَّق الشرطي «أوين هولدر» إلى باب والدتي الأمامي.

قال: «ما الذي تعتقد أنه قد يكون؟».

- أنا لا أعلم، يبدو مثل الدماء.

أمال رأسه: « نعم أعتقد. ربما».

لقد قلتُ هذه الكلمة كثيرًا وقد أزعجني سماعها الآن. كانت على الباب ثلاث بقع قرمزية، كل منها بحجم جانب قبضة يد متكورة، وبرزوا بفجاجة ضد الخشب الأبيض متلألئين في ضوء الصباح. إذا كان من المثير للقلق رؤيتهم عن طريق المصباح وحيدًا في الظلام، فإن مشهدهم الآن جعلني أشعر بالغثيان. لقد بدأت في التكتل، وانجذبت إليها فعلًا ذبابتان.

قلتُ: «أعتقد أنها دماء بالتأكيد».

- لم تكن هناك من قبل؟

- لا يمكنك أن تغفل عنها حقًّا، أليس كذلك؟

قال هولدر: «نعم، أفترض أنه لا يمكنك».

ثم انحنى إلى الخلف مدخلًا يديه في جيبيه واستهجن، وكأنه غير متأكد بالضبط مما كان من المفترض أن يفعل حيال الأمر. لم أكن متأكدًا أيضًا ولقد

ترددتُ قبل الاتصال بالشرطة، وقررتُ في النهاية أنه يمكنني الانتظار على الأقل حتى الصباح. لكنِ الآن مهما كانت النتيجة كنت سعيدًا لأنني فعلتُ ذلك. فمن الواضح أن العلامات على الباب كانت رسالة من نوع ما، حتى لو لم أفهم المعنى تمامًا حتى الآن فقد أخافني أكثر مما أردت الاعتراف به.

لم أحاول العودة إلى النوم بعد أن أيقظتني الطرقات، وبدلًا من ذلك فحصتُ الأقفال الموجودة على كل باب ونافذة في المنزل، ثم جلستُ في الظلام على سرير والدتي والستائر مفتوحة قليلًا لإعطائي إطلالة على الشارع. لقد انتظرتُ وشاهدتُ حتى بدأ الصمت في الهواء يعمُّ. وبينما لم يكن بالخارج أحد ولا توجد علامة على أي حركة في القرية على الإطلاق، فكان لا يزال لديَّ إحساس متزايد بكوني مُراقبًا.

بقي الشعور الآن.

أخذ هولدر نفسًا طويلًا وبطيئًا ثم ألقى نظرة خاطفة على الممر الأمامي باتجاه الشارع. بدا متشككًا.

- لست متأكدًا حقًّا مما سأقوله يا سيد آدامز، إنه تخريب من نوع ما على ما أعتقد. وأنا أقدِّر أنه يجب أن يكون مزعجًا لكنْ لم يحدث ضرر فعلي، ربما تكون مجرد مزحة.

كان أحدكم بالخارج يتصرف بشكل مزعج لعين

رغم دفء الصباح فقد أرسلتِ الذكرى قشعريرة خلال جسدي. لكنَّ هولدر بدا في أواخر العشرينيات من عمره على الأكثر وافترضتُ أنه كان أصغر من أن يعرف ما حدث هنا كل تلك السنوات الماضية. كان في إمكاني محاولة الشرح لكنْ شعرتُ أن هناك الكثير مما يجب قوله حتى أبلغه بكل ما حدث. حتى لو فعلت، فإن لفهم المغزى الحقيقي ستحتاج إلى أن تعيش خلال الأمر في المقام الأول.

قلت: «أرغب في تحرير محضر بالأمر على الأقل».

تنهد مخرجًا هاتفه.

- طبعًا يا سيدي.

التقط صورًا للباب الأمامي من زوايا مختلفة، ووقفتُ في الخلف وذراعاي مطويتان أتحقق من الشارع والمنازل المجاورة. مرة أخرى لم يكن هناك ما يمكن رؤيته. لكنْ إذا كان شخص ما يراقبني فعلى الأقل سيعرفون أنني آخذ الموقف على محمل الجد. أنني -على الأقل ظاهريًا- لن أتعرض للترهيب.

بعد أن انتهى هولدر وذهب، عدتُ إلى الداخل وكان الموقف برمَّته غريبًا ومحبطًا، فقد حدث شيء خطر، لكنَّ المنزل نفسه بدا طبيعيًّا تمامًا، ويبدو أن الحياة تسير بالطريقة نفسها التي كانت تسير بها خلال الأيام القليلة الماضية. لم أكن متأكدًا مما يجب فعله.

نظِّف الباب كبداية.

نعم- كان هذا هو الشيء الفعَّال الذي يجب فعله، أليس كذلك؟ لذلك أخذتُ قماشًا ودلو ماء وزجاجة مطهر إلى عتبة الباب واستعددتُ للعمل. لكنْ طوال الوقت ظللتُ أتفقَّد الشارع خلفي، وحتى مع عدم وجود أحد هناك فإنني كنت سعيدًا عندما انتهيتُ وأصبح بإمكاني العودة إلى الداخل وإغلاق الباب أمام العالم.

كان المنزل صامتًا.

من كان يمكن أن يترك تلك العلامات؟ كان سؤال من المستحيل الإجابة عنه. عندما كنت أقرأ خلال الإنترنت أمس رأيتُ العديد من الإشارات إلى طرقات الباب على منزل جيمس. لقد كانتْ مجرد واحدة من الكثير من التفاصيل الشائنة في القضية: قطعة من اللغز معروفة لآلاف المهووسين بالإنترنت، إذا أراد شخص ما أن يلعب مزحة عليَّ فهناك ثروة من المواد ليستلهم منها.

وربما كان هذا كل ما في الأمر.

لكن عندما فكرتُ في تلك المنشورات التي قرأتها خلال الإنترنت فقد تذكرتُ أيضًا المستخدمين الذين اعتقدوا أن تشارلي لا يزال حيًّا في مكان ما، والذين تخيلوا أنه حقق المستحيل حقًّا. كان الشعور بنذير الشؤم الذي يتراكم منذ أيام أصبح أقوى الآن، الشعور بأن الماضي لم يختفِ وأن شيئًا فظيعًا قادم.

لكنْ إذا كان حقًّا قادمًا، فما هو؟

صعدتُ الدرج ببطء، ثم وقفت على بسطة الدرج بجوار النافذة ناظرًا إلى العلية. كان الباب مغلقًا لكنني كدتُ أشعر ببصمات الأيدي الحمراء وصناديق الصُّحف المغلقة فوقي.

إنها في المنزل يا بول.

إنها في المنزل اللعين.

عاد إصرار كلمات أمي إليَّ الآن، جنبًا إلى جنب مع الذعر والخوف الذي يجهد صوتها. لقد عثرتُ على صناديق مليئة بالتقارير عن ثلاث جرائم قتل مختلفة، مفصولة بسنوات لكنْ بخيط مشترك قاد إليَّ. بقدر ما كان مؤلمًا معرفة ما كانت والدتي تخفيه عني طوال هذا الوقت، كنت أتخيل أن هذا هو كل ما يمكن العثور عليه، لكنِ الآن تساءلتُ أكان هناك شيء فاتني. تفصيلة مهمة بما يكفي لشخص ما لإرسال رسالة أو تحذير إليَّ.

تهديد.

أخافتني الفكرة.

لكنني كنت بحاجة إلى إلقاء نظرة أخرى، وكنت على وشك الوصول لفتح الباب عندما لحظتُ شيئًا، وقفتُ ساكنًا وأجبرتُ نفسي على الاستمرار في النظر إلى الأعلى. واجهتُ النافذة إلى جانبي الحديقة الخلفية والغابات، وكنت متأكدًا من وجود حركة غير منتظمة في خط الأشجار هناك.

ألقيتُ نظرة خاطفة مشاهدًا الغابات لبضع ثوان محاولًا التقاط نظرة أخرى لأي ما كان هذا.

لم يكن يوجد شيء.

ثم كان يوجد.

لا يمكنني أن أكون متأكدًا، لكنْ كان لديَّ انطباع بوجود شخصية جاثمة بين الشجيرات على الجانب البعيد من السياج.

قلت لنفسي: **تصرف بشكل طبيعي.**

ثم حاولتُ الحفاظ على هدوئي. بعد لحظة أدرتُ ظهري للنافذة ووقفت هناك مدةً أطول قليلًا، أنظر هنا وهناك كما لو أنني لم أرَ أي شيء، كما لو أنني لم أكن متأكدًا مما سأفعله بعد ذلك.

بطريقة ما كان هذا صحيحًا. هل أردتُ أن أواجه أيًّا مَن كان هناك؟ كان قلبي ينبض برسالة ثابتة مفادها **لا لا لا**. كان هذا آخر شيء أردت فعله. لكنْ بعد ذلك فكرت فيما أخبرتني به جيني، وتذكرتُ أنني كنتُ أركض متجاوزًا الصبي في ملعب الرجبي في ذلك اليوم منذ مدة طويلة، وقررتُ أن ما تريد فعله لم يكن دائمًا هو نفسه ما كان عليك فعله.

توجهتُ إلى الطابق السفلي.

***

كانت الحديقة الخلفية طويلة، وكان يوجد نحو خمسين مترًا من الشجيرات بين الباب والغابة، وإذا خرجتُ من هذا الطريق فإن أيًّا من كان هناك سيراني ويختفي بين الشجر قبل أن أتمكن من الوصول إليها. لكن كانت هناك طرق أخرى إلى الظلال.

خرجتُ من الباب الأمامي وأغلقتُه ثم توجهتُ بسرعة من أسفل الشارع. على طول الطريق قادني ممر مشاة متضخم بعيدًا عن الطريق ونحو الغابات. لقد انطلقتُ منه ولأنني كنت مكتومًا بالأسيجة المحاطة على كلا الجانبين فقد أصبح العالم هادئًا لدرجة أن كل ما سمعته هو النحل يطنُّ بهدوء في العليق من حولي، وحتى هذا الصوت اختفى عندما وصلتُ إلى نهاية الطريق وخطوتُ بحذر بين الشجر.

اشتد القلق. لم أكن في هذه الغابة لخمسة وعشرين عامًا، لكنني تذكرتُها جميعها جيدًا. كنت بحاجة فقط إلى الذهاب بضعة أمتار حتى تختفي الحضارة خلفك، وصمت عميق ومثير للقلق لتستقر، لتشعر بالحصار والضياع، حتى على الخيوط العارية للممر حيث دُعِسَتِ الشجيرات.

والشعور بأنك مُراقَب.

لكنني لم أعد مراهقًا بعد الآن.

بعد مسافة صغيرة التفتُّ إلى اليسار وشققتُ طريقي بين الأشجار بزاوية تجاه الجزء الخلفي لمنزل والدتي. إذا كنتُ حذرًا فسأكون قادرًا على التسلل إلى من رأيته عند السياج.

بعد دقيقة حكمتُ أنني كنت على وشك الوصول. كان الجو حارًّا للغاية، وتوقفتُ حتى أمسح العرق من وجهي قبل الانحناء قليلًا والبدء في التحرك ببطء أكبر. بدأتْ تظهر الأجزاء الخلفية للمنازل البعيدة تدريجيًّا بين أغصان الأشجار.

كُسِرَتْ عصا تحت قدمي.

حافظتُ على ثباتي للحظة، لم يَرُدْ شيء.

واصلتُ التقدم ووصلتُ إلى السياج بعد بضع ثوان، تراجعتِ الأشجار والامتداد المُهمَل لحديقة أمي الخلفية ظهر فجأة أمامي. لم يكن أحد هنا، لكن عندما نظرت إلى الأسفل كانت الشجيرات عند قدمي سُوِّيَتْ بوضوح، وكان بإمكاني شم شيء في الهواء.

أثر قذر من الأوساخ والعرق.

بدأ الجلد الموجود في مؤخرة رقبتي يحكني. استدرتُ ببطء لمواجهة الغابات خلفي. لطالما كان في هذا المكان شيء خاطئ- **أزيز** هادئ من الطاقة في الأرض، كما هي الحال عندما تكون بالقرب من برج كهرباء- لكنَّ الإحساس الآن كان أسوأ.

شخص ما كان هناك.

شخص مختبئ بين الأشجار.

ناديت: «مرحبا؟ هل هناك أحد؟».

لم يأتِ أي رد. لكنَّ الهدوء كانت له حدة مثل حبس الأنفاس.

- تشارلي؟

لم تكن لديَّ أي فكرة عن سبب مناداتي اسمه، لكنْ كانت لذلك نتيجة، فبعد ثانيتين من الصمت سمعتُ طقطقة أوراق الشجر برفق أمامي على اليسار. وقفتُ ساكنًا جدًّا وقلبي يخفق. كانت الغابة كثيفة جدًّا في هذا الاتجاه لدرجة أنني لم أستطع رؤية أكثر من بضعة أمتار، لكن لم يأتِ الصوت من بعيد، وأيًّا مَن كان هناك لا يزال قريبًا.

قوَّيتُ نفسي ثم انتقلتُ مبدئيًّا متجاوزًا جذوع الأشجار الخشنة، أخطو فوق لفائف العشب وأرفع امتدادات رقيقة من الأغصان بعيدًا عن الطريق.

وبعد ذلك عندما خرجتُ إلى الأرض الجرداء تجمدتُ في مكاني.

كان في الجانب البعيد رجل.

كان على بعد نحو عشرة أمتار مني، يقف موجهًا ظهره لي ورأسه منحنٍ، جسده ثابت تمامًا.

قلت: «مرحبا؟».

لم يردِّ الرجل. نظرتُ عن قرب ورأيتُ أنه كان يرتدي ما بدا أنه سترة عسكرية قديمة مهترئة في مؤخرة الكتفين حتى بدا القماش في هيئة خصلات من الريش. وبينما كنت أستمع استطعت سماعه يتنفس.

فكرت: **لا.**

لا لا لا.

مع أن جزءًا مني أراد الاقتراب فإن جسدي لم يستجبْ. شعرتُ بأنني متجذر في مكاني مثل الأشجار على جانبي. مددت يدي قارصًا أنفي.

لم أكن أحلم.

وبعد ذلك، فقط هكذا تحرك الرجل بعيدًا بين الأشجار، حدقتُ وراءه في رعب، لكنه كان بعيدًا عن الأنظار على الفور تقريبًا، تطقطق أوراق الشجر وهو يختفي أعمق في الغابة.

ثم عمَّ الصمت في الأجواء.

وقفتُ هناك قلبي يخفق.

ومثلما بدا أن اسم تشارلي قد أتى من العدم قبل لحظة، فجاءت لي فكرة الآن لم تكن مرغوبة مثله. أن ما رأيته للتو لم يكن رجلًا على الإطلاق، وإنما كان شيئًا قد جرَّ نفسه بعيدًا عن أعماق الظلال لزيارتي، وهو الآن يعود إلى موطنه بين الشجر.

16

يا إلهي، فكرت أماندا عندما وصلت إلى جريتن.

يبدو أن العالم من حولها قد تغيَّر تمامًا في غضون عشرين دقيقة. منذ وقت ليس ببعيد كانت تقود سيارتها على طول ممرات ريفية هادئة محاطة بحقول مُشمِسة شاعرية، كانت تفكر أن **هذا ليس مكانًا سيئًا**. في حين أن الآن لا يوجد سوى مناطق صناعية فارغة ومنازل ومحال تجارية رثَّة من جميع الجوانب، وما كانت تفكر فيه أن **هذا مكان قذر لعين**.

وما كان قاسيًا الاعتراف به في تجربتها أن الأماكن كانت مجرد أماكن، أكثر ما يهم هو الأشخاص الذين يعيشون فيها، والرمز البريدي الراقي لا يضمن أي شيء، فإنك ستجد الخير والشر في كل مكان. ومع ذلك كان حول جريتن شيء منهك بشكل خاص. رغم ضوء الشمس فقد بدا الهواء باهتًا ورماديًّا مثل قطعة قماش مبللة قديمة ليست معصورة بالكامل. بينما كانت تنظر إلى الأحياء المتداعية التي مرت بها كان من الصعب التخلُّص من الإحساس بأن المكان كان ملعونًا بطريقة ما- أن في الأرض هنا شيئًا سامًّا، متجذرًا في تاريخ المكان، أبقى الأرض قاحلة والناس ميتين في الداخل.

كان هاتفها موضوعًا في حامل على لوحة القيادة، وأظهرت لها المِلاحة الطريق، تبقَّى نحو نصف كيلومتر للذهاب.

أبطأتِ السيارة قليلًا مع اقتراب منعطف ضيق ثم مرَّت بسلسلة من المنازل الجديدة على اليسار. فكرتْ **أن هذه حماقة التفاؤل الذي لا أساس**

له هناك. كان من الصعب تخيُّل شخص ينتقل إلى جريتن لديه خيار الوجود في أي مكان آخر بدلًا من ذلك.

طبعًا لم يكن لدى بعض الناس خيار آخر.

بعد بضع دقائق أوقفتْ سيارتها بعيدًا عن العنوان المسجَّل لبيلي روبرتس. كان المنزل صغيرًا ووقف بمفرده بين امتدادين من العشب المتضخم. كان الطوب يتفكك أسفل عتبات النوافذ القديمة، وكان طلاء الباب الأمامي يتقشَّر بشكل سيئ لدرجة أنه بدا كأن شيئًا ما كان يخدشه. كانت بقايا مرآب قديم شبه متصلة بالجانب الأيسر، مع صفائح حديدية مموجة على الأرض ولا تزال بعض الدعامات الصدئة تخرج من المنزل مثل جثة ممزقة ذراعها وتتدلى الأوتار الممزقة.

كانتْ فكرة أماندا الأولى أن المكان شهد أيامًا أفضل. لكنها تذكرتْ بعد ذلك التفاصيل الضِّمنية التي قرأتها عن طفولة روبرتس -الإهمال والفقر المدقع ومزاعم سوء المعاملة- وتساءلت أكان المكان حقًّا قد شهد أيامًا أفضل.

أوقفتِ المحرك وأرسلتْ رسالة إلى ليونز لإبلاغه أنها وصلت. عندما ذهبتْ إلى مكتبه بالأمس تبيَّن أنه أكثر من قَبِلَ اقتراحها بالسفر إلى جريتن للتحدث مع بيلي روبرتس. كان الأمر في حد ذاته لا يمثل مفاجأة كبيرة مع احتمالية تورط طرف ثالث خلال الإنترنت، بدأت جريمة قتل مايكل برايس في الامتداد عند الأطراف، ولطالما كان ليونز يراقب الجائزة. إذا تبيَّن أن روبرتس متورط أو -بل أفضل- كان تشارلي كرابتري لا يزال حيًّا حقًّا ويمكنهم العثور على شيء يؤدي إليه، فستكون هناك نجوم ذهبية من جميع النواحي.

لكنَّ ليونز احتاج إلى بقية اليوم ليرتب لزيارتها لقسم شرطة جريتن. ما لم تتوقعه هو أنه في سياق تعقُّب أثر الأفراد الآخرين المرتبطين بالجريمة الأصلية، علمتْ من الجامعة التي عمل فيها أن بول آدامز عاد أيضًا إلى جريتن الآن. أحبَّ ليونز ذلك طبعًا، فلقد ضرب عصفورين بحجر واحد. ولذا فإن ما تخيَّلته في البداية كرحلة ليوم واحد قد انتهى بحجزها فندقًا محليًّا سيئًا وتعبئة حقيبة بعجلة كانت موضوعة حاليًّا في صندوق سيارتها.

روبرتس أولًا.

أخرجتْ هاتفها المحمول عندما اقتربتْ من المنزل واتصلتْ برقم روبرتس مرة أخرى. كان الشارع هادئًا للغاية لدرجة أن بعد اتصالها سمعت رنين الهاتف داخل المنزل. لا إجابة، رغم ذلك أنهت المكالمة وهدأ المنزل حتى طرقت الباب.

انتظرتْ.

هل كانت توجد حركة بالداخل؟

كانت على الباب عين سحرية صغيرة، وبعد بضع ثوانٍ كان لدى أماندا إحساس يتزايد بوجود شخص ما على الجانب الآخر منها يحدق إليها. بفارغ الصبر نظرتْ خلفها إلى المحيط المتهالك. كان المنزل مقابل صف من المتاجر المغلقة والمصاريع المعدنية مغطاة بكتابات بسيطة على الجدران. وعلى طول الطريق كانت هناك ساحة مُسيَّجة مليئة بأكوام من إطارات السيارات القديمة، ولافتة خشبية غير مقروءة مربوطة بشبكة الأسلاك.

عادت إلى المنزل وطرقتْ مرة أخرى.

لا إجابة.

تراجعتْ خطوة إلى الوراء.

وفقًا للسجلات كان بيلي روبرتس عاطلًا من العمل لعدد من السنوات، لكنْ من الواضح أن هذا لم يستبعد إمكانية خروجه من المنزل إلى مكان ما. وهذا كان على ما يرام، فطبعًا يمكنها العودة. لكنها نظرتْ إلى العدسة السحرية مرة أخرى وشعرتْ كأنَّ شخصًا ما كان هناك، وبالنظر إلى إحجام روبرتس عن الرد على الهاتف فلم تكن مقتنعة تمامًا بأن موقفه تجاه الباب سيكون مختلفًا. انحنت على عتبة الباب فاتحةً صندوق البريد.

- سيد روبرتس؟

لا شيء.

نظرتْ بأفضل ما تستطيع وكُوفئت بمنظر ضئيل لردهة تؤدي إلى باب يفتح إلى المطبخ، والشق المكسور على النافذة في الطرف البعيد معلق بزاوية مثل المقصلة. بدا كل شيء استطاعت رؤيته قديمَ الطراز: ورق الحائط المزخرف والغبار على إطارات الصور المعلقة في الردهة. كان الأمر كما لو أن روبرتس لم يغيِّر شيئًا بعد عودته إلى هنا. كانت السجادة البيج مرقَّعةً ورديئةً، وكان هناك...

آثار أقدام عليها.

حدقت أماندا لحظةً.

آثار أقدام حمراء.

بدأ قلبها ينبض بسرعة قليلًا. سمحتْ لصندوق البريد بالإغلاق ببطء، ثم وقفت وجرَّبت مقبض الباب واستدار بسهولة، وفُتِحَ الباب ببطء للداخل على مفصلات محدثةٍ صريرًا.

أخذت خطوة في الداخل.

- سيد روبرتس؟

كان المنزل صامتًا تمامًا.

تحققي من مخارجك.

مسحتْ محيطها. كان هناك باب مباشرة إلى يسارها مغلق بقفل صدئ، من المفترض أن هذا قد أدى ذات مرة إلى المرآب. سلالم تؤدي إلى الأعلى، لكن لم يكن على بسطة الدرج الكئيب أعلاه أحد. كانت الردهة القديمة أمامها مباشرة فارغة وضيقة لدرجة أنها تكفي لوجود شخص واحد فقط بها. لم يكن أحد مرئيًّا في ما يمكنها رؤيته من المطبخ- رغم تخمينها إمكانية وجود باب خلفي هناك بعيدًا عن الأنظار.

نظرتْ إلى يمينها، أدى المدخل المفتوح هناك إلى ما بدا أنه غرفة أمامية، لم تستطع رؤية أي أثاث وكانت قواعد الجدران مكسوة بعلب وزجاجات

فارغة. لا أحدَ مرئي هناك، لكنْ كان هذا نقطة اهتمامها مباشرة. المكان الذي لن ترى أيَّ شخص قادمًا منه.

ابتعدت عنه للحظة.

الآن بعد أن كانت بالداخل كانت آثار الأقدام المؤدية إلى أسفل الردهة تشبه الدماء أكثر من ذي قبل. وهذا ما استطاعت أن تميِّزه من النمط أن شخصًا ما قد خرج من الغرفة الأمامية إلى الباب، ثم توجَّه من أسفل الردهة إلى المطبخ.

أنصتت أماندا.

صمت.

أخرجتْ هاتفها من جيبها وأدخلتْ رقم الشرطة، واستقر إبهامها فوق أيقونة الاتصال وهي تتمالك نفسها. ثم خطتْ جانبًا إلى الغرفة الأمامية.

على الفور ضغطت الاتصال.

لقد كان بدافع الغريزة أكثر من أي شيء آخر، لأنَّ عقلها استغرق ثانية لمعالجة ما كانت تراه. ثم انتقل انتباهها إلى الأريكة الحمراء الداكنة على يسارها، ظهرها مواجه لحائط الردهة. وهيئة ساكنة جالسة عليها. لم تتعرَّفه على الفور كشخص، لكنْ فقط كشيء قريب من الإنسان ولكنه **خاطئ** بشكل مروِّع. لم يكنْ للرأس سمات يمكن تمييزها وكان كبيرًا جدًّا، وفقط بعد التحديق إليه أدركت أن وجه الرجل أصبح لا يمكن تعرُّفه، تورم الجلد إلى نِسَبٍ شبه مستحيلة بسبب الكدمات والجروح التي أصابته.

حملت أماندا الهاتف الذي يرن على أذنها.

أجب! أجب! أجب!

- قسم شرطة جريتن، كيف...
- ضابط يطلب المساعدة، 18 شارع جابل. أنا بحاجة إلى الشرطة والإسعاف في مكان الحادث على وجه السرعة، يبدو أن رجلًا قد مات في ظروف مشتبه فيها. مكان وجود الجاني غير معروف .

اقتربتْ بحذر نحو الجسد وكانت تتحدث، تُدقِّق في التفاصيل. كانت يدا الرجل في حِضنه، كل إصبع مقطوعة وملتوية. خطوة أخرى وسُحِقَتْ قدمها قليلًا. نظرت إلى الأسفل وأدركت أن الأريكة لم تكن حمراء على الإطلاق بل كانت غارقة في الدماء التي غمرتِ السجادة تحتها.

نظرتْ إلى الأعلى.

بعد مسافة قصيرة من الأريكة يوجد باب مفتوح وبالنظر إلى طول الغرفة فإنه يمكن أن يؤدي فقط إلى المطبخ.

مكان وجود الجاني غير معروف.

- سيدتي، هل يمكنني معرفة اسمك من فضلك؟

قالت: «المحققة أماندا بيك، فقط **تعالوا إلى هنا الآن**».

قال الرجل الموجود على الطرف الآخر من الهاتف شيئًا آخر، لكنَّ أماندا أنزلتْ هاتفها وقلبها ينبض في أذنيها وجُلُّ اهتمامها بالكامل منصبٌّ على الباب المفتوح أمامها بمسافة قصيرة، كانت تفكر في آثار الأقدام في الردهة، لقد اختفت وصولًا إلى المطبخ، ولكنَّ الطريق الأكثر وضوحًا إلى هناك من هنا كان هذا الباب في أقصى نهاية الغرفة، ومع ذلك فإن من صنعهم قد خرج من الردهة إلى الباب الأمامي بدلًا من ذلك.

تذكرتِ الإحساس الذي شعرتْ به بعد طرق الباب. الشعور بأن شخصًا ما كان يحدق إليها.

حافظي على هدوئكِ.

مع إبقاء نظرها معلقًا على الباب المؤدي إلى المطبخ أدخلت أماندا هاتفها في جيب سترتها وأخرجت مفاتيحها وحملتها بين مفاصل أصابعها. ثم تحركت بحذر خلال الجانب البعيد من الغرفة، وهذا ما منحها مسافة أكبر والمزيد من الوقت وزاوية أفضل. ليس وكأنها وهي مسلحة بذاك القدر من السوء ستحظى بفرصة ضد أي شخص قادر على ارتكاب العنف الشرس الذي جلس بلا حَراك خلال الغرفة أمامها.

كشف المطبخ عن نفسه قليلًا. يمكنها أن ترى نهاية المنضدة محملة بأطباق متسخة، ثم حافة الحوض والنافذة.

ترددتْ عالقة بين الخوف مما قد يواجهها في المطبخ والشيء القرمزي المُدمَّر الجالس خلفها الآن.

بدأ يتملكها الذعر.

لا أستطيع فعل هذا.

ولبضع ثوانٍ كانت تبلغ من العمر ثماني سنوات مرة أخرى مرعوبة، ومع ذلك تخشى النداء لأنها كانت تعلم أنه لا يوجد أحد في المنزل سيأتي.

ثم:

تخيلت والدها يقول: **بإمكانكِ فعل هذا.**

لقد ربَّيتكِ بشكل أفضل.

اتخذتْ خطوة أخرى جانبية.

كان المطبخ فارغًا ويمكنها الآن رؤية طوله وصولًا إلى التجويف في الجهة البعيدة، حيث كانت تحدق إليها العين السوداء لغسالة قديمة، ورأت الزجاج المرصوف بالحصى للباب الخلفي المفتوح على السخان الموجود في الحائط، وينبعث شعاع الشمس المتقطع بجانبه.

أنتِ على ما يرام.

تدفَّق شعور الارتياح من خلالها، وتحركت بسرعة أكبر الآن، تطأ حول آثار الأقدام الملطخة بالدماء المؤدِّية من الردهة. رغم حرارة اليوم عندما وصلت إلى الباب متنفِّسةً الهواء، فإنه كان بطريقة ما أبرد وأنقى من الجو المعذِّب الذي ينبض خلفها. في الخلف كانت هناك منطقة مرصوفة فوضوية، حيث يظهر العشب في الشقوق بين البلاطات القذرة، ثم مساحة من الأشجار في الطرف البعيد.

لا يوجد أحد في مرمى نظرها.

نظرت إلى الأسفل.

اتجهت آثار الأقدام الدموية خلال أحجار الرصف نحو الأشجار في نهاية الفناء. لكنها تلاشت في أثناء ذهابها، كما لو أن الشخص الذي تركها كان يتلاشى في أثناء هروبه، وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى خط الشجر هذا، اختفى تمامًا.

17
الماضي

أتذكر آخر مرة ذهبت فيها إلى الظلال مع الآخرين.

كانت عطلة نهاية الأسبوع بعد حادثة طَرق باب جيمس في الليل، وكالعادة التقينا نحن الأربعة في ملعب القرية ثم ذهبنا إلى منزله. كان هناك الكثير من الطُّرق التي يمكن أن نسلكها، لكن لسبب ما كان تشارلي يفضل دائمًا الذهاب من هناك. بينما كنا نتجول في حديقة جيمس الخلفية ذاك اليوم وجدتُ نفسي متلكئًا قليلًا خلف ثلاثتهم. بدتِ الأشجار الموجودة أمامي أكثر ظلمة ووحشية عن المعتاد وتملأ السماء تدريجيًّا كلما اقتربنا من السياج، شاعرًا ببرودة جسدي في الظل.

نظرتُ خلفي وكان يوجد هيكل في نافذة الطابق العلوي من المنزل، كان كارل يقف هناك يراقبنا، ويحجب انعكاسُ السحبِ تعبيراتِ وجهه قليلًا. رفعتُ يدي لألوِّح له وللحظة لم يرد. ثم تحركتْ يده بتردد إلى الزجاج.

عدتُ إلى الوراء وفصلتُ الأسلاك الرقيقة للسياج الخلفي منحنيًا تحتها، وخطوتُ في الغابة ومن ثَمَّ تبعتُ الآخرين إلى خط الأشجار. انخفض حجم الصوت قليلًا، وبدأ الاندفاع الهادئ للعالم الحقيقي يتلاشى خلفنا. كان الصمت في الغابة غريبًا، وهذه ليست أول مرة أجد نفسي أنظر حولي وأنا

أسير في الخلف، وينبض قلبي بذلك الإحساس الغريب الذي ينتابك عندما تشعر كأنك مُراقَب.

وهذا ما كان غبيًّا طبعًا، فلم يكن أحد هنا خلافنا. لكنْ دائمًا ما جعلتني الغابة متوترًا. حذَّرتني والدتي من أن المكان ليس آمنًا هنا. فقد كان يوجد القليل في الطُّرق، وهذا ما جعل من السهل أن تضلَّ اتجاهاتك، حتى لو لم تفعل فإن الأرض نفسها كانت غادرة وغير آمنة. كانت توجد ألغام مهجورة هنا، وأماكن انهارت فيها الأرض تاركةً الأشجار تميل إلى زوايا مشكلةً صُلبانًا محطمة فوق حفر متداعية. لم تكن هذه الغابات لطيفة ولا مكانًا مُرحِّبًا للعب الأطفال فيه.

وطبعًا كانت هناك كل قصص تشارلي عن كون الغابة مسكونة، وشقَّت هذه الفكرة طريقها إلى رأسي. كان تشارلي دائمًا هو من أصر على خروجنا هنا وقيادتنا، يأخذنا خلال طرق مختلفة بين الأشجار. كان لديَّ إحساس بأنه كان يبحث عن شيء هنا، وكثيرًا ما وجدتُ نفسي أحدق إلى الجانب أو أتحقق من الخلف. أصبح الجو مظلمًا وهادئًا جدًّا بين الأشجار حتى أصبح من السهل تخيُّل شيء يطاردنا هنا.

مشينا نحو نصف ساعة ذاك اليوم. ثم أسقط تشارلي حقيبته عن كتفه على التراب.

قال: «هنا، ليس المكان الصحيح لكنه سيفي بالغرض».

قلت: «أين سيكون **صحيحًا**؟».

لم أكن أتوقع ردًّا وفعلًا لم أحصل على واحد. أصبحتُ أكثر عدائية علانية تجاه تشارلي خلال الأسابيع السابقة، وفي المقابل بدأ يتصرف كما لو لم أكن موجودًا أو لم أتحدث.

نظرت حولي إلى المكان الذي أحضرنا إليه.

كانت معظم الغابة غامضة لكنَّ تشارلي أخرجنا عن مسارنا اليوم واستطاع العثور على ما يُعَدُّ أرضًا خالية. كانت الأرض سوداء ومحروقة، كما لو كان هناك حريق ولم تتعافَ الأرض تمامًا. خرج الشجر المتفحم

من الأرض كالسهام من التربة السوداء، والأغصان عالية فوقها! تنبسط مثل الأصابع المتناثرة. كانت في المكان تذبذبات غريبة من الطاقة أيضًا. استدرتُ في دائرة متنفسًا الهواء، أفكر في الجنيات والوحوش. إذا كان أي شيء مثلهم قد عاش في الغابة فقد بدا هذا كأنه مكان يتجمعون فيه. كان هناك شعور بالترقب في الجو كما لو كان المكان في انتظار ظهور شيء ما.

أحضر بيلي حقيبته الخاصة وهي كيس برباط قديم ملطَّخ. أخرج سكينًا ومقلاعًا منها ثم سلَّم المقلاع إلى تشارلي، لكنه احتفظ بالسكين لنفسه، يقلِّبها في يده ويفحص النصل. لقد رأيتُ المقلاع من قبل لكنْ جعلتني السكين أشعر بالتوتر. كان طولها نحو خمسة عشر سنتيمترات مع حافة مسننة ومنحنى مؤذٍ عند الطرف، والضوء الصغير الذي التقطه المعدن كشف عن الكثير من الخدوش على النصل. تخيَّلت بيلي في ورشة والده متبعًا التعليمات من إحدى مجلاته لشحذ النصل.

اهتزتِ الأرض عندما ركلها تشارلي بحثًا عن صخرة مناسبة للمقلاع. عندما وجد واحدة ربط دعامة المقلاع على ساعده، وحشر الحجر في الجيب الجلدي ساحبًا الشريطين المطاطيين إلى أقصى حد.

سمعتُ صرير المطاط وهو يمتد.

أغلق إحدى عينيه من أجل الدقة ثم استدار مصوبًا تجاه وجهي.

- **اللعنة.**

كانت ردة فعلي بدافع الغريزة إذ أغمضتُ عيني ورفعت يدي. لقد تحرك بسرعة لدرجة أن عقلي أكمل بقية الفعل، وتخيلتُ انفجار الألم في عيني. لكني لم أشعر بشيء وعندما أنزلتُ يدي ونظرتُ مرة أخرى كان تشارلي يبتسم لي مصوبًا على الأرض الآن.

قال: «تمكنتُ من خداعك».

كان قلبي ينبض بسرعة كبيرة لدرجة أنه كان من الصعب التحدث: «يا إلهي، ماذا تفعل بحق الجحيم؟».

- أعبث فقط.

لكنَّ اللامبالاة في صوته لم تصلْ إلى عينيه. استدار واستهدف إحدى الشجرات. ابتلعتُ ريقي محاولًا تهدئة نفسي.

إذا كانت يده قد انزلقت حينها فمن المحتمل أنه كان سيقتلني.

إذن افعل شيئًا.

كان الدافع موجودًا لكنه لا يزال لديه المقلاع. واقترب بيلي مني يدفع حافة السكين في إحدى الشجرات. لم يكن يطعنها بالضبط لكنَّ الأمر أشبه بتعذيبها بدافع الفضول الخامل، وبظرة فارغة على وجهه.

أتاني الإدراك فجأة.

لم أعد أعرف هؤلاء الناس بعد الآن.

قال تشارلي: «جودبولد».

أطلق، وكان مسار الطلقة سريعًا جدًّا بالنسبة إليَّ، لكنْ كان في أحد الجوانب صدع فظيع، وعندما نظرتُ خلاله **رأيتُ** حقًّا جودبولد يقف هناك لحظةً، تمزقت إحدى عينيه وأصبحت حمراء، وتغبِّر شظايا جمجمته الهواءَ بجانب أذنه. ثم تحوَّلت إلى مجرد شجرة مرة أخرى. حطمتْ طلقة تشارلي قطعةً من اللحاء على ارتفاع رأس.

قال: «في منتصف وجهه».

هززتُ رأسي، سواءً اعتراضًا على كلامه أو لمجرد توضيح الرؤية التي خلقها.

قلت: «ليس في منتصف وجهه، أقرب إلى عينه».

- عينه إذن. لا يزال في دماغه مباشرة- أو ما يمكن اعتباره كذلك. دورك يا جيمس.

مدَّ تشارلي المقلاع وأخذه جيمس بتردد، وهو يفحص الأرض بحثًا عن حجر لاستخدامه. عندما وجد واحدًا وضعه في الجيب الجلدي ووقف مباعدًا بين قدميه، مُصوِّبًا بغرابة إلى الشجرة نفسها التي صوَّب عليها تشارلي.

قال تشارلي: «قليلًا إلى اليسار».

التعامل مع السلاح لم يأتِ بشكل طبيعي إلى جيمس. يمكنني أن أجزم أنه كان فعلًا يجهز نفسه للإخفاق، بالضبط بالطريقة نفسها التي فعل بها في الملعب الرياضي. وبينما كان يعدِّل هدفه لمس تشارلي ذراعه ووجهه بلطف.

- أكثر قليلًا.

فقط يهمس الآن.

- وأعلى قليلًا أيضًا، فقط هكذا. الآن هل يمكنكَ رؤية جودبولد هناك؟

كان جيمس يغلق عينًا واحدة بتركيز.

- نعم.

- إذن افعلها.

أطلق جيمس، لكنه سحبها قليلًا في الثانية الأخيرة وانزلق الحجر من خلال الشجيرات، أنزل السلاح بنظرة مكتئبة على وجهه.

قال تشارلي: «الأمر يتطلب التدريب فقط، جرِّب مرة أخرى».

حمَّل جيمس المقلاع مرة أخرى.

- أتمنى أن نفعل هذا به في الحياة الواقعية.

قال تشارلي: «سنفعل».

للحظة كان المكان ساكنًا بخلاف الصوت الثابت لنحت بيلي المستمر في الشجرة. نظرتُ إلى تشارلي، وظهر اليقين الذي كان في صوته على وجهه. بدا هادئًا وجادًّا بالكامل.

قلتُ: «ماذا تقصد؟» مع أي شخص آخر كنتُ سأعتبر الأمر تبجحًا، لكنْ نادرًا ما اقترح تشارلي أي شيء لم يقصده.

نظر إليَّ.

قال: «سنقتله».

- أنا لا... لا أعتقد أننا يجب أن نفعل ذلك.

- لماذا لا؟ إن هذا الرجل متنمر ومنجذب إلى الأطفال.

- أنا متأكد من أنه ليس **في الواقع** منجذبًا إلى الأطفال.

عبس تشارلي تجاهي: «حقًّا؟ إذن ماذا **تسمي** رجلًا يجبر الأولاد على خلع ملابسهم أمامه؟».

ما اعتقدتُه هو أن جودبولد كان مجرد نسخة بالغة من هيج. رجل محبط يلقي بمشكلات حياته البائسة على بقيتنا.

قلت: «إنه متنمر».

- لا، إنه أسوأ من ذلك.

هززتُ رأسي، كانت هذه المحادثة برمتها سخيفة: «ربما، لكنْ يا إلهي، حتى لو كان الأمر صحيحًا فهذا لا يعني أنه يمكننا قتله. بصرف النظر عن أي شيء آخر فلا أعتقد أن أيًّا منا يريد أن يذهب إلى السجن».

قال تشارلي: «لن نُضطَرَّ إلى ذلك».

- نعم، طبعًا لا.

- لأننا سنجعل **الأيدي الحمراء** ينفذ الأمر.

ومجددًا يمكنني أن أقول من صوته وتعبير وجهه أنه كان جادًّا تمامًا. ألقيتُ نظرة حول الغابة شاعرًا بالاضطراب أكثر من أي وقت مضى. **من هو سيد الأيدي الحمراء؟** لم يردْ تشارلي على سؤالي قطُّ، لكنْ في داخلنا لم يكن أحد منا يريد ردَّه. من الواضح أنه كان الشبح الذي ادعى مطاردته هذه الغابة والذي كان يستحضره أيضًا في عالم الأحلام. وبطريقة غريبة بدا أن عدم قول الأمر علانية جعله أكثر قابلية للتصديق. عندما يعتقد الناس أنهم فعلوا شيئًا ما لأنفسهم يصبحون أكثر استثمارًا في التمسك به كحقيقة. ما لم أكن أعرفه الآن هو السبب.

نقلتُ نظري إلى جيمس وبيلي الآن. لم يبدُ أي منهما مرتبكًا ولو قليلًا بسبب ما قاله تشارلي.

وأتاني الاعتقاد مرة أخرى.

لم أعد أعرف هؤلاء الناس بعد الآن.

قلتُ بحذر: «لكنه ليس حقيقيًّا، إنها مجرد أحلام».

- أنت تقول ذلك فقط لأنك لم ترَه.

- لا، أنا أقول ذلك لأنه مستحيل.

- جيمس؟

التفتَ كلانا إلى جيمس الذي حدَّق إلى الأرض السوداء وبدا مرتبكًا.

قلت: «ماذا؟».

تردَّد جيمس.

قال: «لقد رأيتُه، رأيتُه مع تشارلي».

- لا، لم تفعل.

- بلى فعلت، في وقت سابق من هذا الأسبوع، حلمتُ أنني كنتُ هنا في الغابة، وكان كلاهما هناك أيضًا، كان الأيدي الحمراء مثلما وصفه تشارلي. كان يرتدي معطفَ الجيش القديم ذاك، المهترئ عند الكتفين، لذلك بدا كأنه كانت لديه أجنحة تمزقت.

قال تشارلي: «وحلمتُ بالشيء نفسه، أليس كذلك؟».

أومأ جيمس برأسه ثم نظر إليَّ بأمل.

- شعره كان جامحًا يا بول، وكانت يداه حمراوين زاهيتين، لكنني لم أستطع رؤية وجهه لأن المكان كان مظلمًا. كان مجرد حفرة.

أخافني اليقين الظاهر على وجهه. نظرت بعيدًا، شعرتُ كأن المساحات بين الأشجار حولنا الآن مشؤومة، كما لو أن شيئًا ما يستمع، يقترب بفعل الجنون الهادئ الذي كان ينكشف في المكان.

قال تشارلي: «أخبره بالباقي».

اتخذ جيمس خطوة نحوي: «هل تتذكر صباح ذلك اليوم، أليس كذلك؟ الطرقات على الباب في الليل؟».

يا إلهي.

بدا متشوقًا جدًّا. كان من الواضح أنه يصدق فعلًا أيًّا ما كان على وشك شرحه، وكان يائسًا لأصدق ذلك أيضًا. إنه أراد مشاركته معي- ليأخذني في هذه الرحلة التي وجد نفسه فيها.

قلت: «نعم، أتذكر».

- والعلامات على الباب في الصباح؟

الدماء.

- نعم.

- تشارلي أظهر لي مذكرات أحلامه. مدخله لليلة السابقة. كان هذا **هو**، لقد فعلها في حلمه.

مد تشارلي يده: «لا، ليس أنا».

دون أن يُسأل، مرر له جيمس المقلاع.

قال تشارلي: «كان **هو** من طرق الباب، بصوت عالٍ وقوي. أتذكر أن الحلم بدا أكثر واقعية من المعتاد، كما لو كان كلانا واقفين حقًّا هناك. نظرتُ إلى الأعلى ورأيتُ ضوءًا يصعد إلى الطابق العلوي».

كان جيمس يتوسل إليَّ عمليًّا الآن: «وهذا **بالضبط** ما حدث، نزلتْ والدتي إلى الطابق السفلي، لكنْ لم يكن هناك أحد. أنت تتذكر، أليس كذلك؟».

قبل أن أتمكن من الإجابة هز تشارلي رأسه.

قال: «كان الأمر كثيرًا جدًّا بالنسبة إليَّ، بدا حقيقيًّا جدًّا. استيقظتُ قبل فتح الباب مباشرة. كان الأمر كما لو أن الحلم طردني خارجه».

أغمضتُ عيني متذكرًا إيلين وهي تمسح الباب بشدة في ذلك الصباح -تنظف الدماء- إذا كان ذلك ما كان عليه الأمر حقًّا، وكان من الواضح لي ما حدث، حتى لو كان التفسير العقلاني تقريبًا لا يُصدَّق مثل ما بدا جيمس مستعدًّا لقبوله. كان تشارلي قد تسلل في الليل وفعل ذلك. ثم كتب المُدخل في مذكراته لإقناع جيمس.

كانت متعمدة ومحسوبة.

وكان الأمر واضحًا جدًّا.

لكنْ عندما فتحتُ عيني مرة أخرى رأيتُ أن جيمس يصدق، على الأقل بما يكفي لدرجة أنه كان على استعداد لمواكبة الأمر. النظرة على وجهه جعلتني أشعر بالغثيان. لكنْ ماذا يمكنني أن أقول؟ أتاني إدراك مفاجئ بمدى وحدتي هنا، وكم كنا نحن الأربعة بعيدين عن أي روح حية أخرى. كان تشارلي يقف هناك مع المقلاع المحمَّل. وبيلي الذي ابتعد عن الشجرة وكان يراقبني والسكين في يده. وجيمس من كان رهنًا في لعبة ما زلت لا أفهمها.

قلت لنفسي: **يجب أن تكون حذرًا جدًّا الآن.**

حذرًا جدًّا جدًّا.

قلتُ ببطء: «حسنًا، إذن سيعود الأيدي الحمراء إلى الحياة ويقتل جودبولد من أجلنا، كيف سيحدث ذلك؟».

قال تشارلي: «سوف يتضمننا الأمر نحن الأربعة، بيننا وبمساعدته يمكننا أن نكون أقوياء بما يكفي للتأثير في الواقع».

قال جيمس: «أرجوك يا بول».

فكرتُ **أنه مجنون، جميعهم مجانين.**

إلا أنني لم أكن متأكدًا من صحة الأمر. بدا تشارلي أكثر سيطرة على الوضع من مجرد ذلك. كان السؤال الحقيقي هو ما كان يأمل تحقيقَه. لأنه حتى لو أقنع جيمس حتى الآن فلم تكن هناك طريقة يمكن أن تتقدم بها التجربة أبعد من ذلك. كان التسلل إلى قريتنا في الليل وطرق باب جيمس شيئًا واحدًا، لكنني شككتُ في أن تشارلي قادر على قتل جودبولد.

ما يهم هو الخروج من هنا يا بول.

انتابني الإدراك بالقشعريرة.

قلت: «حسنًا، كيف نفعل هذا؟».

دفع تشارلي الحقيبة على الأرض بقدمه وابتسم لي.

قال: «الحضانة».

18

جلستُ إلى المكتب في غرفتي في تلك الليلة، المنزل مظلم وصامت خلفي، ممسكًا بالشيء الذي أعطاني إياه تشارلي في الغابة بعد ظهر ذلك اليوم.

دمية.

كانت مصنوعة يدويًّا وطولها نحو خمسة عشر سنتيمترًا. كان أساسها شماعة ملابس خشبية قديمة، لكنَّ تشارلي لفها في مزيج من المواد هي قصاصات من الملابس القديمة وبعض الخيوط المتجعدة وكتل من الطلاء المجفف والقليل من الغراء. كان الشعر على ما يعد رأسها أسودَ وأشعثَ، والوجه المحاط به مطليًّا بالكامل باللون الأسود. كان الجسم ملفوفًا في نوع من نسيج التمويه، مع أذرع هي شرائط تُستخدَم للعب تخرج من الأكمام. خمسة محالق طويلة من الخيط الأحمر مرتبطة بنهاية كل واحدة -افترضت أنها أصابع، لكنها كانت طويلة جدًّا لدرجة أنني عندما حملت الدمية في وضع مستقيم امتدت حتى قدميها.

أدرت الدمية في يدي. كانت مقززة إذ كان حولها شيء قذر ومسبب للحكة، مثل لعبة تُرِكَتْ تحت أريكة أو في زاوية غرفة ولم تُنظَّفْ قط.

الحضانة

لماذا احتفظتُ بها؟ بالعودة إلى الغابة لم يكن لديَّ خيار آخر. صنع تشارلي أربعًا من هذه الدمى، كانت الدمى الثلاث الأخرى مُعقَّدة ومصنوعة

بعناية مثلما صُنِعَتْ دميتي تمامًا. بقدر ما كنَّ مثيراتٍ للاشمئزاز فقد كان من الواضح أنه قد بذل قدرًا كبيرًا من الجهد فيهن، قد قبل بيلي وجيمس خاصتهما بامتنان. بالنسبة إليَّ شعرتُ أن رفض دميتي سيكون خطرًا بدلًا من ذلك، كنتُ قد استمعتُ لما أخبرنا به تشارلي وتظاهرتُ بالموافقة، أخبرتُ نفسي طوال الوقت بأنني سأتخلص من هذا الشيء البشع بمجرد أن أكون آمنًا.

ومع ذلك كانت لا تزال بين يدي الآن.

حدقت إلى الفراغ الأسود لوجهها.

أوضح تشارلي ما نحن بحاجة إلى فعله بعد إعطائنا الدمى. كانت الفكرة أننا إذا احتفظنا بهذه الدمية بالقرب منا وركَّزنا عليها قبل أن ننام فستساعد الهيئة على العثور علينا في الليل. عندما كنا نحلم أحلامًا جلية كان علينا أن ننقل أنفسنا إلى غرفة C5b ونعثر على بعضنا هناك، ثم سيوضح لنا تشارلي ما يجب فعله.

كان الأمر مستحيلًا طبعًا. لم أعد أعتقد أنه يمكن أن يحدث الآن أكثر مما كنت أعتقد في الغابة، وأدركتُ أن السبب الوحيد الذي جعلني أستمتع بالأمر برمَّته كان جيمس. إدارة ظهري لتشارلي ستعني فقداني أعزَّ أصدقائي، وكنت أخشى أن التخلي عن جيمس سيعرضه للخطر.

لذلك كنت بحاجة إلى مواصلة التظاهر.

وإلى أي مدى يمكن أن يواصل تشارلي هذا الأمر؟ لم يكن هناك عالم أحلام مشترك ولم تكن هناك طريقة يمكن أن يكون لأحلامنا تأثير ملموس في العالم الحقيقي ولم يكن هناك الأيدي الحمراء.

وهذا ما يعني أنه لن يحدث شيء.

وغدًا ستكون نهاية الأمر.

ومع ذلك كان هناك حد للمدى الذي كنت مستعدًّا للذهاب إليه. لقد أمرنا تشارلي بالنوم مع الدمية موضوعة تحت وسادتنا، لكنَّ هذه كانت فكرة مروِّعة للغاية للتفكير فيها لذلك وضعتها في درج المكتب بدلًا من ذلك.

أطفأتُ الضوء واستلقيتُ على السرير بعضَ الوقت، وعندما تخيلتُ الآخرين في أسرَّتهم الخاصة شعرت بالقلق من مدى السهولة التي استطعت تصورهم بها. لقد أخافني اليوم بشدة. تدحرجتُ إلى جانبي في الظلام ثم كررتُ الترنيمات التي أصبحت مألوفة بالنسبة إليَّ الآن.

سأتذكر أحلامي.

سوف أستيقظ في أحلامي.

لن يحدث شيء لجودبولد وسيبدأ جيمس في إدراك حقيقة تشارلي قريبًا ويستيقظ من التعويذة التي كان تحت تأثيرها، وفي غضون أسابيع قليلة سيكون كل هذا منسيًّا.

ماذا يمكن أن يحدث غير ذلك؟

لم تكن لديَّ أي فكرة عما كان تشارلي قادرًا عليه.

***

أنا أحلم.

أتذكر الإثارة المألوفة التي شعرت بها من فكرة أني أحلم حلمًا جليًّا.

وأتذكر القلق الذي شعرتُ به بعد ذلك.

لأنني كنت أقف في أسفل الدرج في الطابق السفلي من المدرسة ناظرًا إلى الغرفة C5b. كان الباب المقابل لي مغلقًا، والنافذة المعلَّقة من جانب واحد ضبابية ورمادية. جعل جرس الإنذار الذي شعرت به الحلم ضبابيًّا في حوافه وكاد يوقظني، لذلك جثوتُ على ركبتيَّ واستخدمتُ تقنية البيئة، واضعًا يدي على الأرضية الحجرية الباردة، وفركت راحة يدي في دائرة على الحجر الخشن. جعلني الإحساس مستقرًّا.

وقفت مرة أخرى.

لا يوجد شيء لأخاف منه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان هذا حلمًا، وهذا ما يعني أنني كنت مسيطرًا عليه الآن ولا داعي للخوف. كنت أفكر في أحداث اليوم في أثناء نومي، ولذا كان من الطبيعي تمامًا أن عقلي الباطن قد استحضر هذا المكان.

لكن لم يوجد سبب يجعلني أبقى هنا. مع ظهري المواجه للدرج أخبرت نفسي أنه عندما أستدير سيكون في الأعلى باب وعندما أفتحه سيقودني إلى شاطئ. كان الأمر أسهل من محاولة الانتقال عن بُعد. في الحلم الجلي سيستمر عقلك بالتمسك بالقواعد المألوفة لمَّا كان ممكنًا، وكانت هذه تقنية استخدمتُها من قبل وكانت تعمل دائمًا.

تصورتُه بوضوح ثم استدرتُ.

كانت بسطة الدرج في الأعلى رمادية ومهجورة، و...

طَرْقٌ.

سمعتُ ضوضاء بعيدة. كان الأمر أشبه بضرب أنبوب بمطرقة. تَردَّد صدى الصوت وتلاشى، ولم أستطع معرفة من أين أتى، وشعرتُ بالمزيد من القلق الآن. كنتُ مستيقظًا في حلمي لكنني شعرت به خارج سيطرتي بطريقة ما، كما لو كان شخص آخر يمارس تأثيره الخاص فيه، وكان أفضل في ذلك مني.

طَرْقٌ.

هذه الضوضاء مرة أخرى لكنْ بصوت أعلى هذه المرة.

استدرتُ ومشيتُ إلى باب الغرفة C5b، كانت النافذة على الجانب رمادية، لكنَّ الهواء خلفها بدا كأنه يدور، الغرفة مليئة بالدخان. وأدركتُ الآن أنه كان يوجد شيء آخر هناك أيضًا. هيئة شاحبة بالقرب من الزجاج.

لقد كان وجهًا- أو على الأقل تقريب كابوسي لواحد. كان مطولًا إلى شكل بيضاوي، وامتدت العينان وتشوَّهت إلى بقع ضبابية، كان الأنف أكثر بقليل من شقوق عمودية صغيرة، والفم قَطْعًا أسودَ رقيقًا. بقدر ما كان مشوهًا فقد استطعت تعرُّف جيمس. اتسعت عيناه عند رؤيتي، وبدأ فمه يعمل بطريقة غريبة خالقًا أشكالًا غريبة في أثناء محاولته التواصل معي خلال انقسام لا

يمكن لأي منا عبوره. بدا كأنه غرق وتُرِكَ تحت الماء، تسبح صورته أمامي على الجانب الآخر من النافذة.

طَرْقٌ.

ثم فجأة ضوضاء أعلى بكثير أتت من خلفي، الصوت الفظيع لدق المعدن ضد المعدن. صرير وكشط الأجزاء الصدئة التي لم تتحرك منذ زمن تتخلص من جمودها.

استدرتُ ببطء.

في الظل بجانب الدرج يوجد هناك الآن مثلث أصفر خافت يتوهَّج فوق أبواب المصعد القديم. كان صوت صرير المعدن قادمًا من هناك. بدأ قلبي يخفق بقوة في صدري لدرجة أنه بدا من المستحيل بالنسبة إليَّ ألا أستيقظ، لكنني لم أفعل.

تغيَّرت نغمة ضوضاء الدق.

قلت لنفسي: **استيقظ.**

بدأتِ الأبواب المعدنية تهتز وهي تُفتَح.

عدتُ إلى الغرفة وكان جيمس لا يزال هناك، يهزُّ رأسه من جانب إلى آخر الآن، وتتحول ملامحه المروِّعة إلى تشويه بطيء في حين يرى أيًّا ما كان قد ارتفع من أعماق المدرسة وخرج ورائي.

استيقظ.

أغمضتُ عيني متخيلًا نفسي مستلقيًا على سريري وعلى استعداد للهروب إلى هناك.

استيقظ.

لكنْ عندما فتحت عيني مرة أخرى بدا الحلم أكثر وضوحًا من ذي قبل. كانت الغرفة لا تزال موجودة أمامي، والآن يمكنني الشعور بشيء ما يقف خلفي مباشرة. كان جلد ظهري يتخدر من وجوده.

استيقظ.

شممتُ رائحة أوراق الشجر والأرض، وسمعتُ ضوضاء خشنة فظيعة، مثل شخص يتنفس بشدة من خلال حنجرة مُتأذية.

استيقظ، استيقظ، استيقظ.

ثم امتدتْ يد حمراء مبللة حول وجهي، وتلتف أصابعها كريهة الرائحة حول أنفي وفمي وتقرصهما مُغلِقةً إياهما. حاولتُ التنفس لكن لم أستطع. وعندما بدأتُ في الاختناق كنتُ أتخبط بلا حول ولا قوة في ذعر.

الآن عرفتُ لماذا لم أستطعِ الاستيقاظ.

لأن هذا لم يكن حلمًا.

19
الحاضر

عدتُ إلى منزل والدتي وأغلقتُ الأبواب ثم اتكأتُ على منضدة المطبخ محدقًا من النافذة إلى الظلال، محاولًا التحكم في تنفسي.

بصرف النظر عن الذباب الذي يتحرَّك بجانب السياج كان كل شيء ساكنًا تمامًا.

لم يكن بالخارج أحد الآن.

ومع ذلك كنت أرتجف.

تذكرتُ كيف أنني بعد أن استيقظتُ من الكابوس الذي سبَّبه تشارلي ودميته قد بذلتُ قصارى جهدي في توضيحه لنفسي، في أن أعقِلَه. طبعًا حلمتُ بالغرفة في الطابق السفلي وبالأيدي الحمراء. بعد ضغط اليوم السابق ومواجهة تشارلي ومقلاعه والجنون الجماعي لأصدقائي سيكون من الغريب تقريبًا لو لم أفعل.

حاولتُ أن أفعل ذات الشيء الآن.

يمكن أن تكون العلامات على الباب مزحة. وكان للناس كامل الحق في المشي في تلك الغابة. ربما كان من رأيتُه متشردًا- رجلًا عاش هناك لأنه لم يكن له مكان آخر. لن يكون من الغريب لشخص مثله أن يرتدي شيئًا كهذا، ملفوفًا بمعطف قديم بالٍ وممزق.

أردتُ أن أصدق ذلك.

لكنْ بينما لم أحب الاعتراف بالأمر فقد كنتُ خائفًا الآن. يمكنني أن أقول لنفسي إنه لم تكن من ملاحقة الرجل جدوى -إن الغابة كانت كثيفة للغاية ولا يمكن اختراقها لذا من المحتمل أنني كنت سأفقد أثره بسرعة- لكنْ مهما كان ذلك صحيحًا كنت أعلم أنه لم يكن شيئًا فكرتُ فيه في ذلك الوقت.

لا، لقد أرعبني مشهده.

ووقفتُ هناك -متجمدًا- عدتُ مراهقًا مرة أخرى.

جعلني صوت قعقعة مفاجئة خلفي أتفاجأ. لكن جلب الصوت صدى مألوفًا لذكرى من طفولتي. كان فقط صندوق البريد. استدرتُ لأرى أن بريد اليوم قد وصل.

مشيتُ في الردهة والتقطتُ مجموعة الرسائل، المزيد من الفواتير والمنشورات. وضعتها على الجانب مع الأخريات، لكنْ بعدها فكرتُ في الأمر بشكل أفضل. من الواضح أنها تافهة وليست ذات صلة بالمخطط الكبير للأشياء، لكن يجب أن يُقرَأوا في مرحلة ما، وقد يساعدني بعض الإلهاء البسيط الآن. شيء يعيدني إلى العالم الحقيقي مرة أخرى. لذلك جمعتُ الكومة بأكملها وأخذتُها إلى الغرفة الأمامية جالسًا على الأريكة.

كانت والدتي تقليدية بحزم وكانت لا تزال تحصل على نسخ ورقية من كل شيء. كانت هناك فواتير المرافق الأساسية التي مزقتُها وفحصتُها سريعًا دون اهتمام، إلى جانب كشف مصرفي قررتُ تركَه جانبًا في الوقت الحالي. كانت هناك قوائم للوجبات الجاهزة ومنشورات لشركات البستنة والصرف الصحي.

ثم كانت هناك فاتورة هاتف.

حدَّقتُ إليها عدَّةَ ثوان بعد أن فتحتُها. كانت فاتورة ربع سنوية للخط الأرضي سمكها ثلاث أوراق. انتقل نظري إلى أسفل قائمة الأرقام المفصلة -كلها مكالمات أجرتْها أمي- ثم انتقلتُ إلى الورقة التالية، ثم الأخيرة.

بالعودة إلى ما يقرب من شهرين وجدتُ رقم هاتفي. بدا التاريخ كأنه منذ وقت طويل. عن ماذا تحدثنا؟ أدركتُ أنني لا أستطيع التذكر، لا شيء أو على الأرجح- مجرد مكالمة اعتيادية لمعرفة آخر الأنباء التي كنتُ أعجِّل لإنهائها بكل ثقة دون تفكير. لطالما كانت والدتي مَن اتصلت بي، وبدا أن الوقت كان يمر بين تلك المكالمات النادرة دون أن أشعر بالحاجة إلى الاتصال بنفسي.

غمرتْني موجة من الحزن نتيجة لذلك.

لا يهمني أفكرتَ فيَّ على الإطلاق.

سأفكر فيك بدلًا من ذلك.

لأن هذا ما فعله الآباء، أليس كذلك؟ أرادوا حماية أطفالهم، أرادوا أفضل حياة ممكنة لهم. ولم ينتظروا شيئًا في المقابل. لكنْ كان من الواضح من حجم الأرقام المدرجة هنا أن والدتي شعرت بالحاجة إلى التحدث إلى شخص ما، وشعرتُ بالذنب الآن لأنه لم يكن أنا. أنني لم أفكر فيها أكثر مما فعلتُ.

مع من تحدثتْ بدلًا مني؟

عدتُ إلى الورقة الأولى، كانت خلال الشهر الماضي عدة مكالمات لِمَا تعرَّفته أنه هاتف سالي، إلى جانب بعض الأرقام الأخرى التي لا تعني شيئًا بالنسبة إليَّ، لكنْ برز واحد على وجه الخصوص من مقدار الاتصال، كان رقم هاتف محمول، وبينما لم تتصل والدتي به كل يوم فإن الوقت بين المكالمات كان قريبًا بما فيه الكفاية. اختلفتِ المحادثات من حيث الطول وحدثتْ في أوقات غير منتظمة، الأغلب في منتصف الليل. لم تكن لديَّ أي فكرة عمَّن كان، ثم لماذا قد يكون لديَّ؟ كنت أعرف القليل عن حياة والدتي.

ربما لم يفتِ الأوان بعد لتغيير ذلك.

أخرجتُ هاتفي المحمول وطلبتُ الرقم. رنَّ لبعض الوقت قبل أن يُحوَّل إلى بريد صوتي آلي مجهول دعاني لترك رسالة. لكنني لم أفعل وبدلًا من ذلك أنهيتُ المكالمة ثم حاولتُ مرة أخرى بعد دقيقة. ربما لم يتمكن صاحب الرقم أيًّا كان مَن من الوصول إلى الهاتف.

هذه المرة لم يرن على الإطلاق وكان يوجد صوت صفير فقط.

أنهيتُ المكالمة وعبستُ ناظرًا إلى هاتفي. قرر أيًّا من كان على الطرف الآخر من الخط أنه لم يرغب في الإجابة وأغلق هاتفه. لا يبدو أن لتفسير الموقف أي طريقة أخرى. لكنني أيضًا لم أكن أعرف كيف سأتصرف.

جلستُ هناك لحظةً مرتبكًا.

ثم رنَّ هاتفي المحمول- صدمة مفاجئة من الضوضاء والاهتزاز في يدي. نظرتُ إلى الشاشة متوقعًا أن أرى الرقم نفسه هناك، لكنَّ المكالمة كانت من سالي.

- مرحبًا.

قالت لي: «إنها والدتك، هي مستيقظة وتسأل عنك».

***

قدتُ بسرعة كبيرة إلى دار رعاية المسنين. لم يكن في ما أخبرتني به سالي إلحاح واضح -لم تكن هناك دلالة على أنني كنت بحاجة إلى الوصول إلى هنا قبل فوات الأوان- لكنْ مع ذلك فقد كانت والدتي مستيقظة وتطلب رؤيتي، وكنت على دراية كافية بأنماط نومها لذا لم أرغب في تفويت هذه الفرصة للحديث. شعرتُ بعد سنوات من الصمت الغالب بيننا بوجود الكثير مما أردتُ أن أسأل عنه.

بعدما أوقفتُ السيارة دخلتُ ووجدتُ سالي تنتظر إلى المكتب. سجلتُ الدخول ثم مَشينا بسرعة.

قلتُ: «هل ما زالت مستيقظة؟».

- كانت قبل دقيقة.

- ما الذي أرادتِ التحدث معي عنه؟

نظرتْ سالي إليَّ بتعاطف: «لا أعرف، لن أرفع آمالك، هي كانت تسأل عنكَ ولكنها لا تزال تبدو مضطربة بالنسبة إليَّ».

عندما وصلنا إلى الغرفة انتظرتْ سالي في الردهة. دفعتُ الباب فاتحًا إياه ببطء ورأيتُ أمي مستلقية على السرير، بدتْ أصغر وأضعف من الأمس،

جسدها يتلاشى بمرور الساعات الآن، لكنَّ عينيها كانتا مفتوحتين. نظرتْ إليَّ وأنا أغلق الباب بلطف، ثم تبعتني نظرتها خلال الغرفة في أثناء انتقالي إلى المقعد بجانب السرير.

- مرحبًا يا أمي.

- مرحبًا، بول.

- أخبرتْني سالي أنه يوجد شيء تريدين إخباري به؟

عبست: «من سالي؟».

فكرتُ: **إنها المرأة المسؤولة عن رعايتك منذ شهور.**

قلتُ: «لا يهم».

- هل هي حبيبتك؟

- بالتأكيد لا.

- التي لن تدعني أقابلها بعد؟

ابتسمتْ أمي ناظرةً إلى السقف. لم أقلْ شيئًا، كانت تتحدث عن جيني- كان ذلك الزمان والمكان اللذين كانت فيهما الآن.

- سيكون عليك أن تسأل والدك.

والدي الذي كان ميتًا منذ ست سنوات. وحتى عندما كان حيًّا لم أكن أريد أن أسأله عن أي شيء، وللحظة لم أستطع فهم ما عنته والدتي.

نظرتْ إليَّ وابتسمت بتشجيع على استعداد لجعلي أفهم.

- من أجل **الأظرف** يا بول، أنت تعرف أنه هو الذي يحتفظ بأشياء كهذه. ستحتاج إلى اثنين، أليس كذلك؟ والطوابع طبعًا.

ثم فهمتُ أين كانت، لقد كان اليوم الذي أريتها فيه المجلة التي أعطتني إياها جيني، مع تفاصيل مسابقة القصة القصيرة على ظهرها. ربما كان الاشتراك بها مجانيًّا، لكنَّ هذا لا يعني أنه كان لديَّ كل ما أحتاج إليه، الأظرف والطوابع. ما زلت أتذكر الشعور بالغثيان في معدتي لاحتمالية طلب المساعدة

من والدي، إلى جانب النظرة الرافضة على وجهه عندما فعلتُ، بعد أن جعلني أشرح لماذا أريدهم.

امتعضتْ أمي: «ليس كأنهم سيرسلون قصتك مرة أخرى، ليس إذا كانوا يعرفون ما هو جيد لهم على أي حال».

- لا أعتقد أنها كانت جيدة جدًّا يا أمي.

- هراء، كما ترى لقد تسللتُ إلى غرفتكَ وقرأتُها عندما كنتَ في المدرسة، القصة عن الرجل الذي يتجول في الشوارع حيث نشأ؟ اعتقدتُ أنها كانت رائعة.

ثم عبستْ لنفسها.

- أعني أنا أعلم أنه ما كان يجب أن أفعل ذلك. لكنكَ لم تُرِني أي شيء يا بول، أنا آسفة.

ابتلعتُ ريقي، في ذلك الوقت كنتُ سأشعر بالخزي إذا عرفتُ أنها فعلتْ ذلك، لكنْ كل شيء بدا بعيدًا جدًّا الآن لدرجة أنه بالكاد يبدو مهمًّا.

- لا بأس يا أمي.

أعادتْ نظرها إلى السقف مرة أخرى وأغمضتْ عينيها. انتظرتُ غير متأكد مما أفعله أو أقوله. كنتُ قد أسرعتُ إلى هنا لأنها كانت مستيقظة ويوجد شيء أرادت إخباري به. ربما كان الأمر أحمق، لكنْ بعد ما حدث في المنزل اليوم تخيلتُ أنه قد يكون مرتبطًا بذلك: طَرْقُ الباب والرجل الذي رأيتُه في الغابة.

لكن كان هذا فقط.

- أمي، هل تتذكرين إخباري إياكِ أنني ذهبت إلى العلية؟

للحظة لم يكن هناك رد ثم تنهدتْ.

- كلهم متشابهون.

- الـ... جرائم؟

لا تزال عيناها مغمضتين، ابتسمتْ كما لو كانت سعيدة بشيء ما: «لا، كلهم متشابهون لهذا لن يجده».

- مَن؟ وما الذي لن يجده؟

لكنَّها هزت رأسها فقط. يبدو أن أيًّا كان مَن **هو** ومهما كان ما تختبئ منه، فقد كانت مصممة على إبقاء الأمر سرًّا عني أيضًا. حسنًا يمكنني البحث في الصحف مجددًا لاحقًا. أخفيتُ الإحباط الذي شعرتُ به وجرَّبتُ زاوية مختلفة.

- هل... رأيتِ أي شخص في الغابة؟

مرة أخرى لم تردْ على الفور، لكنِ اختفت الابتسامة، وبعد بضع ثوانٍ فتحت عينيها فجأة ونظرت إليَّ في قلق.

- إنه في الغابة يا بول.

- لا بأس يا أمي.

- إنه في الغابة، إنه هناك **الآن**.

مددتُ يدي وبهدوء ربَّتُّ حافة الغطاء عند زاوية السرير. شعرتُ كأنها محاولة عقيمة لتهدئتها، لكنْ بعد لحظة بدأ جسدها يسترخي قليلًا.

- من في الغابة يا أمي؟

هزَّت رأسها مجددًا مغمضةً عينيها: «لا أريد أن أقول اسم ذلك الصبي الفظيع، ليس بعد ما فعله، ليس بعد كل الألم الذي سبَّبه على مر السنين».

ترددتُ.

- هل رأيتِ تشارلي في الغابة؟

أومأتْ برأسها شاردة الذهن: «يتحرك بين الأشجار».

أزعجني التخيُّل وأبعدتُ يدي عن السرير. كانت أمي ترى الأشباح الآن، لكنني أخبرتُ نفسي أنها كانت تراها على الأرجح منذ شهور.

هذا لا يعني أنها كانت حقيقية.

قالت فجأة: «تذكرت».

- تذكرتِ ماذا؟

- ما أردتُ إخبارك به.

ظلتْ عيناها مغمضتين وكان صوتها أضعف الآن. كانت تنجرف في النوم، وكانت تُغلِق الفرصة، ولم أكن أعرف كم ستكون هناك فرص مستقبلًا.

انحنيتُ أقرب مجددًا.

- ماذا؟

- أنا فخور بك جدًّا.

ابتسمتُ قليلًا وغطتْ هي في النوم، كان عقلها يتحرك بين الأزمنة، وعرفتُ أين هي الآن. تقف على منصة سكة حديدية مع ابنها في انتظار مغادرته، عالمةً أنه لن يعود. تُخرِجه إلى العالم دون التفكير في نفسها ولو قليلًا.

عمَّ الصمت في الغرفة للحظة.

قلتُ بهدوء: «شكرًا لكِ».

- أعتقد أنكَ ستصبح كاتبًا.

مع أن صوتها كان بالكاد موجودًا الآن، فإنها قالت ذلك باقتناع لدرجة أنني لم أتمكن من الرد. وبدلًا من ذلك جلستُ هناك فقط أشاهد الأغطية ترتفع وتنزل بشكل غير محسوس تقريبًا مع كل نفس صغير أخذته. وبعد ذلك في النهاية وجدتُ الكلمات.

قلتُ: «أنا أحبكِ».

لكنَّ أمي كانت نائمة مرة أخرى بحلول ذلك الوقت.

قبَّلتُها بلطف على جبهتها ثم جلستُ معها لبعض الوقت.

***

أنا فخور بك جدًّا.

مشيت إلى الخارج مرة أخرى لاحقًا، فكَّرت في هذه الكلمات. كان يجب أن تجلب بعض الراحة لكنني علمت أنه لم أكن أنا من كانت تتحدث إليه- أو على الأقل ليس أنا الآن. لم يكن في حياتي اليومية شيء ليفخر به أي شخص، وأيًّا ما كان موجودًا في ذلك الوقت قد أُهدِر منذ ذلك الحين. بينما كانت والدتي

سعيدة لأنني كنتُ أهرب من جريتن وما حدث هنا، كانت الحقيقة أنني لم أفعل ذلك قطُّ. ليس حقًّا، فقد كان الظل موجودًا دائمًا.

ستصبح كاتبًا.

يا لها من مزحة. كان جزء مني سعيدًا لأنَّ عقلها تراجع إلى زمان ومكان حيث لا يزال بإمكانها تصديق أنني قد أصل إلى شيء ما.

فُتِحَتْ أبواب دار رعاية المسنين، ثم أغمضتُّ عينيَّ عندما خرجتُ إلى شمس الظهيرة الساطعة. مشيتُ إلى سيارتي طاحنًا الحصى أسفل قدمي، وبسبب الضوء والحرارة والعواطف المتقلِّبة بداخلي لم أدركْ وجود سيارة أخرى متوقفة بجانبها الآن سوى عندما وصلتُ إليها، وأن هناك امرأة كانت تتكئ عليها وذراعاها مطويتان وهي تراقبني.

بدتْ في أواخر الثلاثينيات من عمرها مع شعر بني طويل مربوط إلى الخلف في شكل ذيل حصان. لم تكن ترتدي ملابس مناسبة للجو -بنطال جينز داكن ومعطف أسود طويل- لكنْ من النظرة على وجهها بدا أن درجة الحرارة كانت أقل مخاوفها.

ابتعدتْ عن السيارة.

- بول آدامز؟

- نعم.

أومأتْ برأسها لنفسها، كما لو كنتُ خيبة أمل أخرى في سلسلة طويلة منهم.

قالت: «أنا المحققة أماندا بيك، هل توجد حانة هنا يا بول؟ لا أعرف هل أنت كذلك، ولكنني حقًّا بحاجة إلى مشروب».

20

لم يقدْ بول بعيدًا.

بعد دقائق قليلة من مغادرتهم أرض المستشفى أشار وأوقف السيارة في موقف للسيارات. قادت أماندا السيارة وتوقَّفت خلفه، ثم تبعتْه إلى الحانة في الجانب. بالنظر إلى حالة جريتن العامة كانت قلقة من أنها ستكون سيئة، لكن اتضح أنها لطيفة بما فيه الكفاية، متكونة من الخشب الداكن والنحاس المصقول، مع وجود شاشات كافية تشير إلى أنها ستكون مفعمة بالحيوية لاحقًا، لكنها هادئة في الوقت الحالي. الأهم من ذلك كله الآن طبعًا هو وجود بار.

أحتاج إلى مشروب.

تخيلتْ أماندا أنها قالتْ هذا الشيء عدة مرات في حياتها، عادة في وقت لاحق من يوم معتدل نسبيًّا في العمل. اليوم كان هذا صحيحًا حقًّا. تسبب اللقاء القريب في منزل بيلي روبرتس في بدء آلية القتال أو الهروب الخاصة بها، وبعد وصول الشرطة وسيارة الإسعاف بدأ الأدرينالين يستقر بلا فتور في نظامها مثل الحمأة. كان الأدرينالين سمًّا إذا لم تستخدمه فسيستخدمك بدلًا من ذلك. كانت ترتجف وهي تتحدث إلى المحقق الرئيسي، رجل يُدعى جراهام دواير، وما زالت ترتجف يداها قليلًا حتى الآن.

أحضرت النادلة بيرة لبول تلقائيًّا مع مراعاة الحد الأقصى للقيادة تحت تأثير الكحول، طلبت أماندا فودكا وكوكاكولا مع جرعة واحدة منفصلة.

شربتِ الأخيرة بمجرد وصولها. بدأ بول إخراج محفظته لكنها لوحت بيدها رافضة، وهي يحترق حلقها.

- على حسابي.

- شكرًا.

بمجرد أن طلبا نظرتْ حولها ثم قادته إلى طاولة في أحد الجوانب، بعيدًا عن حفنة من الزبائن الآخرين قدر الإمكان. بينما جلسا قاومت الرغبة في تناول المشروب الثاني كله أيضًا. بدلًا من ذلك أخذت رشفة فقط وأغلقت عينيها محركةً السائل حول فمها.

قال بول: «هل هذا له علاقة بما حدث هذا الصباح؟».

ابتلعتْ أماندا ريقها ببطء وفتحت عينيها.

- هذا الصباح؟

قال بول: «العلامات على باب أمي، جاء ضابط إلى المنزل أعتقد أنه اسمه هولدر، التقط صورًا لكنه لم يبدُ مهتمًّا بالأمر».

كانت أماندا بالتأكيد مهتمة.

- أي نوع من العلامات؟

- طرق أحدهم الباب في الليل وترك بصمات قبضة يده على الخشب. ظنَّ الضابط أنها ربما مجرد مزحة.

- هذا نوع غريب من المزح.

- نعم، اعتقدت ذلك أيضًا.

حدَّق إليها مرة أخرى لحظةً كما لو أنه أراد شرح المزيد قليلًا، لكنه لم يكن متأكدًا من كيفية ذلك. ثم هزَّ رأسه.

- لكنكِ لستِ هنا بسبب ذلك.

أخرجتْ أماندا هُويَّتها وأرتها إياه: «لا، أنا لستُ من قسم شرطة جريتن. أنا من مكان يُدعى فيذربانك».

شاهدتْ رد فعله على ذلك من كثب. إذا كان بول آدامز وراء حساب CC666، فإنه سيألف اسم المكان. لكنَّ وجهه لم يُظهِر دلالة على تعرُّفه.

وضعتْ بطاقة هُويَّتها بعيدًا: «أنا هنا بسبب جريمة وقعتْ هناك في نهاية الأسبوع الماضي. جريمة قتل. قَتَلَ صبيَّان أحدَ زملائهما».

أظهر رد فعل على هذه المعلومة. أغلق بول عينيه وبدأ في فرك جبهته بأطراف أصابعه. شاهدته مرة أخرى. قدَّرت أنه سيكون في الأربعين من عمره أو نحو ذلك الآن، لكنْ كان لديه نوع من الوجه الجذَّاب الذي تخيلته في ظل الظروف العادية يمكن أن يبدو أصغر بكثير. الآن بدا أنه مثقل بحمل العالم أجمع، كل واحدة من تلك السنوات محفورة على ملامحه. بدا الأمر وكأنها أضافت المزيد.

قال بهدوء: «جريمة أخرى».

- أخرى؟

- كان هناك اثنتان أخريان على الأقل على مر السنين.

اللعنة. أخرجتْ أماندا هاتفها: «هل لديك الأسماء؟».

كتبت التفاصيل التي أعطاها إياها في تطبيق ملاحظاتها. ستحتاج إلى البحث عن هؤلاء لاحقًا. هل كان من الممكن أن CC666 متورط هناك أيضًا؟

اعترفتْ: «لم أكن أعرف عن هؤلاء».

- اكتشفتُهم بالأمس فقط. حتى ذلك الحين لم تكن لديَّ أي فكرة. افترضتُ أن كل ذلك... قد نُسِيَ.

- ليس على الإنترنت.

رفع حاجبيه.

- نعم لقد رأيتُ، أنا لا أفهم ذلك.

هزَّتْ أماندا كتفيها قائلة مرجعها التالي بشكل عرضي قدر الإمكان: «حسنًا، كما تعلم، يهتم الناس دائمًا بالمجهول وغير المحلول».

هزَّ رأسه.

- لكنها لم تكن غير محلولة.

لقد استنتجتْ أنه إذا كان قد سمع عن المنتدى من قبل فقد كان ممثلًا جيدًا: «لا، هذا صحيح، هذا في الواقع اسم موقع ويب. المجهول وغير المحلول. هل سمعتَ به من قبل؟».

- لا.

- أنا أيضًا حتى قبل بضعة أيام. الأمر هو أن الولدين في فيذربانك كان كلاهما عضوين هناك. كانا مهووسين بقضية تشارلي كرابتري. وكان هناك مستخدم آخر يبدو أنه يشجعهما. كان هذا الشخص يعرف الكثير عما حدث هنا في جريتن.

- نعم، لقد لاحظتُ أن الكثير من الناس يعرفون أيضًا.

- هذا المستخدم بالذات كان يشير إلى أنه تشارلي.

عمل ذلك بمنزلة تعويذة سحرية، فللحظة تصنَّم جسد بول بالكامل. ثم ظهر على وجهه تعبير من الإنكار كان مزيجًا من الاشمئزاز والارتباك والحزن. قررت أماندا أنه لا يوجد أحد يستطيع التمثيل جيدًا هكذا. مهما كان بول آدامز ومهما كانت المشكلات التي تحدث في حياته كانت متأكدة من أنه لم يكن وراء حساب CC666.

وهذا ما كان مخيبًا للآمال تقريبًا.

قال: «لماذا قد يفعل أي شخص ذلك؟».

ترددتْ: «لا أعرف، أعني هل تعتقد أنه من الممكن أنه كان يقول الحقيقة؟».

- لا، إن تشارلي ميت.

لكنه قال ذلك بسرعة كبيرة بطريقة بدتْ كأنها تعويذة سحرية إذا كررتَها كثيرًا بما فيه الكفاية ستصبح صحيحة.

قالت: «كيف يمكنكَ التأكد؟ مما يمكنني قوله فإن الشرطة فتَّشت تلك الغابة على نطاق واسع».

فكَّر بول في ذلك مدةً من الوقت.

قال أخيرًا: «أتذكَّر ذلك، أتذكر سماعي نباح الكلاب من نافذة غرفة نومي. بين الحين والآخر كنت أرى ضابطًا في خط الأشجار. لكنَّ الأمر هو أن ما كُتِبَ على الإنترنت أن تشارلي اختفى دون أن يترك أثرًا. وهذا ليس صحيحًا».

- ليس كذلك؟

- لا، كان هو والآخرون في تلك الغابة في كثير من الأحيان لدرجة أنه كانت له آثار في كل مكان. ستجد الكلاب أثرًا من شأنه أن يقودها إلى آخر، وسينتهي بها الأمر بالدوران في دوائر. يطاردون ذيولهم حرفيًا. لذا نعم كان البحث مكثفًا، لكن ما لم تكن موجودًا هناك فلن يكون من الواضح حقًّا مدى ضخامة تلك الغابة. كم من السهل أن تضيع هناك.

قد يكون كل هذا صحيحًا، لكنها لا تزال بإمكانها الشعور بشكه. لم يكن متأكدًا كما أراد أن يبدو. حتى في مواجهة الأدلة وثقل الاحتمالات، كان هناك جزء منه لم يكن متأكدًا تمامًا. ويمكنها معرفة أن الفكرة أخافته.

قالت: «هل تعلم أن بيلي روبرتس كان يعيش في جريتن؟».

أغمض عينيه: «لا، اللعنة لم تكن لديَّ أي فكرة».

- كان يعيش في منزل والديه القديم.

- لم أكن أعرف حتى أنه أُطلِق سراحه.

فكرتْ أماندا أن هذه كانت حقيقة أخرى، ولكنَّ هذه فاجأتها: «حقًّا؟ بالنظر إلى ما حدث كنتُ أعتقد أنك كنت ستتابع القضية على مر السنين».

- العكس تمامًا، لقد بذلتُ قصارى جهدي لعدم التفكير في الأمر على الإطلاق. بعد أن غادرتُ من هنا أردتُ فقط أن أنسى الأمر وأتظاهر أنه لم يحدث قطُّ.

فكَّرتْ أماندا: **يا إلهي، لدى كل شخص صندوق سخيف في رأسه لإخفاء الأشياء فيه** عداها طبعًا. لم تكن بحاجة إلى إغلاق عينيها الآن لتتذكر مشهد بيلي روبرتس على أريكته الملطخة بالدماء. ظلَّت الصورة تضغط

حافة ذهنها، وكان هذا كل ما يمكنها فعله لإبقائها بعيدًا. ستحظى بكوابيس لاحقًا.

قال بول: «**كان** يعيش؟».

- معذرةً.

- قلتِ إن بيلي **كان** يعيش.

كانت هذه ملاحظة حادة منه. التقطتْ أماندا شرابها وأخذت رشفة أخرى، متسائلة كم ستخبره من المعلومات، لكن لم يكن الأمر كما لو أن الأخبار لن تنتشر بسرعة.

قالت: «عُثِرَ عليه ميتًا اليوم».

عثرتُ عليه ميتًا.

- كيف؟

- لا أريد الخوض في هذا الأمر الآن. وأريد فقط تأكيد هذا: أنا لستُ مشاركة رسميًا في هذا التحقيق. شرطة جريتن لديها فعلًا العديد من المشتبه فيهم الذين يريدون التحدث إليهم. كنت أزوره في مسألة ليست ذات صلة على الإطلاق.

افترض بول ذلك.

- هل تعتقدين أنه قد يكون الشخص المسؤول عن الرسائل خلال الإنترنت؟

لا تزال ملاحظاته حادة.

- لا أعلم، إنه سطر واحد من التحقيق. هل تعتقد أن هذا نوع من الأمور التي سيفعلها؟

- بيلي؟ أنا لا أعرف أي شيء عنه.

زمن المضارع. رغم إخبار بول للتو أن روبرتس مات، فإنه لم يتشرَّب المعلومات بما يكفي حتى الآن ليصحِّح كلامه. كانت واثقة فعلًا من أن بول

لم يكن وراء حساب CC666. وكانت متأكدة الآن أنه لم يتورَّط في قتل بيلي روبرتس.

إذن من فعل؟

كانتْ قد أخبرتْ بول للتو **بمسألة ليست ذات صلة** وهي على الأرجح لم تكن صحيحة. بينما لم تكن متورطة في التحقيق في جريمة القتل نفسها فإنها كانت في مسرح الجريمة، وأُعطِيت بيانًا مفصلًا، وتحدثتْ إلى المحقق جراهام دواير بعد ذلك. كان لدى دواير فعلًا قائمة بالأشخاص الذين أراد إحضارهم والتحدث معهم. كان بيلي روبرتس جزءًا من دائرة محلية من شاربي الخمر الذين يتمتعون بعلاقة متقلبة في كثير من الأحيان كانوا رجالًا مشردين يعانون الحدية، ورجال سقطوا وقاتلوا بشراسة في نطاق نصف زجاجة، ينفجر منهم كل الغضب والاستياء المكبوت. قبل الطب الشرعي ستكون هذه الروابط هي التركيز الطبيعي للتحقيق، واعتقدتْ أماندا أن الاحتمالات كانت جيدة وقد يتبين أن دواير على حق.

لكنها لم تستطع التخلص من الشعور الذي شعرت به خارج باب روبرتس في وقت سابق- الإحساس بأن شخصًا ما كان يقف على الجانب الآخر من ذلك الخشب الواهي محدقًا إليها. إذا كانت هذه هي القضية، فقد اقترحت أن القاتل أكثر سيطرة على نفسه مما دعمته نظرية العمل. ولم تحب أماندا تصديق أن من فعل الأشياء الفظيعة التي رأتها داخل ذلك المنزل كان رائعًا ورصينًا في أثناء تنفيذه ذلك.

لأن أي نوع من الوحوش سيفعل شيئًا كهذا؟

كان بول يحدق إلى الفضاء، ويبدو عاجزًا ويكاد يكون مثقلًا بحمل المعلومات التي قدمتها له.

قالت: «أنا آسفة لاستخراجي الذكريات السيئة».

هز رأسه.

- صدقيني لقد استُخرِجَتْ جميعًا فعلًا.

- والدتكَ... ليست على ما يرام؟

- إنها تحتضر.

- حسنًا، كنت أحاول أن أكون حذرة بشأن الأمور.

- ليست هناك حاجة حقًّا.

أومأتْ برأسها متذكرةً كيف كان الأمر عندما كان والدها يحتضر، الزيارات التي لا نهاية لها، ورائحة المستشفى، والطريقة التي بدا بها أنه يتضاءل مع كل يوم يمر، ويتقلَّص إلى هيئة لا تتناسب مع حجم الرجل الذي ملأ ذكرياتها، بدا الأمر مستحيلًا، لكنَّ كل شيء على ما يرام حتى لا يكون كذلك. يوجد الناس بأحجامهم الطبيعية ومأخوذين كأمر مُسلَّم به وبعد ذلك لن يكونوا كذلك.

قالت: «حسنًا أنا آسفة، يجب أن يكون الأمر صعبًا جدًّا عليك الآن».

- أعتقد أن الأمر ربما يكون أصعب عليها.

التقط بول البيرة وشرب نصفها في مرة واحدة.

انتظرت أماندا.

قال: «لم أرها منذ مدة طويلة، لم أعد إلى هنا. أنتِ تعرفين شعور التخلص من شيء ونسيانه، ويبدو الأمر كما لو أنه ذهب؟ لكنْ بعد ذلك تدركين أنه كان موجودًا طوال الوقت».

قالت: «مثل صندوق لن يبقى مغلقًا؟».

- بالضبط.

- صدِّقني أعرف ذلك كل يوم. أنت تقيم في منزل والدتك، أليس كذلك؟

أومأ برأسه.

قالت: «أنا مدهوشة من أنكَ لم تختر فندقًا».

- لا يتقاضى المحاضرون رواتبهم بهذا القدر.

- هذا ليس مُسوِّغًا.

لم يرد، ووجدت نفسها تحاول تخيُّل كيف يجب أن يكون الشعور، العودة إلى منزل الطفولة مع الكثير من الماضي الفاسد في جدرانه وألواح أرضيته. خاصة على عكس بيلي روبرتس ربما بول لم يكن بحاجة إلى ذلك. لكنْ أدركت أماندا بالنظر إليه الآن أن الكثير من الوزن الذي يحمله كان الذنب، وتساءلتْ إذا قد قرر جزءٌ منه أن ربما في قرارة نفسه كان بحاجة إلى التفكير في ما حدث رغم عدم رغبته في فعل ذلك.

قال في النهاية متحدثًا ببطء كما لو كان يحاول اختلاق الأمر ذاته لنفسه: «لا أعرف، بقدر ما كان الأمر صعبًا، أعتقد أنني مدين لأمي. لقد اعتنتْ بي عندما كنتُ طفلًا وحَمَتْني وربَّتني. ربما هذا أقل ما يمكنني فعله على الرغم أن الوقت -بوضوح- قد فات الآن».

- ليس بالضرورة.

رن هاتفها. تحققتْ منه ووجدتْ رسالة من ليونز يطلب تحديثًا لما كان يجري. صِيغَت بأدب لدرجة أنها تمكنت من معرفة أنه غاضب من البقاء في الظلام. حسنًا يمكنه الانتظار. تصفحت مرة أخرى على أمل أن يكون هناك تحديث من ثيو، لكن لم يكن هناك شيء. من الواضح أن المستخدم الغامض وراء حساب CC666 لم يتناول الطُّعم بعد. وطبعًا إذا اتضح أنه كان بيلي روبرتس فالآن لن يفعلوا ذلك أبدًا.

لمحة من المشهد في وقت سابق.

دفعتْه بعيدًا وشربت كأسها.

قالت: «حسنًا، أنا بحاجة إلى الذهاب».

- حسنًا، شكرًا على الشراب.

- على الرحب. الآن أعلم أن المحاضرين لا يكسبون الكثير، أشعر بالارتياح لأنني دخلتُ في خرق القوانين. ربما سأظل على تواصل معكَ. قد يكون من المفيد التحدث عما حدث هنا، حتى لو كان ذلك فقط لإعطائي فكرة عما أبحث عنه.

- لا أعرف مقدار المساعدة التي يمكنني تقديمها.

وقفتْ: «أنا أيضًا، لكننا سنرى. في هذه الأثناء هل في المنطقة أي شخص آخر يستحق أن أتحدث إليه؟».

في أثناء ذلك نظر بول خلفها نحو باب الحانة.

حتى ذلك الحين كان يظهر أنه مكشوف لدرجة أنها لم تشكْ في شيء واحد قاله. لكنْ كان في طريقته الآن شيء مختلف. لم يبدُ كشخص يمسح ذاكرته بحثًا عن اسم، بل بدا كشخص يدور في ذهنه فعلًا اسم وكان يقرر أكان سيقوله أم لا.

قال في النهاية: «لا، لا أحد»

21

عندما قدتُ عائدًا إلى جريتن وود لاحقًا لم أذهب مباشرة إلى منزل والدتي.

حِدتُ عن الطريق المزدوج وكان بإمكاني رؤية جدار الظلال من بعيد، كان هيئة سوداء وصلبة في قاعدة السماء. سيحلُّ الليل سريعًا، وشعرتُ بالتوتر بشأن النوم في غرفتي القديمة بعد كل ما حدث اليوم. ومع كل ما علمتُه اليوم يدور في رأسي. وصوت دق المنزل وصريره من حولي، والأشجار في نهاية الحديقة مليئة بالظلام والأشباح.

طبعًا كانت توجد أشباح في كل مكان هنا.

أوقفتُ سيارتي خارج عقار مختلف وحدقت من نافذة السيارة. كانت الحديقة متضخمة بشكل كبير حيث كان العليق يتقوس فوق العشب مثل لفائف من الأسلاك الشائكة. ارتفعتِ الشجيرات الأقرب إلى المنزل عاليًا بما يكفي لتصل إلى الزجاج الأسود المتسخ لنوافذ الطابق الأرضي. كان المكان يبدو كالقوقعة. وكان لديَّ شعور بأن الغابة الخلفية قد نشرت أصابعها في الحديقة الخلفية وتمسكه بقبضتها ببطء، وتستعيد المبنى إلى البرية.

منزل جيمس القديم.

كانت لديَّ ذكرى مظلمة لأمي تخبرني أن كارل وإيلين قد انتقلا منذ سنوات. ربما حاولا بيع هذا المكان سلفًا، لكنْ من كان سيشتري منزلًا في جريتن وود؟ كانت القرية تحتضر ببطء، وتنطفئ المنازل مثل الأضواء واحد

تلو الآخر، ولم تُستبدَل المصابيح القديمة. من الواضح أن المبنى الواقع أمامي الآن قد هُجِرَ لسنوات، وخرج القلب منه قبل مدة طويلة.

فكرتُ: **بيلي ميت.**

كانت الكلمات تعني شيئًا واضحًا، لكن لا يزال يبدو أنها لم ترتبط بالعالم بطريقة يمكنني فهمها. بدا الأمر كأنه يجب أن يكون مهمًّا بالنسبة إليَّ- أن أشعر بشيء ما. ربما يجب أن أكون سعيدًا. مسرورًا أن هذا الوغد حصل أخيرًا على ما يستحق بعد ما فعله. سيكون هذا رد الفعل الطبيعي، أليس كذلك؟ لكنْ في كل مرة كنت أبحث داخل نفسي عن رد الفعل على الأخبار لم أتمكن من العثور على واحد.

الحقيقة هي أنه بكل الطرق المهمة بيلي كان ميتًا بالنسبة إليَّ منذ خمسة وعشرين عامًا. لقد كان مجرد صورة قديمة توقفت منذ مدة طويلة عن النظر إليها. في ذلك الوقت كنت سأسعد بقتله بنفسي لِمَا فعله، لكنْ خفَّف الوقتُ منذ ذلك الحين حدة الشعور. بالنظر إلى الوراء استطعتُ أن أرى أن بيلي كان دائمًا يُتلاعب به بسهولة. لقد مرَّ بطفولة صعبة، ولم يكنْ بإمكاني إلا تخيل أن حياته البالغة كانت صعبة أيضًا. العاطفة الوحيدة التي أثارها موته بداخلي الآن كانت نوعًا غريبًا من الحزن، إحساس بعدد الأرواح التي دمرها ما حدث هنا، وما كان كل هذا إلا مضيعة.

والآن قُتِلَ صبي آخر.

تشارلي ميت.

كان هذا ما قلتُه لأماندا، لكنْ خرجتِ الكلمات غريزيًّا. كان هذا ما قلتُه لنفسي على مر السنين لأنني اضطررتُ إلى ذلك. نظرتُ خلف المنزل الآن نحو الغابة. ظل التفسير الأكثر ترجيحًا لاختفاء تشارلي هو أنه كان هناك في الظلال في مكان ما- أن بعد ما فعله هو وبيلي استيقظ وتجول، وأن عظامه كانت تتشكل في مكان عميق بين الأشجار، تفككتْ بواسطة تشابك العشب وفُقِدَتْ بين الشجيرات.

ومع ذلك كانت بشرتي تقشعر.

عندما حلَّ المساء من حولي فكرتُ في طرقات الباب في الليل، والهياكل في الغابة، وما قالتْه والدتي بشأن رؤيتها تشارلي يتحرك بين الأشجار.

عن وجود شخص على الإنترنت يتظاهر بأنه هو.

هل تعتقد أنه من الممكن أنهم كانوا يقولون الحقيقة؟

تمنيتُ في ذلك الوقت لو كنتُ متيقنًا كما حاولتُ أن أبدو في الحانة، لكنَّ الحقيقة هي أنني ما زلتُ أشعر به في كل مكان. عندما بدأتُ تشغيل المحرك مرة أخرى وقدتُ مبتعدًا شعرت بالخوف من التفكير في ذلك. إذا كان تشارلي لا يزال حيًّا إذن ماذا يحدث هنا؟

بيلي ميت.

تذكرتُ الكلمات مرة أخرى في أثناء قيادتي. وعلى الرغم مما قالت أماندا عن أنها ليست ذات صلة وجرى تعرُّف المشتبه فيه فعلًا فقد ازدادت الرهبة بداخلي، لأن بصمات اليد الحمراء وُضِعَتْ مرة أخرى للعالم، ولم أستطع الهروب من الشعور بأن شيئًا فظيعًا سيحدث مجددًا. والأهم من ذلك كله كانت هناك كلمات أمي.

يجب ألا تكون هنا.

***

عندما أوقفتُ سيارتي خارج المنزل استغرقتُ بضع ثوانٍ لتهدئة نفسي. كنتُ أخاف من الدخول، وهذا لن يفيد. جعلتني العودة إلى جريتن أكافح، وكان هذا كل شيء. وبينما لم تزل هناك لحظات صعبة قادمة فإن الشيء المهم هو أن كل هذا سينتهي قبل أن يمر المزيد من الوقت. عندما ينتهي عملي هنا سيمكنني العودة إلى حياتي ونسيان كل شيء مرة أخرى. إنما في الوقت الحالي كان من المتفهَّم رؤيتي الأرواحَ في الظلال. لكن هذا لا يعني أنها كانت هناك حقًّا.

الماضي هو الماضي.

ولا يمكنه أن يؤذيني الآن.

كان المنزل مظلمًا وقاتمًا عندما فتحتُ الباب الأمامي مديرًا المقبض. تشابك الباب بشيء لثانية ثم فُتِحَ ببطء أكثر مما ينبغي. كان تحت الخشب شيء عالق. فتحتُ الباب بما يكفي لإدخال جسدي بالداخل ثم أغلقتُه خلفي. أيًّا ما كان محاصرًا تحت الباب قد ظهر.

ضغطتُ على مفتاح الضوء بجانبي.

ثم تجمدتُ.

ما هذا؟

إلا أنني كنتُ أعرف فعلًا. أجبرتُ نفسي على الانحناء بجانب السجادة، وقاومتُ شعورَ الاشمئزاز الذي شعرتُ به عندما لمستُ الشيء الذي أُدخِل من خلال صندوق بريد أمي. كان النسيج متربًا وقديمًا وانفصل في بعض الأماكن كاشفًا عن بقع صمغية من الغراء تحتها. وعندما أدرتُ الدمية ونظرتُ إلى وجهها الأسود دغدغت أصابع الخيوط الحمراء خاصتها ظهر يدي.

ماذا كان هذا؟

جلبتِ الإجابة التي حصلتُ عليها قشعريرة عندما تخيلتُ الامتداد الشاسع المظلم للغابة خلفي في ذلك الوقت.

الحضانة.

22

الماضي

في صباح اليوم التالي للكابوس الذي راودني بالأيدي الحمراء أتذكر الشعور بالخوف وأنا أسير في القرية إلى منزل جيمس. كنت أعرف أن الحلم الذي راودني -تجربة الوجود خارج الغرفة في الطابق السفلي من المدرسة وما حدث هناك مع الأيدي الحمراء- مجرد حلم، وهو حلم ربما بدا جليًّا في ذلك الوقت، لكن لا يمكنه أن يكون حقًّا. لم أكن أتمكن من التنفس لمجرد أنه كان كابوسًا، ولم أكن قطُّ أتحكم في ما كان يحدث على الإطلاق. لكن بصرف النظر عن مدى صعوبة محاولتي ترشيده لنفسي فقد بقيت بقاياه الفظيعة معي. معرفة أن تشارلي قد تمكن بطريقة ما من التوغُّل في رأسي كانت مخيفة.

بدا جيمس متعبًا ومتخوفًا. بينما كنا نسير إلى محطة الحافلات معًا كان من الواضح أن أيًّا ما حلم به الليلة السابقة في ذهنه أيضًا. لم يذكر أحد منا الأمر حتى غادرت الحافلة الطريق المزدوج.

قال جيمس: «إذن... كيف سار الأمر؟».

- أي أمر؟

- الليلة الماضية والتجربة. بماذا حلمت؟

أجبرتُ نفسي على هزِّ كتفي بلا مبالاة كأنه لا شيء. في الوقت نفسه كتبتُ بإخلاص سردًا مبدئيًّا عن الحلم في مذكراتي في ذلك الصباح، وإذا كان سينتهي بي الأمر بقراءته في وقت الغداء فلا يبدو أن هناك فائدة من الكذب الآن بشأن ما حدث.

اعترفتُ: «لقد حلمت بالغرفة».

- لقد فعلتُ أيضًا. ماذا حدث في حلمك؟

- **لم يحدث شيء.**

- لكنكَ قلت للتو إن الأمر يتعلق بالغرفة؟

- نعم.

كنت سأكون سعيدًا بترك الأمر عند هذا الحد، لكنه كان ينتظر مني أن أكمل غير راغب في ترك الأمر. بدا خائفًا من أيٍّ ما كان يدور حوله حلمه. لذلك تنهدتُ وأخبرتُه قليلًا عن وجوده خارج الغرفة ورؤيته يطفو خلف الزجاج. لكنني قللتُ من مدى رعب الأمر برمَّته، وبالتأكيد لم أذكر ما حدث في النهاية.

قلت: «ولمْ يكن هناك أي شخص آخر، بصراحة أنا لستُ متأكدًا حتى من أنه كان أنت، إنه مجرد حلم غبي».

نظر جيمس بعيدًا خارج النافذة.

قلت: «ماذا عنك».

- لا أريد التحدث عنه.

- لماذا؟

هز رأسه: «لأنه كان مُروِّعًا. أنا قلق بشأن ما فعلناه يا بول، أعتقد أننا ربما فعلنا شيئًا سيئًا حقًّا».

إنه أشبه بشيء سخيف.

ومع ذلك لم أقلْ هذا. كان في نبرة صوته شيء أزعجني. في اليوم السابق لم أكن أعتقد لثانية واحدة أن تشارلي سوف يجرؤ على تكرار خدعته في

طرق الأبواب ومحاولة فعل أي شيء لجودبولد. لكن هذا الصباح لم أعدْ متأكدًا تمامًا.

قلت: «كل شيء سيكون على ما يرام. سنصل إلى المدرسة وسيكون الأمر كالمعتاد. سيكون جودبولد هناك، ثق بي، وسيكون الوغد نفسه الذي هو عليه دائمًا».

لم يردْ جيمس.

اهتزت الحافلة بقوة.

قلت: «سترى».

***

لكنْ لم يكن جودبولد في المدرسة ذلك الصباح.

بعد أن توجهنا إلى غرف تغيير الملابس للاستعداد لكرة القدم، وصل مدرس رياضي مختلف ليأخذنا إلى الميدان، السيد ديوهورست. في الظروف العادية كان من الممكن أن تكون هذه علامة جيدة. كان ديوهورست يدير الأمر بحزم أكثر من جودبولد، ونتيجة لذلك سيكون على أرض الملعب عنف أقل. لكن ربما كان هذا هو اليوم الأول منذ أن بدأتُ في جريتن الذي كنت سأكون سعيدًا به برؤية جودبولد بدلًا منه، وعندما خرجنا إلى الشوارع ورأيتُ تشارلي يبتسم لنفسه، اشتدَّ القلق الذي شعرتُ به منذ استيقاظي هذا الصباح.

حدث شيء ما.

أنا قلق بشأن ما فعلناه يا بول.

بحلول وقت الغداء كانت أعصابي تطنُّ بداخلي. مشيتُ أنا وجيمس إلى الغرفة C5b، وتردد صدى صوت إقبالنا في الدرج الفارغ، وكان من الواضح أن كل ما كان يُثقِل كاهل جيمس أول شيء هذا الصباح أصبح أثقل خلال الساعات القليلة الماضية. بينما كان يدفع الباب لفتحه شعرت برغبة في طمأنته مرة أخرى. أُخبره ألا يقلق وأن كل شيء سيكون على ما يرام.

إلا أنني لم أتمكن من العثور على الكلمات.

كان تشارلي وبيلي في مقاعدهما المعتادة، لكنْ بدت بقية الغرفة أكثر قتامة اليوم، واستغرق الأمر مني ثانية لإدراك السبب. كانت الأضواء الأقرب إلى الباب مُطفَأة، وهذا ما ترك الاثنين مضاءين في الخلف، يجذبانك نحوهما من خارج الظلال. هل كان هذا حسب التصميم؟ اعتقدتُ أنه ربما كان كذلك. أخرج تشارلي كل شيء بعناية شديدة.

بينما كنا نشقُّ أنا وجيمس طريقنا بين المقاعد قررتُ أنني لستُ مستعدًّا لأن يُتلاعَب بي من قِبله بعد الآن. لم نكن وحدنا في الغابة الآن على بعد أميال من أي شخص، لذا لم يوجد خطر هنا. لذلك سمحتُ لقليل من الغضب الذي قمعتُه بالأمس بالظهور الآن. فأينما كانت هذه التجربة متجهة قررت أنها يجب أن تتوقف.

قلت: «إذن، ما الذي يحدث بحق الجحيم؟».

- اجلسا.

لقد تجاهلتُ تشارلي- لكنْ طبعًا فعل جيمس ما قيل له. كانت يداه ترتجفان وهو يخرج مذكرات أحلامه من حقيبته.

قال تشارلي: «بماذا حلمنا جميعًا؟».

- سألتكَ ما الذي يحدث؟

ابتسم بصبر.

- جيمس؟

نظر إلى جيمس بتوتر.

- أريد أن يبدأ بول أولًا.

هز تشارلي رأسه: «لا».

- لا أريد أن أقول ما حلمت به.

- سأفعل ذلك إذن.

مدَّ تشارلي يده يريد مذكرات أحلام جيمس، قام فعلًا بثقة تامة بأنه سيطاع أمره.

قلتُ لجيمس: «ليس عليك ذلك».

لكنْ ظلت يد تشارلي ممدودة، وشاهدتُ جيمس يفعل بالضبط كما أُمِرَ. لم يكن يريد أن يُقرأ مُدخله، ولكن كان هذا هو مدى السيطرة التي يملكها تشارلي عليه لدرجة أنه غير قادر على الرفض.

فتح تشارلي مذكرات جيمس.

قرأ: «حلمتُ أنني في الغرفة C5b وكان تشارلي وبيلي هناك أيضًا، لكنْ لم يكن بول موجودًا. كان الهواء غريبًا وسائلًا، لذلك كان مثل السباحة في الماء. عندما ذهبتُ إلى الباب نظرتُ من النافذة إلى الجانب وكان بول واقفًا هناك».

نظر إلى جيمس ثم نقل نظره بعيدًا بسرعة.

تابع تشارلي: «لم أستطع رؤيته بشكل صحيح، كان وجهه مُشوَّهًا وكان الأمر كما لو أنه لم يكن في الحلم حقًّا. بدا خائفًا. حاولتُ التحدث إليه، لكن لا أعتقد أنه يستطيع سماع ما كنت أقول. وبعد ذلك لم يعد موجودًا».

كان جيمس يحدق إلى الأرض الآن غير قادر تمامًا على مقابلة عيني، لم أصدقْ ما كنتُ أسمعه فقد كان حلمه مطابقًا لحلمي بالضبط، وحتى مع أخذ الحضانة في الاعتبار فلم تكن هناك طريقة يمكن أن ينتهي بها الأمر بهذا التشابه. كان هناك تفسير واحد فقط يمكنني التفكير فيه لمَّا كنتُ أسمعه.

لقد كتب مذكراته بعد التحدث معي في الحافلة.

أريد أن يبدأ بول أولًا.

لأنني كنتُ سأقرأ مُدخلي عن حلمي وبعد ذلك كان سيقرأ مُدخله، وكانا سيتماثلان، وفي تلك اللحظة كان سيثير إعجاب تشارلي ويُثبِتُ أنه على حق- رغم أنه كان يعلم في أعماقه أن الأمر كان خيالًا وكذبة.

فكرت: **يا إلهي.**

بعد كل ما مررنا به على مر السنين- كل شيء.

في تلك الأوقات التي دافعت عنه فيها وحميته- هو تجاوز الحد الآن إلى درجة أنه كان مستعدًّا لاستخدامي للمساعدة في تأكيد أوهام تشارلي.

قلت: «هراء».

توقف تشارلي عن القراءة.

- ماذا؟

- قلت إن هذا هراء.

ظلَّ تشارلي ينقل نظره بيني والكتاب ممثلًا الحيرة: «لماذا؟ هذا ما كتبه جيمس، ماذا تقول؟».

للحظة، كنت غاضبًا جدًّا -متألمًا جدًّا- حتى أجيب. نقلتُ نظري من أحدهما إلى الآخر. ينتظر تشارلي ردي. بيلي غير مبالٍ به. ولا يزال جيمس ينظر إلى الأسفل من الواضح أنه خجل من نفسه لدرجة أنني لم أستطع إخراج الكلمات.

أنا أقول إن أعز أصدقائي كاذب.

قال تشارلي: «بول؟».

- أنهِ قراءة ما حلم به جيمس.

لكنْ بدلًا من ذلك وضع تشارلي مذكرات جيمس على المكتب.

قال: «لطالما شكَّكتَ في هذا، أليس كذلك؟ لماذا لا تخبرنا بما **حلمت** به؟ أستطيع أن أنهي خاصة جيمس بعد ذلك».

نظرتُ إلى حقيبتي على الأرض عند قدمي ومذكراتُ أحلامي في داخلها. لكنني لم أستطع القراءة منها الآن، أليس كذلك؟ ليس دون تأكيد ما كتبه جيمس أو تحديه بصراحة حول هذا الموضوع، وبدا الخياران لا يُطاقان بالنسبة إليَّ في ذلك الوقت.

قلت: «فقط أنهِ قراءة ما كتبه جيمس».

قال تشارلي: «بعد دقيقة، لكنْ في الواقع أعتقد أنني سأقرأ من مذكراتي أولًا- أو بالأحرى سيفعل بيلي. بهذه الطريقة يمكننا تجنب أي شكوك. ابدأ أولًا يا بيلي».

تبادلا مذكرات الأحلام وبدأ بيلي القراءة.

قال: «كنتُ أنا وبيلي وجيمس هنا في الغرفة، في البداية لم أكن متأكدًا أكان الاثنان يحلمان بجلية بالطريقة نفسها التي كنت أفعلها، لكنني اعتقدتُ أنهما كانا كذلك. لم يكن بول هناك ولكنني استطعت أن أشعر أنه كان قريبًا في مكان ما، لكنه لم يرغبْ في الانضمام إلينا لسبب ما. شعرتُ بخيبة أمل لأنني كنت أعلم أن الأمر قد يحتاج إلينا نحن الأربعة جميعًا في البداية لإنجاز ما نريد فعله. سيكون الأمر أكثر صعوبة مع ثلاثة فقط، خاصة إذا كان هناك شخص قريب لا يُصدِّق. لم يرغب بول في الانضمام إلينا...».

رفع تشارلي يده.

- توقف يا بيلي سأقرأ بداية مذكراتك الآن.

هززتُ رأسي.

- هذا جنون.

قرأ تشارلي: «كنتُ أنا وتشارلي في الغرفة، وجيمس كان هناك أيضًا، لكنه كان يومض، كما لو أنه لم ينجح في الحضور هناك كما فعلتُ أنا وتشارلي- كأنه لم يكن متصلًا. كان بإمكاني رؤية تشارلي بوضوح بالرغم من ذلك. لم يكن بول في أي مكان حولي. لم يكن هناك على الإطلاق».

توقف تشارلي ونظر إليَّ.

- بماذا **حلمت** يا بول؟

لم أجبْ، وبدأ الصمت يعمُّ في الهواء. بعد لحظة نظر جيمس إليَّ مع تعبير مناشد على وجهه أدى فقط إلى تكثيف الشعور بالغثيان بداخلي. بطريقته الحزينة كان يفعل هذا في محاولة لإعادتي إلى القطيع. لإعطائي فرصة للاستثمار في خيال تشارلي بالطريقة نفسها التي فعلها.

حدقت إليه مرة أخرى ووجهي متجهم.

قلت بشكل قاطع: «لم أحلمْ بأي شيء من هذا القبيل، لم أكن هناك ولم أرَ أيًّا منكم».

صححني تشارلي: «هذا ما تتذكره، كتب جيمس **أنه** رآك».

- أعتقد أنني انتهيتُ من هذا الأمر برمَّته.

انحنى تشارلي إلى الخلف: «نعم، أعتقد أن هذا قد يكون للأفضل. يعيق انضمامكَ ثلاثتنا. لهذا السبب لم نتمكن من الاتصال بشكل صحيح- لأنكَ لم تكنْ ملتزمًا جيدًا».

قلت: «جيمس؟».

ثم وقفتُ هناك في انتظار معرفة أكان جيمس سيقول أي شيء. أكان سيعود إلى رشده ويعترف، وربما يضع حدًّا لهذه التمثيلية بأكملها. كان واضحًا من كلمات تشارلي أنه كان يحاول إبعادي عن المجموعة في ذلك الوقت، وكانت هذه فرصة من يُعَدُّ صديقي المفضل للتحدث وإيقاف كل هذا.

ليغادر هنا معي.

لكنه لم يقلْ شيئًا.

عدتُ إلى حواسي وأخذتُ حقيبتي: «أنت مُحق، أعتقد أنني سأراكم لاحقًا يا رفاق».

مشيتُ إلى الباب، وعندما وصلتُ إليه توقفتُ مؤقتًا ناظرًا إلى الوراء. لأنه رغم أنني كنت أعرف أنه لا يمكن أن يحدث شيء، فإن حقيقة أن جودبولد لم يكن في المدرسة اليوم باقية.

تحدثتُ: «كيف انتهى كل شيء؟».

قال تشارلي: «انتهى الحلم بسببك، أتذكَّر جيمس وبيلي يبتعدان عني، وبدأ الحلم يتلاشى. وصلنا أنا والأيدي الحمراء إلى منزل جودبولد بأنفسنا، لكنني عرفتُ أن كلنا لن نكون أقوياء بما يكفي للدخول بأنفسنا. كل ذلك بسببك».

هززتُ رأسي وضحكتُ قليلًا.

- إذن لم يحدث **شيء**.

ابتسم تشارلي.

قال: «تمكنَّا من قتل كلبه».

23

عاد جودبولد إلى المدرسة في اليوم التالي.

لأسباب واضحة وجدتُ نفسي أراقبه من زاوية عيني. وسطحيًّا لم يتغير شيء عنه إذ إنه لا يزال مثقلًا كما هي الحال دائمًا، يلفُّ كتفيه، وتلك الصفارة المتصلة بحبل حول رقبته. لكنْ إذا كنتُ سأبحث عن اختلاف محدد فقد بدا لي أنه كان يمشي ببطء أكثر من المعتاد، بالطريقة التي قد يمشي بها شخص يتعافى بها من عملية. وبين الحين والآخر أمسكتُ به ينظر حوله بريبة، كما لو كان يبحث عن شخص ما.

لم تكن هناك طريقة يمكنني من خلالها معرفة على وجه اليقين أكان تشارلي قد قتل كلبه حقًّا. لم يكن هذا النوع من الحوادث التي كان سيُبلَغ عنها في الأخبار أو ستشق طريقها لتصبح حديث الساعة في المدرسة. لكنْ بدا جودبولد لي متألمًا عندما رأيتُ وجهه في لحظات بلا حراسة بدا الأمر كما لو لحق به بعض الضرر القاسي ولم يستطع فهم السبب.

ولذا بينما لم تكن هناك طريقة يمكن أن أعرف على وجه اليقين فإنني فعلت.

لأنني رأيتُ تشارلي والآخرين يشاهدون جودبولد أيضًا. في اليوم الأول الذي عاد فيه أتذكر أنني رأيتُ ثلاثتهم يجلسون على مقعد معًا بجوار مباني الصف الثالث الثانوي في وقت الاستراحة. بينما كنتُ قد بذلتُ قصارى جهدي

لتجنبهم منذ أمس فقد كنت قريبًا بما يكفي لرؤية جودبولد يمشي في الملعب ثم ما حدث عندما وصل إلى مقعدهم.

حدَّق جيمس إلى الأرض ونظر بيلي إلى أحد الجوانب. لكنَّ تشارلي حدَّق مباشرة إلى جودبولد طوال الوقت، يراقبه وهو يقترب.

رأيتُ جودبولد يلقي عليهم نظرة لا مبالية.

ثم أعاد نظره مرة أخرى باهتمام أكبر.

ثم توقف.

لأن تشارلي كان يبتسم له. لقد كانت ابتسامة حذقة- ابتسامة يمكن إنكارها بسهولة، ولكنها تنقل رسالة كافية لجودبولد لفهم ما يكمن وراءها. لإعلامه بأن تشارلي هو من فعل هذا الشيء الفظيع به، وأنه لم يكن هناك شيء يمكنه فعله حيال ذلك.

بدتِ اللحظة كأنها دامت زمنًا. شعرتُ كأنَّ قلبي توقف في صدري وأنا أتساءل عما سيحدث. أيقترب جودبولد من تشارلي ويتحداه. أم ربما يفقد السيطرة ويهاجمه.

ومع ذلك لم يفعل جودبولد أيًّا من هذه الأشياء.

وقف هناك فقط، لكن تغير التعبير على وجهه. كان الأمر كما لو أنه لم يستطع فهم ما كان يراه تمامًا- كما لو أنه في ذلك الوقت قد فهم **الفعل**، ولكنه لم يستطع فهم **السبب**. وفي تلك الثواني القليلة رأيتُ الرجل من منظور مختلف. تذكرتُ المناسبات التي رأيتُه فيها يمشي مع كلبه في جريتن، ووجدتُ نفسي أتخيل الحياة المنزلية الوحيدة والإحباطات وخيبات الأمل من وجوده اليومي. تخيلتُه يستيقظ في صباح اليوم السابق وينزل إلى الطابق السفلي خارجًا إلى فناء منزله ويرى ما أُخِذَ منه. ورغم كل الإهانات التي فرضها علينا على مدار الأشهر الماضية فإنني شعرت بالأسف تجاهه.

ثم استدار بعيدًا عن تشارلي وذهب.

***

واستمرتِ الحياة لنا جميعًا.

خلال الأسابيع التي تلت ذلك كان من السهل تجنُّب جيمس. كانت القرية صغيرة لكنْ كانت هناك طرق من خلالها تجنبتُ منزله في الصباح. وجدتُ أنه من السهل تجاهله في أثناء الانتظار في محطة الحافلات، وفي الرحلة نفسها جلس في الطابق السفلي وكذلك كان دائمًا أمامي بحلول الوقت الذي نزلتُ فيه. في الطريق إلى المنزل كنتُ أراه كثيرًا يمشي خلال الجسر فوق الطريق المزدوج، رأسه منحنٍ ويداه محشورتان في جيبيه متراجعًا وماشيًا بسرعة كبيرة كما لو كان يحاول الهروب من شيء ما.

في المدرسة أتخيل أن الثلاثة قضوا معظم وقتهم في الغرفة C5b، ولم يكن لديَّ سبب للذهاب إلى هناك بعد الآن. وبالمثل في الغابة. في عطلات نهاية الأسبوع كنتُ حافظتُ على ابتعادي عن الظلال، حيث لم تكن لديَّ أي رغبة في مقابلة ثلاثتهم في البراري، يضعون خططهم الغبية، ويتأثرون بتخيلات بعضهم بعضًا، ويتواصلون مع الوحش من أحلامهم.

لم أستطع الابتعاد عنهم تمامًا طبعًا. رأيتهم في الدروس وأحيانًا في الملعب. بينما بذلتُ قصارى جهدي لتجاهلهم كان الأمر دائمًا غير مريح، لأنه كان لديَّ انطباع بأنهم لم يتجاهلوني- أو على الأقل لم يفعل تشارلي ذلك. فبين الحين والآخر أشعر بتخدر بشرتي وأنظر إلى أعلى لأرى ثلاثتهم في مكان قريب، تشارلي بابتسامة متكلِّفة على وجهه، بتعبير ماكر ومنتصر.

بدا كأنه يقول: **ربما تكون قد أخرجتَ نفسكَ من اللعبة، لكنَّ اللعبة لم تنتهِ منكَ بعد.**

وفي كل مرة كنت أنظر بعيدًا وأتساءل لماذا كنتُ صديقًا له على الإطلاق. كان ذلك بسبب جيمس طبعًا. لكنني لم أرَ جيمس ينظر إليَّ قطُّ، وبدلًا من ذلك كان يحدق دائمًا إلى الأرض، محرجًا ومرتبكًا، وأتذكر أنني كنتُ أعتقد أنه بدا بشكل متزايد خارج نطاق الاثنين الآخرين. كانت هناك انقسامات قوة متغيرة بيننا نحن الأربعة كمجموعة، لكنَّ وجودي كان يوازن الأمور قليلًا،

ولكن يبدو أنه من دوني تقارب تشارلي وبيلي من بعضهما مرة أخرى، وسُيْطِرَ على جيمس.

كان هناك أحد أوقات الغداء عندما كنتُ جالسًا في إحدى حواف الملعب ورأيتُ ثلاثتهم من بعيد. كان جيمس يسير بين الاثنين الآخرين، وبدا مُحطمًا لدرجة أنه ذكَّرني بسجين يُقاد إلى مكان ما ضد إرادته.

لكنه اتخذ قراره، أليس كذلك؟

حدقتُ وراءهم للحظة مُخبِرًا نفسي أنني لا أهتم، وأنني لم أكن بحاجة إليه.

اللعنة عليه.

وضعتُ حقيبتي على كتفي ومشيتُ خلال موقع البناء تجاه ملاعب التنس والمقاعد.

لأنه كان لديَّ شخص آخر لأقضي وقتي معه.

24

الحاضر

أنا مدهوشة أنكَ لم تخترْ فندقًا.

هذا ما قالتْه أماندا لي بالأمس وحيَّرني التعليق في ذلك الوقت. لم يخطرْ على بالي قطُّ أن أفعل ذلك، وتساءلتُ لماذا لم أفعل. لم تكنْ مسألة مال، لذلك ربما أراد جزء مني معاقبتي. أو ربما أفكر في الطريقة التي تعثرتْ بها حياتي وأخفقتُ على مر السنين في ظل ما حدث، ربما قررتُ أنه يجب فعل ذلك على مستوى اللاوعي- تقريبًا مثل تحدٍّ لنفسي.

أترى؟ كل شيء على ما يرام.

إذا كان الأمر كذلك، فإن تسلم دمية تشارلي غيَّر ذلك. فقد كان من المستحيل أن أبقى في المنزل تلك الليلة. لذا حزمتُ أغراضي من بين ذلك الصناديق التي احتفظتْ بها والدتي، ثم ركبتُ سيارتي وقدتُ عائدًا إلى جريتن. وجدتُ أرخص فندق موجود وسجلتُ اسمي به، متخذًا قرارًا أنني سأكتشف ما يجب فعله في الصباح.

لكنني لم أتمكن قطُّ من النوم جيدًا في الفنادق. وحتى هناك بعيدًا عن المنزل ما زلتُ أشعر بالإحساس نفسه بالتهديد والقلق. قد تكون طرقات الباب مجرد مزحة، والهيئة التي رأيتُها في الغابة تنتمي إلى شخص غريب، لكنْ لم تكن لتسويغ تسلُّم الدمية طريقة.

شخص ما كان هناك، شخص ما كان يستهدفني.

ومهما قلتُ لنفسي إن الأمر مستحيل لكنني لم أستطعِ الهروب من الشعور بأن تشارلي كان وراء ذلك. كنتُ أتقلَّب وأستدير مع اقتراب الصباح، متذكرًا الطريقة التي نظر بها إليَّ في الأسابيع التي تلت مغادرتي المجموعة. الإحساس الذي كان لديَّ في ذلك الوقت بأن الأمور لم تنتهِ بعد.

اللعبة لم تنتهِ منكَ بعد.

في ساعات الصباح الأولى كنتُ في الخارج أسير في شوارع جريتن.

في هذه الساعة كان العالم هادئًا ومسالمًا. لم يكن هناك نسيم، لكنْ فقط دفعة من الهواء البارد، إحساس مُرحَّب به تقريبًا قبل الحرارة التي كنتُ أعرف أنها ستأتي لاحقًا، عُلِّقَتْ شرائط وخيوط من السحاب في سماء الفجر، وكانت قريبة جدًّا لدرجة أنها بدت كأنها أرواح نزلت لتنظر إليَّ، ولا يزال من الصعب تخيلها تمضي قُدُمًا.

تجولتُ في الطرق التي أتذكرها جيدًا. كانت هناك صفوف لا نهاية لها من تراسات الطوب الأحمر المجهولة مسحوقة ضد بعضها بشكل غير مريح. في ذلك الوقت كانت هناك خيوط ملابس معلقة في الشوارع، مع غسيل يتدلى منها مثل الأعلام الممزقة. تغيرت الشوارع قليلًا لكنها ظلت مألوفة. وبينما قلتُ لنفسي إنني كنتُ أسير بلا هدف -فقط أنجرف- كنتُ أعلم أن هذا لم يكن صحيحًا، وفي النهاية وجدتُ نفسي على قمة تل كنتُ أعرفه أفضل من غيري.

كان منزل جيني القديم قبالتي.

توقفتُ قليلًا في الشارع. بدا المنزل تقريبًا نفس ما كان عليه قبل خمسة وعشرين عامًا. انتقلتْ نظرتي إلى إحدى نوافذ الطابق العلوي، تلك التي اعتادت أن تكون غرفة نومها، وصوَّرتُ سريرها الفردي بأغطيته العادية، المكتب مع تلفزيون صغير فوقه، والجيتار الصوتي على حامل في إحدى الزوايا. كانت الجدران مليئة بالأرفف. امتدت من السقف إلى الأرض -من الواضح أنها مصنوعة يدويًّا- وبدت دائمًا واهية جدًّا بحيث لا تدعم العدد

الهائل من الكتب المحمَّلة عليها. لم تكن سوى أسس المزيد من الكتب في أدناه التي حالت دون انهيار الصرح بأكمله.

يا إلهي، لا يزال بإمكاني رؤية كل شيء بوضوح.

تذكرتُ أول مرة أتيتُ فيها إلى هنا وكيف كان من المفاجئ رؤية جيني دون الزي المدرسي. عندما فتحت الباب كانت ترتدي بنطال جينز وتيشيرتًا باهتًا لفرقة «iron maiden» الذي بدا أكبر منها بقياسين، وقميصًا مفتوحًا بالأبيض والأسود.

صعدنا نحن الاثنين إلى الطابق العلوي.

قالت لي: «أنا آسفة بشأن الفوضى».

لم تكن هناك حاجة لها للاعتذار. لقد صدمني التناقض مع غرفة نومي على الفور، وشعرتُ بالخجل- بالتفكير في ألواح الأرضية العارية والفراش العادي وأكوام الملابس والكتب والجدران الرطبة. حتى فكرة امتلاك خزانة ملابسي الخاصة أو مكتبة غريبة عني ناهيك بتلفاز.

قلتُ: «يجب أن تري غرفتي».

رفعت حاجبها.

- هذا جريء جدًّا منكَ.

ابتسمتُ للذكرى الآن. لقد جعلتني أحمرُّ خجلًا حينها، لكنْ في الوقت نفسه كان الإحساس بالارتباك في المعدة لطيفًا. وعاد كلا الشعورين بعد ذلك بوقت قصير، عندما انتهت جيني من تعبئة الكتب أرادت أخذها إلى متجرها المحبوب للأشياء المستعملة.

قالت: «يجب أن ننزل إلى الطابق السفلي، لا نريد أن تشكَّ أمي، أليس كذلك؟».

أسفل الشارع الآن فُتِحَ الباب الأمامي.

شعرتُ برغبة في الاختباء، لكنْ لم يكنْ هناك مكان أذهب إليه. ربما لن تكون جيني مَن تخرج من المنزل...

لكنْ بعدها كانت هي طبعًا.

شاهدتُها وهي تخطو إلى الطريق وتسحب شيئًا ما إلى المنزل، ثم شقَّت طريقها إلى الشارع، واضعة حقيبة على كتفها. ليستْ كيسًا بلاستيكيًّا مليئًا بالكتب هذه المرة، لكنْ شيئًا أكثر نضجًا: مُصمَّمًا ومكلَّفًا. كانت ستلتفت وتراني في أي لحظة أقف في منتصف الرصيف مثل الأحمق.

لم تعد مراهقًا بعد الآن.

لا. ولهذا بدلًا من التردد مجددًا بدأتُ في المشي.

أدارتْ رأسها وأعادت التأكد عندما رأتني، ثم ابتسمتْ.

- مرحبًا، أيها الغريب.

قلت: «أنا كالقرش التالف، أستمر في الظهور».

- هذا قاسٍ، قيمتُك أكثر من ذلك. ما الذي أتى بك إلى هذه الأماكن في هذا الوقت؟

- قدمي. أنا لا أطاردكِ، بصراحة كنتُ أمشي فقط.

- نعم نعم، أنا أصدقكَ. الآلاف لن يفعلوا.

تشير مرة أخرى إلى المنزل: «مهلًا، أتريد الدخول قليلًا؟ لترى أمي؟».

لم أستطع تخيل فعل ذلك الآن.

- شكرًا، لكنني قد لا أكون أفضل صحبة. وحقًّا كنت أمشي في الخارج فقط.

ربَّتت حقيبتها: «تبدو جادًّا، كنتُ متجهةً للتو إلى الخارج لتناول الإفطار أولًا. ثم أقرأ قليلًا وأدوِّن بعض الملاحظات. هل تريد المشي معي؟».

- بالتأكيد.

خطوت بجانبها، وبينما كنا نسير تذكرتُ كيف فعلنا ذلك كثيرًا في ذاك الصيف: نتجوَّل في الشوارع جنبًا إلى جنب ونحن نتحدث في أمور تافهة ونتشارك تطلعاتنا إلى المستقبل.

بمرور الأسابيع شعرت أن حياتنا أصبحت مترابطة ببطء، وكان بيننا توتر لطيف: معرفة مشتركة بأن شيئًا ما كان ينمو. لقد مرَّ الكثير من الوقت منذ ذلك الحين طبعًا وتغير كل شيء، ولكن السهولة التي جاءت من العمر والخبرة في الوقت الحالي كانت ممتعة بطريقتها الخاصة.

قالت جيني: «لماذا **فقدنا** التواصل؟».

- لا أعلم.

وضعتُ يدي في جيبي، متذكرًا الأوقات التي كانت تأتي فيها لرؤيتي في الجامعة، ثم في عدد المناسبات التي رأينا فيها بعضنا بعد ذلك، وكل ما أعرفه هو أن الأمر أصبح محرجًا بشكل متزايد. كانت جيني حبي الأول، وعندما تكون صغيرًا فإنك تتشبث بذلك مدةً طويلةً حتى تعلم بأنه يجب أن ينتهي وأنكما يجب أن تتركا بعضكما، لكنَّ الأمر محزن وصعب للغاية، لذا لا تفعل ذلك حتى تُضطَرَّ إليه. حتى يفوق الأذى المتمثل في إبقاء شخص ما، الأذى الناجم عن فقدانه.

قلتُ مرة أخرى: «لا أعرف، لقد مضى وقت طويل. كل ما أعرفه هو أنه من الجيد رؤيتكِ مرة أخرى».

ابتسمتْ: «إنه حقًّا، أليس كذلك؟ إذن، هل توجد أي تطورات؟».

تعثرت قليلًا.

- لا أريد التحدث عن ذلك الآن.

- نعم أستطيع أن أجزم. أفترض أنه سبب إضافي لك للمحاولة.

لذا بعد لحظة من التردد فعلتُ. أخبرتُها عن طَرْقِ الباب والهيئة التي رأيتُها في الغابة، وحقيقة أن بيلي كان ميتًا.

قالت عن الأخير: «حسنًا، أنا سعيدة بذلك».

- اعتقدتُ أنكِ ستكونين كذلك. وأنا أعلم أنني يجب أن أكون أيضًا.

عبستْ: «نعم، لكنكَ كنت دائمًا حساسًا أكثر. إذن ما الذي تعتقد أنه يحدث؟».

- لا أعلم. ولكن هل تتذكرين الدمى التي صنعها تشارلي؟

- أتذكر أنك أخبرتني عنها.

- أرسل شخص ما واحدة من باب أمي بالأمس.

- **ماذا؟**

توقفتْ جيني بجانبي وبدتْ مرعوبة.

قالت: «لماذا قد يفعل أي شخص هذا؟».

كان هذا أحد الأسئلة التي كانت تزعجني. حتى الآن كان الاهتمام الذي تلقيتُه يمثل تهديدًا ولكنه غير مؤذٍ. ربما كان هذا يعني أن مَن وراء الأمر فقط أراد أن يخيفني لسبب ما، لكن يبدو أن السلوك يزداد حدَّة أيضًا -يتجه نحو شيء ما- ولم أستطع التخلص من الإحساس بأنني في خطر هنا.

لكنْ كان هناك سؤال أخافني أكثر. **من الفاعل؟**

قلت: «لا أعلم».

أخبرتني جيني: «عليكَ أن تذهب إلى الشرطة».

نظرتُ إليها.

قلت: «لا، يمكنني دائمًا المغادرة فقط».

عندما قلتُ ذلك أدركتُ أنني أعنيه- أن الفكرة أتتني مع وصول الدمية بالأمس، حتى لو لم أعترف بذلك لنفسي حتى الآن، ولكن يمكنني المغادرة. لا يوجد قانون يجبرني على البقاء هنا في جريتن. إذا كنتُ سأخذل أمي حال فعلي ذلك، فقد عشتُ مع ذنب أسوأ على مر السنين. ألم تخبرني بنفسها أنه لا ينبغي أن أكون هنا؟

لم تكن لي حاجة إلى البقاء.

ابتسمتْ جيني بحزن.

- لا أعتقد أنكَ ستفعل ذلك هذه المرة يا بول.

ثم مدتْ يدها ولمستْ ذراعي.

كان هذا أول اتصال جسدي أجريناه منذ أكثر من عشرين عامًا. أرسل الإحساس هزة خلال جسدي، وعندما تركتُ يدها هناك شعرتُ بالدفء ينتشر في بشرتي.

لا أعتقد أنك ستفعل ذلك هذه المرة

قلت: «أنا مدين لأمي، أليس كذلك؟».

- لا، أنتَ مدين لنفسكَ. أتعلم؟ أعتقد أن جزءًا منك يريد ذلك. فبعد كل شيء لم يكن عليك أن تأتي إلى هنا على الإطلاق، أليس كذلك؟ لم يكن عليك البقاء في المنزل أو النظر في العلية. لكنكَ فعلت.

- نعم.

- لأنه في أعماقك، أنت تعلم أنك بحاجة إلى ذلك.

لم أرد وبعد لحظة حركتْ يدها.

- لقد وصلتُ بالمناسبة.

نظرتُ إلى الجانب وأدركتُ أننا كنا نقف خارج مقهى على أحد الطرق الرئيسية. لقد كنتُ منغمسًا جدًّا في التحدث معها لدرجة أنني لم أنتبهْ للعالم من حولنا.

قلت: «سأتركِكِ لها إذن، لكن شكرًا لكِ».

- في أي وقت.

ثم دخلتْ وتركتْني وحدي على الرصيف، لا تزال ذراعي متخدرة من الاتصال. وبقيتْ كلماتها معي أيضًا، وعرفتُ أنها كانت على حق. نعم يمكنني أن أحزم أغراضي في السيارة وأذهب من هنا. سيكون أسهل شيء يمكنني فعله في العالم، لكنه ليس ما كنت بحاجة إلى فعله.

وأدركتُ أن هناك سؤالًا آخر يجب سؤاله عن الدمية، ليس فقط عن السبب والفاعل ولكن **كيف**؟ لم أكن أعرف ما حدث للدمى الثلاث الأخرى، لكنْ لم أستطع تذكر التخلص من خاصتي. أفترض أنها يجب أن تكون في الصندوق

مع كل شيء آخر من ذلك الحين، لكنها لم تكن كذلك. وإذا كانت الدمية التي سُلِّمَتْ لي هي دميتي حينها، فكيف حصل عليها شخص آخر؟

لم تكن هناك سوى إجابة واحدة يمكنني التفكير فيها.

من المؤكد أنه كان في المنزل في وقت ما.

25

كان الوقت منتصف الصباح عندما ظهرتْ نتائج تشريح جثة بيلي روبرتس أخيرًا، وكانت أماندا منهكة تمامًا. لا تتوافق معها الفنادق، أم كان العكس؟ حيَّرتها الفكرة للحظات، ثم هزت رأسها متناولة رشفة من القهوة الرخيصة وحاولت التركيز على الشاشة أمامها.

لم يكن الأمر سهلًا. فإن أحد الأشياء الكثيرة التي تعلمتْها من هذه القضية هو أن الأحلام تحدث في الجزء السطحي من النوم. الليلة الماضية بذل الفراش غير المريح قصارى جهده لإبقائها هناك وساعد على توفير ثروة من الأحلام.

الكابوس طبعًا.

بالنظر إلى بعض الفظائع التي شهدتها أماندا في حياتها المهنية ربما كانت تتوقع أن تكون أي أحلام سيئة مروعة وعميقة، لكنَّ أكثر الأحلام التي راودتها كانت حميدة ظاهريًّا. كل شيء من حولها كان حالك السواد، وكان هناك شعور بمساحة شاسعة من كل جانب، كما لو أن العالم كله قد أصبح خاليًا ونظيفًا. لم يكن هناك صوت، ولم يكن هناك إحساس حقيقي على الإطلاق، في الواقع بخلاف عقدة الوعي الضيقة في ذهنها بأنه في مكان ما في الظلام قد فُقِدَ طفل، أنه سيموت إذا لم تجده، وأنها لن تفعل ذلك في الوقت المناسب.

كانت تستيقظ دائمًا من الحلم في حالة من الضيق الشديد، مع وجع في صدرها لم يكن ألمًا بقدر ما كان افتقادًا: شعورًا باليأس والإحباط. هذا

الصباح تفاقم هذا الشعور بالذعر. كانت غرفة النوم من حولها مظلمة تقريبًا مثل العالم في الكابوس، وكان القليل الذي يمكنها أن تراه في الظلام غير مألوف وخطرًا.

جلست بسرعة.

أين كانت؟ لبضع ثوانٍ لم تكن قادرة على التفكير. في ذلك الوقت شعرتْ وكأنها طفلة مرة أخرى، وتفاقم شعورها باليأس بسبب معرفتها بأن والدها ميت، وأنها إذا نادت فلن يأتي أحد.

على الأقل عرفتْ أين هي الآن، كافيتريا قسم شرطة جريتن. لقد كانت كلاسيكية من نوعها: غرفة صغيرة بها كراسي بيج وطاولات قديمة قابلة للطي والفورميكا متقشرة عند الحواف. كانت ترتيبات تقديم الطعام آلة بيع في أحد الزوايا. أخذت رشفة أخرى من القهوة السيئة التي حصلت عليها منها وفكرت، **ركزي يا امرأة.** ثم فتحت تقرير التشريح على حاسوبها المحمول.

كانت هناك صور مرفقة لكنها تجنبتها في الوقت الحالي. اتضح أن هناك شرًّا أكثر من كافٍ في التفاصيل نفسها، وتفحصتها سريعًا بحياد بقدر ما تستطيع. قُدِّرَ وقت الوفاة في وقت متأخر من صباح أمس. جعلتها تلك المعلومات ترتجف. كانت متأكدة من أن القاتل كان لا يزال في المنزل عندما وصلتْ، ولم يؤكد تقرير الطب الشرعي ذلك. عندما طرقتِ الباب كان على الجانب الآخر من ذلك الباب وحش يبادلها التحديق.

يا إلهي، إذا كانت جرَّبت مقبض الباب حينها...

بذلتْ قصارى جهدها للتخلص من الفكرة وتابعت القراءة. يبدو أن سبب الوفاة هو جرح سكين وحشي في حلق روبرتس، لكنْ كما لاحظت في مكان الحادث نفسه فقد كان هناك العديد من الإصابات الأخرى المدرجة في التقرير: جروح في وجهه وذراعيه وكدمات شديدة في الرأس والجسم والعظام التي كُسِرَتْ بمنهجية. تعرض بيلي روبرتس للتعذيب الشديد قبل وفاته الفعلية، وتشير العلامات حول معصميه إلى أنه كان مكبل اليدين خلال محنته.

قوَّت أماندا نفسها وفتحت إحدى الصور.

أظهرت لقطة مُقرَّبة لما تبقى من وجهه. ارتدَّت قليلًا متراجعة عن الصورة. خلال بحثها شاهدت صورًا لبيلي روبرتس في سن المراهقة والصورة التي علقت معها كانت من التغطية الصحفية: الوجه العابس الذي يحدق إلى الكاميرا، في مكان ما في تلك الحالة الغامضة بين صبي ورجل. كان التناقض بين صورة المراهقة والمشهد الذي أمامها الآن قاسيًا بكل طريقة ممكنة.

فكرت: **من فعل هذا بك يا بيلي؟**

لكن كما هي الحال دائمًا قد راودها سؤال آخر، فالآن بدا الأمر أكثر أهمية من أي وقت مضى.

ولماذا؟

***

كان المحقق جراهام دواير متأكدًا تمامًا من أنه يمتلك الإجابة عن كلا السؤالين.

قال: «والت بارنابي وجيمي تيل وستيفن هايد، إنهم مجموعة من الحمقى».

تبعته أماندا إلى أحد ممرات قسم شرطة جريتن القديمة، عالقة بين الحاجة إلى المواكبة والرغبة في عدم فعل ذلك. كان دواير رجلًا ضخمًا، كان الجزء الخلفي من قميصه المُدخَل بالكاد في بنطاله ملطخًا بالعرق، وكان شعره الرمادي الرقيق رطبًا، يمكنها شم رائحته حتى من مسافة بعيدة، وكان من الواضح أنه لا يهتم على الإطلاق. كان من الواضح بالقدر نفسه أنه كان يتحمل وجودها هنا بدلًا من الترحيب بها- أنه مهما كانت الخيوط التي رفعها ليونز لأعلى في جريتن أصبحت أكثر تشابكًا في طريقها إلى الأسفل.

وهو أمر مفهوم، كما افترضتْ ربما كانت ستصبح مثله لو عُكِسَتْ أوضاعهما، لكن بعدها أخذت في الحسبان ذلك. ربما لم يعد صحيحًا بعد الآن. تذكرتِ التحقيق في اختفاء الصبي الصغير وكيف استاءت في البداية لأنه قد كُلِّفَ ضابط آخر لمساعدتها، في حين أن كل ما فعلته الآن هو افتقاده.

قالت: «هؤلاء ثلاثة أشخاص».

لم يبطئ دواير خطواته.

- حسنًا.

قالت: «رأيتُ فقط مجموعة واحدة من آثار الأقدام في مكان الحادث».

- مجموعة واحدة من آثار الأقدام **الدموية**.

- تشير إلى قاتل **دموي** واحد.

- وهو من سيكون أحد الرجال الثلاثة الذين ذكرتهم.

قادها دواير إلى مكتبه، كان مرتبًا أكثر مما كانت تتوقع، حيث كانت على الأرفف صناديق للملفات مصنفة ومصطفَّة بعناية، والمكتب واضح بجانب جهاز الكمبيوتر الخاص به وبعض المجلدات البنية المكدسة بدقة. كانت النافذة خلف المكتب -من حسن الحظ- مفتوحة.

جلس دواير بقوة على كرسيه وتنهد.

- عليكِ أن تفهمي أنكِ لا تعرفين هؤلاء الناس. بارنابي وتيل وهايد. كما قلتُ- مجموعة من الحمقى. إذا كنتِ لا تصدقينني فإن الملفات موجودة هناك.

أشار إلى كومة المجلدات دون بذل أي جهد في تمريرها إليها: «تفضلي».

- شكرًا لكِ.

نظرتْ خلالها مفكرةً أن تعريف دواير لـ «مجموعة من الحمقى» يختلف قليلًا عن تعريفها. ربما كانت تتعافى مع تقدمها في السن، لكنها وجدت نفسها تشعر بالأسف قليلًا على الرجال الثلاثة. كانوا جميعًا في الأربعينيات من العمر، لكنهم بدوا أكبر سنًّا في الصور التي التُقِطَتْ، بشرة شاحبة وشعر رث وعيون ثائرة. لقد أدركتْ هذا النوع طبعًا ويمكنها القراءة بين سطور الاعتقالات والتُّهم المختلفة. هؤلاء هم نوع الرجال الذين انجرفوا إلى حافة المجتمع أو سقطوا من خلال شقوقه. لقد وجدتْهم في كل مكان: يشربون في النهار في حانات رخيصة ويجلسون مع علب المشروبات في الحديقة ويفقدون الوعي في منازل وشقق بعضهم، وتتحول الأيام والليالي إلى واحدة.

شبكة متقلبة من الأصدقاء حيث التهديد بالعنف دائمًا ما يندفع بعيدًا تحت السطح. كل ما تطلَّبه الأمر هو كلمة واحدة خاطئة أو غفلة محسوسة، وحدوث شجار واحد.

كان دواير يحدق إليها.

وقال: «لدينا الثلاثة رهن الاحتجاز، ولدينا العديد من الشهود الذين قالوا إنهم كانوا يشربون مع بيلي روبرتس في المنزل في اليوم السابق لقتله».

تذكرتْ أماندا الأصوات المرتفعة التي سمعتها في المكالمة الهاتفية القصيرة التي أجرتها مع روبرتس.

- وماذا أيضًا؟

بسط دواير يديه: «يقولون جميعًا إنهم غادروا في مرحلة ما، باستثناء أنه لا يستطيع أحد منهم تأكيد ذلك، وقصصهم كلها تتعارض».

- ربما كانوا في حالة سكر.

ضحك دواير.

- لقد كانوا كذلك بالتأكيد.

قالت: «حسنًا، هل أُخِذَ أي شيء من المنزل؟».

- مَن يعلم؟ وقبل أن تسألي، نحن ننتظر الطب الشرعي، أعتقد أننا سنجد أطنانًا من ذلك.

- حسنًا، لقد قلتَ فعلًا إنهم جميعًا في المنزل.

تجاهلها دواير.

- نحن نبحث عمَّا يعتبر ممتلكاتهم. نحن نتحدث إليهم أيضًا- أو نحاول ذلك. اثنان منهم لا يزالان ثملين. لكنْ ثقي بي أعرف من التجربة أن واحدًا منهم سيكون هو **القاتل الدموي**.

وضعتْ أماندا الملفات مرة أخرى على المكتب، ممزقةً بين الغريزة التي شعرتْ بها أنها تختلف في الرأي مع دواير ومعرفة أنه ربما كان على حق. لم يكن هناك سبب للاعتقاد بأن مقتل بيلي روبرتس كان بأي شكل مرتبطًا

بما حدث في فيذربانك- في كثير من الأحيان تبيَّن أن الحل الأكثر وضوحًا هو الحل الصحيح. كان دواير يضع رهانه بالطريقة نفسها التي كانت ستفعلها على الأرجح لو كانت في مكانه. يجب ألا يكون لكل شيء معنى أعمق أو رسالة ما.

ومع ذلك بقيت وحشية ما فُعِلَ لروبرتس معها. نعم مستوى العنف الملائم بجانٍ دمَّرته سنوات من الشراب والمخدرات والرب فقط يعرف ماذا غير ذلك. لكنها ما زالت تشعر بوجود أمور أخرى قد حدثتْ في هذا المنزل، أن شيئًا ما هنا قد فقدوه.

قال دواير: «تبدين قلقة».

- أنا كذلك.

- حول ماذا؟

- أنا قلقة من أن هذا له علاقة بسبب وجودي هنا.

قلب دواير عينيه.

قال: «محققة بيك، أعرف سبب وجودكِ هنا ودعيني أخبركِ، أماكن مثل هذه لها ذكريات طويلة، لم ينسَ أحد ما حدث. ولكنَّ الأمر هو أنه لا يحب أحد التفكير في الأمر أيضًا. لقد انتهى الأمر، إنه من الماضي، تمضي الحياة قدمًا».

- ترك شخص ما دماء على باب بول آدامز.

- على ما يبدو. قلتُ إن الناس لا يحبون التفكير في الأمر، لكنْ ربما لا يمانعون أن يفكر الآخرون في الأمر.

اتكأتْ على المكتب.

- لم يُعثَر على تشارلي كرابتري.

كان في الغرفة صمت للحظة واستقرت نظرة دواير عليها، وكانت فيها صرامة كما لو أنها قد تجاوزت الحدود وتخطتها.

لم تهتم.

قالت بهدوء: «إذا كنتَ مخطئًا فإن القاتل لا يزال بالخارج. وما يقلقني هو ما قد يفعله بعد ذلك».

كانت على وشك قول المزيد عندما اهتزَّ هاتفها في جيبها. وقفتْ من المكتب وأخرجتْه لتجد رسالة من ثيو.

اتصلي بي في أسرع وقت ممكن.

رفع دواير حاجبه ساخرًا.

قال: «ماذا لديك هناك؟ اعتراف؟».

نظرت وراءها إليه.

قالت: «نعم، ربما».

***

خرجت إلى الممر لتعاود الاتصال بثيو، متكئة على الحائط في حين كانت تنتظره ليرد على المكالمة. عندما فعل ذلك كانت تسمع للصرير المنخفض لمحركات الأقراص الصلبة التي قضى حياته العملية محاطًا بها، أو على الأقل تخيلت أنها تستطيع.

قالت: «إنها أماندا هنا، ماذا لدينا؟».

قال: «لم نتلقَّ ردًّا فعليًّا من CC666، لكنْ كانت على الرابط الذي أرسلته نقرة. يمكنني أن أخبركِ بكل المعلومات التي أُعطِيَتْ لي عن كمبيوتر المستخدِم، لكنني لن أفعل في الوقت الحالي. الشيء المهم هو أنه اتضح أن عنوان الـ IP سهل تحديده. لقد حصلتُ عليه خلال شارعين. مكان يُدعَى برينفيلد. إنه على بعد نحو مائة ميل من جريتن».

- منذ متى كان هذا؟

- الليلة الماضية، آسف لقد فاتني إخباركِ حتى الآن.

- لا بأس.

من كان وراء الحساب CC666، من الواضح أنه لم يكن بيلي روبرتس. اسم المكان أزعجها رغم ذلك. برينفيلد. لقد رأتْه في الملفات في مكان ما. لكنها كانت متعبة لدرجة أنه كان من الصعب البحث في الكم الهائل من المعلومات التي استوعبتْها خلال الأيام القليلة الماضية.

تغيَّر الصوت على الخط قليلًا، وتصوَّرت ثيو يتحرك في غرفته المظلمة ويتنقل بين الشاشات.

قال: «أنتِ تتعرَّفين اسم المكان، أليس كذلك؟».

- كان لديَّ يومان مزدحمان.

- عادل بما فيه الكفاية.

لذلك قال لها، وتذكرتْ أماندا، وحتى عندما كانت تستمع كانت تتجه فعلًا بسرعة إلى أسفل الممر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

26

جالسًا على حافة السرير في غرفتي بالفندق التقطت هاتفي لأجري مكالمة. لم أكن متأكدًا تمامًا مما سأسأله، أو ماذا سأفعل بكل ما علمتُه بعد ذلك، لكنني علمتُ أنه عليَّ فعل شيء ما.

استغرق الأمر بضع ثوانٍ حتى تجيب.

- سالي لونجفيلو تتحدث.

قلت: «مرحبًا سالي، أنا بول آدامز».

- مرحبًا يا بول. أنا في المنزل الآن، كيف حال دافني اليوم؟

- لم أذهب لرؤيتها بعد.

- أعلم أنه صعب. حسنًا، أعتقد أنها نائمة.

ثم خفضتْ صوتها قليلًا: «بقدر ما هو محزن، هذا حقًّا أفضل ما يمكنكَ أن تأملَه في هذه المرحلة، أليس كذلك؟».

لم أكن في مزاج جيد وقررتُ أن أنهي الموضوع.

قلت: «أفترض ذلك. لكنْ ما أردتُ فعله حقًّا هو أن أسأل أكثر عن ظروف حادث والدتي».

- طبعًا، ماذا تريد أن تعرف؟

- لقد سقطتْ، أليس كذلك؟

- بلى.

انتظرتُ محدقًا من النافذة إلى الشارع في أدناها، لكنْ يبدو أن سالي لم تكن مستعدةً لإضافة المزيد دون أن تطالب بذلك. إذا كان من الممكن سماع الدفاعية في الصمت فإن المكالمة بدت مليئة بها. ربما ظنَّت أنني كنت أخطط لإلقاء اللوم عليها لِمَا حدث- لكونها مهملة بطريقة ما.

- هل كانت تصعد أم تهبط من السلالم عندما سقطت؟

- أنا حقًّا لا أعرف، هل هذا مهم؟

- لستُ متأكدًا.

هززتُ رأسي. لقد راودني السؤال من العدم، ومع ذلك شعرتُ فجأة أنه مهم لسبب ما: «هل قالت أي شيء بعد ذلك عما حدث؟».

- لا، فقد تأذت إلى حد ما. وأنت تعرف كيف هي والدتك يا سيد آدامز. لستُ متأكدة أنها فهمت أن أي شيء قد حدث على الإطلاق.

- كم من الوقت كانت مستلقية هناك؟

- مرة أخرى لا أعرف. كل ما يمكنني قوله هو أنني وصلتُ إلى هناك بأسرع ما يمكن.

توقفتُ، كنتُ أفترض أنها كانت زيارة مقررة.

- انتظري. إذن... كنتِ **تعلمين** أنها سقطت؟

- ليس أنها سقطت، كان لدى دافني منبه. نطلق عليهم إشارة الخفافيش- نعنيها بطريقة لطيفة طبعًا. إنه في الأساس جهاز استدعاء يحمله المرضى معهم يرسل إشارة إلى هواتفنا. حصلتُ على تنبيه من دافني لذلك حاولتُ الاتصال بالمنزل، وعندما لم تكن هناك إجابة انطلقت مباشرة.

فكرت في الأمر.

- كانت واعية بعد سقوطها؟

- لم تكن عندما وصلت، لكنْ من الواضح أنها كانت كذلك. كل ما يمكنني قوله لك سيد آدامز هو أنني كنتُ في المبنى في غضون نصف ساعة. كان من الممكن أن أكون في وقت أقرب، ولكنَّ الوقت كان متأخرًا في المساء.

من الواضح أنها كانت كذلك.

إلا لسبب ما كانتْ قد ضغطتْ عليه قبل أن تسقط، ربما لأن شيئًا أو شخصًا ما في المنزل قد أخافها.

- سيد آدامز؟ هل هناك شيء آخر؟

هززت رأسي: «نعم، آسف. هناك شيء واحد فقط في الواقع. هل كان الباب مفتوحًا عندما وصلتِ؟».

عمَّ صمت للحظة

- لديَّ مجموعة من المفاتيح. حسنًا- إنهم لديك الآن.

- نعم، لكنْ هل استخدمتِها تلك الليلة؟

عمَّ مزيد من الصمت كما حاولتْ أن تتذكر.

- الآن بعد أن قلتَ ذلك لستُ متأكدة تمامًا. لا أعتقد أنني فعلتُ. طرقتُ الباب وعندما لم يكن هناك رد ذهبتُ مباشرة إلى الداخل. لكنني لا أعتقد أنني اضطررت إلى استخدام المفتاح.

- حسنًا، شكرًا لكِ.

- لكن ماذا...

أنهيتُ المكالمة، ذلك كان وقحًا بشكل لا يطاق طبعًا، لكن نظرًا إلى الظروف ظننتُ أن الكون سيسامحني، حتى لو لم تفعل سالي.

حدقتُ من النافذة إلى الشارع والمتاجر المقابلة للفندق، وإلى الأشخاص الذين يُمارسون أعمالهم، وحاولت موازنة ما كنتُ أعرفه فعلًا مع ما علمتُه للتو.

في ليلة سقوط والدتي أرسلتْ تنبيهًا تشير إلى أنها بحاجة إلى المساعدة، وكان الباب مفتوحًا عندما وصلتْ سالي. كانتْ هناك رواية بريئة واضحة يمكنكَ بناؤها من ذلك، وكانت بوضوح ما فعله الناس.

إلا أن والدتي كانتْ مرتبكة وخائفة من شيء ما. ادَّعت أنها رأتْ تشارلي في الغابة. وإذا كانت دميتي هي التي أُرسِلَتْ إليَّ فلا بدَّ أن شخصًا آخر كان في المنزل في مرحلة ما. تساءلتُ الآن أكانت حادثة سقوط والدتي تحوي أكثر مما يظهر للجميع؛ أنها ربما لم تكنْ وحدها تلك الليلة.

أنها ربما لم تسقط من الأساس.

وبينما جلستُ هناك في غرفة الفندق شاعرًا بالضياع والخوف، ظلت الفكرة تعود إليَّ.

اللعبة لم تنتهِ منكَ بعد.

***

ولذا اتخذتُ قرارًا.

ومع ذلك لم يكن هذا يعني أن تصميمي سينجو من مواجهة مع الواقع، وبدأتُ أشعر بالحماقة قبل أن أصل إلى مركز الشرطة وتضاعف الإحساس عندما دخلتُ. بالكاد تغير الاستقبال على مر السنين، وللحظة تذكرتُ دخولي هنا بجانب والدتي شاعرًا بالضياع والخدر، وذراعها حولي ترشدني خلف الضابطين اللذين قادانا إلى هناك.

لكنني لم أعد مراهقًا بعد الآن.

في المكتب سألتُ عن أماندا أولًا، لكنْ بعد بعض الحيرة اتضح أنها لم تكن في المبنى. ثم سألتُ عن الشرطي أوين هولدر، الرجل الذي رأى الدم الذي تُرِكَ على باب والدتي، ثم انتظرتُ في الاستقبال مدةً من الوقت.

- سيد آدامز؟

عندما وصل بدا هولدر مشوشًا بوضوح من رؤيتي ولكنه بذل قصارى جهده لإخفاء ذلك: «اتبعني».

قادني إلى غرفة صغيرة على أحد جوانب الاستقبال. لقد كانت غرفة تخزين أكثر من كونها مكتبًا، لكنها كانت تحتوي على جهاز كمبيوتر، وجلس على الجانب البعيد من المكتب ونقر لوحة المفاتيح. جلستُ قبالته وانتظرت. من تغير تعبيرات وجهه اعتقدتُ أنه كان قلقًا من أنه لم يسجل حادثة طرق الباب كما طلبتُ منه ذلك، ثم بدا مرتاحًا فجأة لاكتشافه أنه قد فعل.

- هل كان هناك المزيد.. من الضرر لممتلكاتك؟

قلت: «إنها ليستْ ممتلكاتي، إنه منزل والدتي».

نعم طبعًا.

- تعرضتْ والدتي لحادث- سقطت على الدرج. إلا أنني لستُ متأكدًا من أن هذا ما حدث حقًّا.

- حقًّا؟

- أعتقد أن شخصًا آخر ربما كان في المنزل.

كان هولدر ينظر إلى الكمبيوتر، لكنه نظر إليَّ الآن. في طريقي إلى هنا كنت أتخيل أن هذا الكلام سيبدو سخيفًا إذا قيل بصوت عالٍ، وربما كان كذلك فعلًا، ولكنني شعرت أيضًا أنه صحيح. تراجع هولدر إلى الخلف بعيدًا عن الشاشة وحدق إليَّ بعناية.

- استمر.

أخبرته بكل ما حدث. في البداية أومأ برأسه ببساطة، لكنه انحنى بعد ذلك إلى الأمام مرة أخرى باحثًا عن قلم وورقة على المكتب، وبدأ في تدوين الملاحظات. بدا متشككًا بشأن الرجل الذي رأيته في الغابة.

ولكن بعد ذلك وضعتُ الدمية الخاصة بسيد الأيدي الحمراء على المكتب.

رفع هولدر نظره عن كتاباته وتجمد.

قال: «ما هذا بحق الإله».

قلت: «إنها دمية، أرسلها أحدهم من باب منزل والدتي. صنعها تشارلي كرابتري منذ وقت طويل. كان تشارلي...».

- أعرف من كان تشارلي كرابتري.

التقط هولدر الدمية مبدئيًا وفحصها. كان أصغر من أن يتذكر القضية نفسها، لكن ربما قللتُ من أهمية الذاكرة التي يمكن أن تمتلكها الأماكن: الطريقة التي يعاد بها سرد القصص على مر السنين. وكانت جريتن على وجه الخصوص على هذا النحو دائمًا. كانت قريبة من شعبها وحكاياتها، حتى لو لم يرغب أحد في التحدث عنهم مباشرة.

قال هولدر أخيرًا: «إنها... مقززة».

- نعم، إنها كذلك.

تركها ثم حرَّك يديه أسفل المكتب. تساءلتُ أكان يفرك أصابعه لا إراديًا على سرواله في محاولة لإزالة البقعة غير المرئية التي يبدو أن الدمية تحملها معها.

- وأنتَ تقول إن أحدهم أرسل هذه من خلال بابك.

قلت: «باب أمي، لكن نعم».

بقيتْ نظرة هولدر ثابتة على الدمية. كان الأمر كما لو كان يرى شيئًا في الحياة الواقعية لم يقرأ عنه من قبل سوى في كتب التاريخ. أستطيعُ أن أقول إنه كان منزعجًا مما قلتُه له لكنه كان أيضًا يكافح من أجل معرفة ما يجب فعله حيال ذلك.

لكن على الأقل كان يستمع إليَّ.

قلت: «أنت تعرف من كان تشارلي كرابتري».

- طبعًا، الجميع هنا يفعل.

- إذن أنت تعرف ما حدث. أنت تعرف ما هذا.

- نعم، وأنا أعرف من أنت. سأكون صادقًا معك يا سيد آدامز. هذا هو السبب الوحيد لأخذي العلامات على بابك -أعني باب والدتك- بجدية كما فعلت و...

نظر إلى أحد الجوانب فجأة محرجًا.

سألتُ: «و؟».

- ولذا أفهم أيضًا أن العودة إلى هنا يجب أن تكون صعبة جدًّا بالنسبة إليك، خاصة بعد كل هذا الوقت.

انتظرتُ.

قال: «ما أعنيه هو أن الحزن يمكن أن يفعل أشياء غريبة للإنسان. وأنا بصدق لا أعني ذلك بوقاحة. لكنْ ما أتساءل عنه هو إذا كنتَ قد بنيتَ كل هذا في رأسكَ إلى حد ما. بدرجة كافية ليبدو الأمر أكثر مما هو عليه. لإعطائه أكثر من حجمه حتى».

مجددًا لم أقلْ شيئًا.

كنتُ على استعداد لأشعر بالحماقة عند مجيئي إلى هنا، أو أن أُخبَرَ أنه لا توجد أدلة كافية للشرطة لفعل أي شيء، لكنني لم أتوقعْ أن أُتَّهم بالكذب -حتى بشكل غير مباشر- حول ما حدث. للحظة شعرتُ بالحرج، لكنْ بعد ذلك عادت كلمات جيني إليَّ.

اعتدتَ أن تكون أكثر حسمًا.

قلت: «أنا لا أختلق هذا».

- أنا حقًّا لا أقول ذلك.

- نعم أنت تفعل.

بدا صوتي باردًا. كان هولدر محقًّا بطريقة واحدة على الأقل: شعرت بكل مشاعر الأيام الماضية تحتدم، وكنتُ معرضًا لخطر قول شيء لا ينبغي لي قوله. فإن فقدان السيطرة على نفسي لن يساعد.

قلتُ: «أين المحققة أماندا بيك؟».

هز رأسه: «مَن؟ هذه الضابطة من فيذربانك، أليس كذلك؟ أنا لا أعرف أين هي، أعتقد أنها ربما ذهبتْ».

- ماذا عن بيلي روبرتس؟ هل تعلم أنه ميت؟

- طبعًا أعلم.

نظر إليَّ هولدر ووجهه شبه حزين الآن، أشار إلى الدمية: «لكنَّ هذه لا علاقة لها بالأمر. لدينا فعلًا أفراد رهن الاحتجاز و...».

- من؟ من لديك؟

استغرق هولدر ثانية لجمع شتات نفسه.

- أنا حقًّا لا يمكنني الكشف عن تلك المعلومات الآن يا سيد آدامز.

وقفتُ وأخذتُ الدمية: «أتعتقد أنني أكذب، أو أنني فقدتُ عقلي».

- لا، أنا فقط ...

- شكرًا لك على لا شيء على الإطلاق.

- سيد آدامز...

لكنني لم أكنْ مستعدًّا للاستماع لأي شيء آخر سيقوله. وبحلول الوقت الذي عدتُ فيه إلى السيارة، كنتُ أكثر غضبًا. شعرتُ بالضبط بالعجز والإحباط مثلما شعرتُ عندما كنتُ مراهقًا. فتحتُ صندوق السيارة ورميتُ الدمية بقوة لدرجة أنها ارتدَّتْ تقريبًا إلى الخارج، ثم ضربتُ الغطاء بصوت عالٍ يكفي لجذب نظرات المارة.

وهو ما تجاهلتُه.

ثم وقفتُ على الرصيف غير متأكد مما سأفعله بعد ذلك. كان مركز الشرطة على طريق رئيسي مزدحم مصطفٍّ في الغالب بالمتاجر، وكان هناك العشرات من الناس يتجولون تحت أشعة الشمس حاملين حقائب في أيديهم. وجدتُ نفسي أنظر إلى وجوههم باحثًا عن أي شخص مألوف، أو شخص يبدو أنه يراقبني.

هل أنت هنا في مكان ما؟

هل كان حقًّا تشارلي مَن كنت أبحث عنه؟

عندما وقفتُ هناك في الشمس محاطًا بالنشاط الدنيوي للحياة العادية، بدا من السخف التفكير في مثل هذا الشيء. ومع ذلك أدركتُ أنني كنت أفعل ذلك حقًّا. أمسح الناس من حولي بحثًا عن وجه صبي لم أره منذ خمسة

وعشرين عامًا. شعر أسود مصبوغ ممشَّط إلى جانب واحد، وعيون فارغة. كبر الآن، لكنْ ليس بعيدًا عمَّا كان حتى لا أتعرَّفه.

الصبي الذي لا أحد يعرفه على وجه اليقين ذهب حقًّا.

استمرَّ العالم حولي على ما يبدو غافلًا. يبدو أن لا أحد يولي لي أدنى اهتمام.

بدأت المشي.

كان ذلك جزئيًّا لأنني لم أكن أعرف ماذا أفعل غير ذلك، لكنْ كانت هناك أيضًا فكرة في مؤخرة ذهني أنه إذا كان شخص ما يتبعني حقًّا، فقد تكون هذه هي أفضل طريقة لرصده. لذلك تجولتُ باذلًا قصارى جهدي التظاهر باللامبالاة وأنا أراقب الناس من حولي.

لا شيء.

وبعد عشرين دقيقة أدركتُ في أي شارع وجدتُ نفسي فيه. نظرتُ حولي في تعجب بالكاد أتعرَّف المتاجر الجديدة المشرقة، والأرصفة التي جُرِفَتْ من القمامة. عندما كنتُ مراهقًا أُغلِقَتْ معظم هذه الوحدات، والوحدات التي لم تُغلَق كانت متداعية. الآن كان كل شيء مشغولًا ومزدهرًا. حتى إنه كان هناك شجر مزروع بدقة في أراضٍ صغيرة مُسيَّجة على طول الطريق.

لا يمكن أنه لا يزال هنا.

بدأتُ المشي بسرعة أكبر الآن.

في أول مرة زرت فيها منزل جيني كان هذا هو الشارع الذي أحضرتْني إليه، حاملة حقيبة ممتلئة بالكتب. لقد أخذتْني إلى متجر -مثل الكثير هنا في ذلك الوقت- بدا مهجورًا للوهلة الأولى. كان الباب قديمًا وواهنًا، وكانت للنوافذ شبكة سلكية في الخارج، وكان الزجاج خلفه ضبابيًّا للغاية بالغبار لدرجة أنه كان من الصعب الرؤية من خلاله.

لا يمكن أنه لا يزال هنا.

ومع ذلك كان كذلك.

توقفتُ عند الزاوية. كان الباب جديدًا واختفتِ الشبكة السلكية، وكان الزجاج نظيفًا. لكن من نواحٍ كثيرة شعرتُ أن المكان لم يتغير على الإطلاق. نظرتُ إلى الأعلى. أُعيد طلاء اللافتة الخضراء، لكنها لا تزال تمتد على طول المحل، والاسم مكتوب بخط كتابي متقن، مثل شيء من عصر آخر.

جونسون وروس.

وقفتُ هناك لحظةً أحدق إلى المكان. كان مألوفًا للغاية، وأصبح العالم من حولي هادئًا فجأة، كان من الصعب الهروب من الإحساس بأنني عدتُ بطريقة ما في الوقت المناسب.

مددتُ يدي وأدرتُ المقبض ببطء.

ثم دفعتُ الباب.

رنَّ جرس في الداخل.

وبعد ذلك شعرتُ بالتوتر كما فعلتُ قبل خمسة وعشرين عامًا في أثناء زيارتي الأولى مع جيني، دخلتُ المتجر، خارج الحاضر وإلى الماضي.

27

الماضي

لقد وقعتُ في حب **جونسون وروس** في الثانية التي دخلتُه فيها مع جيني في اليوم الأول.

قادنا الباب إلى غرفة رئيسية ضيقة. ساورني على الفور شعور متضارب، فالمتجر بأكمله كان زاخرًا بمكوناته. كانت الكتب معبأة في الرفوف على طول كل جدار وتملأ كل الخزائن وتغطي سطح الطاولات، وكانت في الهواء رائحة مريحة وعتيقة، كما لو أن كل الجلود والورق المحيط بي قد أشبعها على مر السنين. أتذكر بالضبط ما كان عليه الأمر، فلم أكن أرى الكتب فحسب، بل كنت أشعر بها على بشرتي وأتنفسها بعمق كذلك.

قادتني جيني إلى أحد الممرات المكتظة، لكنْ في تلك اللحظة كنتُ مشتتًا- أنظر حولي في دهشة ومصدومًا إلى حد ما من رد فعلي العميق على المتجر. كان المشيُّ هنا أشبه بتلقي احتضان من شخص اعتنى بي عندما كنتُ أصغر من أن أتذكرهم بشكل صحيح. لم أكن هنا من قبل ومع ذلكَ شعرتُ كأنني عائد إلى المنزل.

تبيَّن أن منضدة الدفع كانت كالكهف بين الرفوف والخزائن. للوهلة الأولى لم أستطعْ فهم كيف سيقف أي شخص خلفها، لكنْ كانت تجلس امرأة هناك مع صحيفة مفتوحة على المنضدة أمامها. كانت في الأربعينيات من عمرها

وشعرها الطويل مصبوغًا بالأشقر لدرجة أنه كان يميل إلى اللون الأبيض، وكانت ترتدي نظارات صغيرة. نظرت إليَّ بفضول من فوق قمة إطار نظارتها عندما اقتربنا.

ثم نقلتْ أنظارها إلى جيني وابتسمتْ لها بحرارة، مسرورة بوضوح لرؤيتها.

- جيني! ماذا جلبتِ لي اليوم؟

رفعت جيني حقيبة الكتب: «بعض الكتب من الشهر الماضي».

- لم أكن أتحدث عن الكتب أيتها الشابة.

ألقت جيني نظرة خاطفة عليَّ، ولأول مرة يمكنني تذكر أنها بدت متوترة.

قلت: «أنا... متدربها».

بدت المرأة أكثر سعادة الآن، أغلقتِ الصحيفة وأعطتْ جيني غمزة: «الشخص الذي أخبرتِني عنه، أليس كذلك؟».

قالت جيني: «بلى، هذا بول»

من النظرة على وجهها كان الأمر كما لو أنها لم تعد متأكدة من أن هذه فكرة جيدة. لكنْ بعد ذلك التفتت إليَّ.

- وهذه صديقتي ماري.

***

اتضح أن ماري كانت هي جونسون من اسم المكتبة. وكان روس اسم الرجل الذي كان يملكها من قبل وعملت لحسابه حتى تقاعد قبل عدة سنوات.

أخبرتني ماري: «لكنني احتفظتُ باسمه هناك أيضًا، فإن التقاليد مهمة، أليس كذلك؟ يجب أن يكون لديك نسب فإن الأماكن مثل الناس. عليهم أن يعرفوا من أين أتوا -وأين هم الآن- وإلا فلن يعرفوا أبدًا إلى أين هم ذاهبون».

وافقتُ على أن هذا صحيح، لكنْ بصراحة كان من الصعب فعل أي شيء آخر. كانت ماري قوة من قوى الطبيعة. أمضت العشرين دقيقة التالية في

التحرك بهمة وسرعة، تجرني لرؤية أجزاء مختلفة من المتجر وتطرح عليَّ الأسئلة طوال الوقت. كثيرًا ما كان الفعل الأخير مصحوبًا بنظرات مُسلِّية تجاه جيني، كما لو كانت مصممة على مضايقتها بقدر استجوابي.

- إذن كيف تقابلتما؟

قلت: «نذهب إلى المدرسة نفسها».

- هذه ليست إجابة على الإطلاق. تذهب جيني إلى المدرسة مع الكثير من الأولاد ولا أتذكر أنها أحضرتْ أيًّا منهم لمقابلتي من قبل.

رفعت جيني حاجبها.

قالت: «وأنتِ تتساءلين لماذا؟».

لكنْ يمكنني أن أقول إن توترها قد استقرَّ قليلًا الآن، وبدت سعيدة إلى حد ما، كما لو أن لقاء ماري كان نوعًا من المبادرة التي كنتُ أتمكن من تجاوزها حتى الآن. كان من الواضح أنها وماري تعرفان بعضهما لمدة طويلة وأن رأي المرأة عني مهم. من جانبي كان من الجيد رؤية جيني تسترخي قليلًا. لقد أُعجبتُ بمدى تحفُّظها دائمًا، لكنْ كان من الجيد أيضًا رؤيتها في راحة أكبر.

مثلما كانتْ تقول والدتي: **رؤية شخص ما على سجيته.**

لم أفهم هذا في ذلك الوقت، لكنْ بالنظر إلى الوراء الآن أستطيع رؤية هذا اللقاء برمَّته على حقيقته. فإن ماري كشخص أكبر وأكثر خبرة من جيني ومني كانت تمسك بأيدينا وتجذبنا معًا بشكل فعَّال، وهذا ما أجبرنا على الاقتراب نحو مرحلة المغازلة التي كنا لا نزال ندور حولها مبدئيًّا.

قلتُ: «نحن في نادي الكتابة الإبداعية معًا».

وأضافت جيني: «وهذا ما قلتُه لكِ فعلًا».

تظاهرتْ ماري بالنسيان: «طبعًا نعم. حسنًا، ستفهمان عندما تصلان إلى عمري. نادي الكتابة الإبداعية- هذا يذكرني، هل أرسلتِ قصتكِ إلى تلك المسابقة؟».

لَوَتْ جيني قسمات وجهها.

- نعم، لكنْ ليس كأن أي شيء سينتج عنها.

- اصمتي، أنتِ كاتبة جيدة جدًّا، هل قرأتَ أيًّا من قصصها يا بول؟

- واحدة فقط في النادي. أعني لقد استمعتُ لها، القصة التي تتحدث عن الكلب.

ضحكتْ ماري.

- لقد أحببتُها. إنها تؤثر فيك قليلًا بسلبية ربما، لكنْ بعض أفضل القصص تفعل كذلك.

أخبرتني جيني: «ماري هي خط المعرفة المحلية».

- هناك الكثير من القصص عن هذه الأجزاء، صدقني.

قالت جيني: «**أعلم**».

جذبتْني هذه الفكرة قليلًا. بقدر ما أتذكر فقد كنتُ أفكر في جريتن كمكان رمادي وممل، وكنت أحلم بالهروب منه وأن ينتهي بي الأمر في مكان أفضل. لم يخطرْ على بالي من قبل أن المكان الذي أعيش فيه قد يكون مثيرًا للاهتمام بطريقته الخاصة مثل أي مكان أتخيل الذهاب إليه.

- أرسل بول قصة أيضًا.

نظرت جيني إليَّ: «أعتقد؟».

- نعم.

لقد اتبعتُ تعليمات والدتي. وتذكرتُ الطريقة التي سخر بها والدي مني عندما طلبتُ منه ظرفين وطوابع: أحدهما لإرسال القصة والآخر بعنوان المرسِل إذا رُفِضَ وأُعيدَ.

عندما يُرفض.

- لكن لا شيء سينتج عن قصتي أيضًا.

استدرتُ إلى جيني وأضفتُ بسرعة: «لا أعني أنه لن ينتج عن قصتكَ شيء. أنا متأكد من أنه سينتج. ستكون قصتكِ أفضل بكثير من قصتي».

- أنت لم تقرأ قصتي بعد.

- لا. لكني أود ذلك، أعني إذا كنتِ تريدين مني ذلك.

- نعم طبعًا. لكنْ فقط إذا كنتَ تريد ذلك.

تابعتْ ماري محادثتنا وهي تُحرِّك نظراتها ذهابًا وإيابًا بيننا، وتعبير مثير للشك على وجهها.

- المراهقون!

قالت جيني: «ماذا قلتِ؟».

- لا شيء يا حبيبتي. على أي حال- دعيني أرى ماذا أحضرتِ من أجلي، من ناحية الكتاب.

بدأتْ جيني في تفريغ الحقيبة وشرعت الاثنتان في مراجعة المحتويات. كانت جميع الكتب مستعملة وافترضتُ أنها اشتُرِيَتْ من هنا. بينما كنت أشاهد ماري وهي تتحقق من الأسعار المقلَّمة على الأغلفة الداخلية وتضع قائمة بالأرقام على ورقة، خمنتُ أنه بالنسبة إلى بعض عملائها على الأقل كان هذا المكان يعمل بفعَّالية كمكتبة للقراءة بقدر ما يعمل كمكتبة للبيع.

نظرتْ ماري من فوق نظارتها.

- هل يمكنكَ أن تكون لطيفًا بما يكفي لتقدِّم لي معروفًا يا بول؟

- طبعًا.

- ممتاز! أنا أحبُّه كثيرًا فعلًا يا جيني. حقًّا تبدو كأنك فتى كبير وقوي ولديَّ صندوق من الكتب في الخارج الذي أحتاج إلى شخص ما حتى يجلبه، أستكون لطيفًا بما يكفي لفعل ذلك من أجلي؟

- بالتأكيد.

جلبت ماري مجموعة من المفاتيح من أسفل المنضدة ومدتها إليَّ.

أومأتْ برأسها نحو الجزء الخلفي من المتجر: «يمكنكَ الذهاب من هناك، فقط اتبع الممر وستجد سيارتي في الخارج. إنها سيارة فورد برتقالية اللون قديمة. لا يمكنك تفويتها فإنها الوحيدة هناك».

أخذتُ المفاتيح.

- إن الصندوق في حقيبة السيارة. لكنْ كنْ حذرًا، فإنَّ المعدن يلتقط حرارة الشمس ولا أريدك أن تحرق يديك.

رفعتْ حاجبها لجيني: «أنا متأكدة من أن جيني لا تريد ذلك أيضًا».

كانت لديَّ الفرصة لرؤية جيني تتحول إلى اللون الأحمر بشكل رهيب قبل أن أغلق التعليق داخل رأسي وأسرع إلى الجزء الخلفي من المتجر.

***

بدا أن النصف الأخير من الفصل الدراسي في المدرسة يمر ببطء شديد. وجدتُ نفسي أحسب الأيام حتى العطلة الصيفية في محاولة يائسة لرؤية الجزء الخلفي من جريتن بارك على الأقل لمدة قصيرة.

بذلتُ قصارى جهدي لتجنب تشارلي وبيلي وجيمس وفي الغالب نجحتُ. لكنْ ليس دائمًا طبعًا، فهناك تلك الأوقات التي أراهم فيها- أوقات لم أشعر أنها كانت مصادفات قطُّ. كان جيمس يحدق إلى الأرض، ويبتسم تشارلي بجانبه كما لو كان يتباهى بكأس فاز بها.

كنتُ دائمًا ما أنظر بعيدًا بسرعة.

عليهم اللعنة.

لكنْ حتى عندما لم أقابلهم مباشرة كانت توجد أوقات شعرتُ بهم بطريقة ما. كلما كنتُ بالقرب من الدرج الذي يؤدى إلى الغرفة C5b، كان الأمر كما لو كنتُ أشعر بنبض قلب ينبض بثبات تحتي، ووجدتُ نفسي أتساءل عما يحدث هناك، وما كان يحلم به الثلاثة معًا.

لكنني قضيتُ أكبر وقت ممكن مع جيني. كنا نتشارك مقعدها في أوقات الاستراحة والغداء، حتى بدأ يبدو كأنه مقعدنا أكثر من مقعدها. كنا نقارن الملاحظات على الكتب التي قرأناها والقصص التي فكرنا فيها، نجلس ونتحدث وفي بعض الأحيان نتجول حول المكان معًا. كنتُ أزور منزلها في عطلات نهاية الأسبوع. كانت والدتها دائمًا في المنزل لذلك كانت فرصنا

محدودة، لكنني أتذكر أننا أمضينا الكثير من الوقت في غرفتها نتبادل القبل. كان الاتصال بيننا مزدهرًا. لم أشعر قطُّ بهذه الراحة والاسترخاء مع أي شخص آخر -كنتُ قادرًا على أن أكون نفسي دون أن أقلق من أن كوني على طبيعتي قد يكون مشكلة- ومعرفة أنها شعرتْ بالشيء نفسه كانت كافية لسلب أنفاسي.

وطبعًا كنا نذهب إلى المكتبة.

كانت ماري تعطينا القهوة والكعك والتعليق البذيء المعتاد، لكنَّ الأخير أصبح أقل إحراجًا بمرور الوقت، جزئيًّا لأن جيني وأنا كنا أكثر استرخاءً مع بعضنا، لكنْ أيضًا لأن ماري كانت خلفنا قليلًا في ذلك الوقت. لكنْ في الغالب تحدثنا ثلاثتنا فقط. أحببتُ ماري وأخذتُ أساعدها في أثناء زياراتنا: أنقل الصناديق وأفرغها وأنظم الرفوف.

ذات مرة كانت تتحدث مع جيني عندما اقترب أحد العملاء من المنضدة، ونادتني.

- بول؟ هل يمكنكَ خدمة هذا الرجل من أجلي، من فضلك؟

- بالتأكيد.

لم تكنْ لديَّ أي فكرة على الإطلاق عن كيفية عمل السجل. ضغطتُ عددًا قليلًا من الأزرار الأكثر وضوحًا، وتخبطتُ مع الدرج، وأجريتُ الحسابات في رأسي.

جاءت ماري إليَّ بعد ذلك.

- اقتربتِ العطلة الصيفية، أليس كذلك؟

- تبقى عشرة أيام.

تظاهرتُ بفحص ساعة يدي التي لم تكن لديَّ: «ستة عشر ساعة وعشر دقائق وخمسة عشر ثانية».

ضحكتْ.

- حسنًا كنت أفكر في أنكَ سيكون لديك الكثير من وقت الفراغ.

ثم نظرتْ إلى جيني: «وأعتقد أنكَ ستكون في المنطقة، لذلك كنت أتساءل أكنت تريد وظيفة؟».

رمشت ثم نظرت حول المتجر.

- أتعنين **هنا**؟

قالت بسرعة: «دعني أريك كيف تستخدم الخزنة».

***

كانت والدتي سعيدة لأنني وجدتُ وظيفة بدوام جزئي لأشغل وقتي.

قالت: «في مكتبة أيضًا!».

ربما توقعتُ أن يكون والدي سعيدًا أيضًا، لكنني تخليتُ منذ مدة طويلة عن الأمل في إثارة إعجابه، وإذا كان أي شيء في المكتبة جزء من المعادلة -ومكتبة للكتب المستعملة- بدا أنها تستحق ازدراءً أكبر من المعتاد. لكنْ بدلًا من الشعور بالإحباط وجدتُ نفسي مشجعًا إلى حد ما. شعرتُ كأن العمل في **جونسون وروس** جعلني بطريقة ما أقرب إلى حلمي.

عندما بدأتِ العطلة ساعدتُ ماري ثلاثة أيام في الأسبوع، وبمجرد أن أتقنتُ التعامل مع الخزنة حتى وجدتُ العمل مجزيًا. كانت هناك أرفف يجب تنظيمها وصناديق يجب تعبئتها وتفريغها، وعملاء منتظمون للبدء في تعرُّفهم. كانت ماري أقل استفزازًا بكثير دون وجود جيني حولنا لتضايقني. أرتني بعضًا من الكتب باهظة الثمن في المتجر، حتى إنها بدأت في تعليمي كيفية تعرُّف ما قد يكون إصدارًا قيِّمًا. أحببتُها أكثر فأكثر. وكانت جيني على حق، فقد كانت ماري مليئة بالقصص. كانت مثل مستودع متحرك لتاريخ المنطقة، ولم يمر يوم لم تملأني فيه ببعض الحكايات المحلية الرائعة.

واصلتُ محاولة كتابة حكايات خاصة بي في وقت متأخر من الليل بعد ذهاب والديَّ إلى الفراش. كان الأمر صعبًا. فبينما لم أكن أعاني نقصًا في الأفكار جاءت المشكلة عندما جلستُ إلى مكتبي وحاولتُ وصف الأفكار بالكلمات. كانت ماري راوية قصص طبيعية وشككتُ في أن جيني كانت

كذلك أيضًا. لكنْ ليس أنا. الأفكار التي شعرتُ أنها جيدة في رأسي خرجتْ سطحية وبلا حياة على الورق. بدأتُ كثيرًا ولم أنهِ شيئًا.

قضيتُ بقية الوقت مع جيني.

أخافتني قوة شعوري تجاهها. كان من الغريب الاعتقاد بأنه في بداية العام الدراسي بالكاد لاحظتها على الإطلاق. الآن بالكاد يمكنني التوقف عن التفكير فيها. ينبض قلبي بغرابة كما لو أن نبضي يأخذ دروسًا سرية ويتعلم حيلًا جديدة وغير مألوفة. عندما لم نكن في منزلها كنا نسير ببطء حول شوارع منطقتها في جريتن. أرتني الحديقة التي لعبت فيها عندما كانت صغيرة، والمتاجر التي تذكرتها ولم تعد موجودة بعد الآن. على أحد المستويات كان كل هذا غير مهم، لكنْ جعلت العلاقة الحميمة كل التفاصيل حية ومميزة. كان الجوُّ حارًا ومشرقًا، وفجأة وجدت نفسي ألاحظ الألوان في كل مكان. كان الصيف هنا. وكان العالم الباهت والرمادي سابقًا يزداد حيوية يومًا بعد يوم.

ولم أرَ تشارلي أو بيلي أو جيمس على الإطلاق.

بعد كل هذه السنوات عندما رأيتُ جيني لأول مرة عند عودتها إلى جريتن ذكَّرتني أن هناك ذكريات جيدة لي هنا بالإضافة إلى السيئة. كان هذا صحيحًا، فقد كانوا كلهم هنا حيث وقعتُ في الحب لأول مرة. الأسابيع الثلاثة في بداية تلك العطلة هي الأسعد في حياتي كلها.

كان في الأسبوع الرابع إذ سار كل شيء خطأ.

28
الحاضر

غمرني شعور من الإدراك بمجرد دخولي إلى **جونسون وروس** مرة أخرى بعد كل هذه السنوات.

ربما جُدِّدَ المظهر الخارجي لكنْ قد تغيَّر القليل جدًّا في الداخل. كانت جميع الرفوف والخزائن مليئة بالكتب، الكثير منها قديم جدًّا ومتهالك لدرجة أنه كان من السهل تصديق أنها الكتب نفسها التي كانت هنا في ذلك الوقت، وظلَّت الرائحة والجو تمامًا كما أتذكر. كان كل إحساس شديدًا لدرجة أنني تذكرتُ زيارتي الأولى هنا، وكيف شعرتُ كأنني عدتُ إلى المنزل، وللحظة تساءلت أكان من الممكن أن يكون ذلك لفتة من المستقبل مستحيلة من ذلك الحين إلى الآن. ذاكرة مدفونة لا تخرج من الماضي بل من المستقبل.

شققتُ طريقي بشكل غير مستقر في الممر.

لم يكنْ على المنضدة أحد، وعندما نظرتُ حولي واستمعتُ لاحظتُ أنه لا يبدو أن هناك أيَّ عملاء آخرين في المحل أيضًا. كثيرًا ما كان الأمر كذلك عندما كنت أعمل هنا. ففي اللحظات الأقل ازدحامًا في ذلك الصيف كنت فقط أجلس بهدوء مُتنفِسًا الكتب. كانت هناك أوقات شعرتُ فيها أنني أستطيع سماع صوت طويِ الصفحات من حولي قليلًا، كما لو أن القصص بداخلها كانت تتقلب بهدوء في أثناء نومها.

لا أعتقد أن ماري ما زالت هنا، أليس كذلك؟

لم أكنْ أعرف أيَّ إجابة عن هذا السؤال جعلتني أكثر قلقًا: أنها انتقلت أم إنني قد أكون على وشك رؤيتها مرة أخرى بعد كل هذا الوقت.

كيف سيجعلني أي منهما أشعر؟

سمعتُ ضوضاء من الجزء الخلفي من المتجر.

نادى صوت امرأة: «سآتي، تحمَّل معي».

بدأ قلبي ينبض بسرعة. فكرتُ **أنه لم يفتِ الأوان بعد،** فحتى الآن يمكنني الالتفاف والخروج من هنا قبل أن تظهر، لكنني أجبرتُ نفسي على الانتظار. وأخيرًا خرجتْ من بين الأكوام. كانت أكبر سنًّا بوضوح -الشعر المصبوغ بالأشقر أصبح قصيرًا الآن ولونه أبيض طبيعي- وكانت تمشي بغرابة بعض الشيء، لكن بالنسبة إليَّ فإنها لم تتغير مثلما لم يفعل المتجر نفسه.

لم تكن ماري تتوقع رؤيتي طبعًا لذلك مضتْ بضع ثوانٍ وهي تنظر إليَّ بلا تعابير على وجهها، ربما بسبب الحدة التي كنتُ أبادلها بها النظر. لكنْ بعد ذلك تعرَّفتني وارتسمتْ على وجهها ابتسامة جعلت التجاعيد في زوايا عينيها تظهر على نطاق أوسع.

- **بول.**

مشتْ ببطء ثم عانقتني.

كيف كان شعور رؤيتها بعد كل هذا الوقت؟

ومرة أخرى كان الأمر أشبه بالعودة إلى المنزل.

***

قلَبتْ ماري اللافتة على الباب إلى «مغلق»، ثم أعدتْ لنا القهوة في منطقة المطبخ الصغيرة خلف المنضدة.

- أخشى أنه ليس لديَّ كعك.

قلت: «لا بأس، أنا لستُ جائعًا».

- لا، لكن يبدو بالتأكيد أنك تحتاج إليه مع القهوة.

هل يبدو عليَّ؟ ما زلتُ أشعر بالتعب من هذا الصباح، لكنني لم أدركْ مدى وضوح الأمر. ربما كان هذا سببًا آخر بسببه اعتقدتِ الشرطة أنني أفقد سيطرتي على الأشياء.

- لم أكن أنام جيدًا.

- هذا المفهوم. لا يمكن أن يكون الأمر سهلًا.

قلت: «أنا سعيد لأنكِ ما زلتِ هنا».

- هذا ليس سهلًا أيضًا. لقد صمدتُ لأطول مدة ممكنة ومع ذلك فلا أعتقد أنه تبقى لديَّ الكثير من القوة.

- لا أصدق ذلك ولو لثانية واحدة.

ابتسمتْ ثم نفختْ في قهوتها وأخذتْ رشفة.

- أنا آسفة لما حدث لوالدتك يا بول، إنها امرأة جميلة.

فاجأني ذلك: «هل تعرفينها؟».

- قليلًا لكنْ ليس جيدًا، لكنها كانت تأتي إلى هنا كثيرًا.

فكرتُ في ذلك.

- يبدو أنها أصبحت قارئة.

- بعد وفاة والدك، نعم.

أومأتُ لنفسي.

كان والدي قاسيًا وغير رحيم، رجل عَمِلَ في زراعة الأرض في الوقت الذي كانت الوظائف الأخرى فيه متاحة، ولكنه دائمًا ما بدا أكثر فخرًا بالطريقة التي عملتْ بها الأرض، كما لو أن الصلابة التي تحققت من خلال المعاناة كانتْ شيئًا يطمع فيه. لم تكن الكتب منطقية بالنسبة إليه وكذلك لم أكنْ أنا أيضًا منطقيًّا بالنسبة إليه- ابنه الهادئ محب الكتب الذي دائمًا ما كان يتجوَّل بعيدًا في الطابق العلوي ضائعًا في قصص الآخرين أو يتخبَّط لخلق حكايات خاصة به.

تذكرتُ الصورة التي رأيتُها لأمي عندما كانتْ طفلة تستلقي على العشب المضاء بنور الشمس مع كتاب مفتوح أمامها. ووجدتُ أنه من السهل تخيُّلها تحررتْ من رفض أبي وأخيرًا تسعى خلف شغف مكبوت للقراءة. ربما كانت صورة مريحة لكنْ بدلًا من ذلك فكرتُ في امرأة وحيدة، يائسة للتواصل، تبحث عن العزاء والتواصل في الأماكن الوحيدة التي تمكنتْ من العثور عليها، وغمرتني موجة هائلة من الذنب أنني لم أكن واحدًا منها.

أنتَ لا تُريني أي شيء يا بول.

قلت: «كيف كانت؟ أعني مؤخرًا».

ترددت ماري.

ارتشفتُ قهوتي: «لا بأس، أريد أن أسمع. أعرف فعلًا أنها كانت مضطربة في أغلب الأحيان».

- نعم، كانت كذلك في بعض الأحيان.

وضعتْ ماري كوبها على المنضدة ونظرتْ إليه بعناية. كان كلانا يعلم أنها أخبرتْني بشيء في الماضي أدى إلى عواقب لا يمكن تصورها، ويمكنني أن أرى أنها كانت تزن التأثير الذي قد تُحدِثه كلماتها الآن.

قلت: «تابعي».

- كانت تسأل عنكَ.

- عني؟

- نعم، كانت توجد أوقات إذ اعتقدتْ فيها أنكَ ما زلتَ تعمل هنا، ثم أيام أخرى إذ كانت تبحث عن كتب لك. ظلتْ تقول إنني بحاجة إلى الحصول على بعض من كتبك. لطالما أخبرتْني أنها ستطير من على الأرفف.

لم أجِب.

ابتسمتْ ماري: «قلتُ إنني سأحاول طبعًا، أخبرتُها أنني اعتقدتُ أنه كان لدينا كتابان من قبل لكنهما بيعا فعلًا. هذا النوع من الأشياء».

- لا بدَّ أنه كان... من الصعب التعامل معها.

- لم يكن من الصعب قطُّ أن تكون لطيفًا مع والدتك يا بول.

فكرت: **لا**، لم يكن ليكون كذلك. لأن والدتي نفسها كانت دائمًا لطيفة، ليس فقط معي، لكنْ مع الجميع. جلبتِ المعرفة موجة من الحزن. وخطر على بالي الآن أنني أهدرتُ سنوات عدَّة، وأنه كان هناك الكثير مما أردتُ أن أقوله لها في حين لم يزل هناك متسع من الوقت لتسمع.

قالت ماري: «كان لديها الكثير من الأصدقاء كما تعلم، لم تكن غير سعيدة. وكانت فخورة جدًّا بك».

- لم يكن لديها سبب لتكون كذلك.

- حسنًا، الآن أنا متأكدة من أن هذا ليس صحيحًا.

صمتٌّ.

أعتقد أنك ستصبح كاتبًا.

في يوم من الأيام كنت أتخيل ذلك أيضًا. لكنني تذكرت يومًا في ذلك العام قبل نهاية الفصل الدراسي الأخير عندما نزلت إلى الطابق السفلي لأجد ظرفًا ينتظرني. حتى من مدخل المطبخ تعرفتُ خطَّ يدي في المقدمة جنبًا إلى جنب مع الختم الذي وضعتُه في الزاوية. في الأسابيع التي تلت إرسالي قصتي القصيرة للمنافسة قد بذلتُ قصارى جهدي لعدم التفكير فيها، مخبرًا نفسي أن القصة لم تكن جيدة جدًّا وأنها لن تُقبَل وأنه لم تكن من رفع آمالي فائدة. لكنَّ معرفة أنها كانت هناك لا تزال تخلق رفرفة ناعمة في قلبي، كما لو كان يعيش هناك طائرٌ. شعرت أن جزءًا مني قد ترك هذا المكان وانطلق إلى العالم، وفي أعماقي سمحت لنفسي بتخيل أنه قد يجد منزلًا هناك.

عندما فتحتُ الظرف كانت القصة القصيرة بالداخل إلى جانب قسيمة رفض تُعرِب عن أسفها لأن في هذه المناسبة لم يكن تقديمي ناجحًا.

تذكرتُ قراءتها عدة مرات، وكيف شعرتُ أن كل ما كان يعيش في صدري في الأسابيع القليلة الماضية قد مات.

اعترفتُ لماري: «أتعلَّم القليل من الكتابة الإبداعية الآن، هذا جزء مما أفعله لكنني في الواقع لم أعد أكتب».

- يا للأسف، لماذا توقفت؟

- لأنني كنت أعرف أنني لن أكون جيدًا بما يكفي.

لكنَّ هذا لم يكن صحيحًا تمامًا. لأن الحقيقة هي أنني لم أعمل بجد بما يكفي لمعرفة ذلك، ويجب أن أكون صادقًا بشأن ذلك.

- بعد ما حدث شعرتُ أنه لم يكن هناك سوى قصة واحدة من شأنها أن تكون مهمة، ولا أعتقد أنني قد تكون لديَّ الكلمات للكتابة عنها.

- ربما سيتغير ذلك.

- لا أعتقد ذلك. إنها ليست قصة لها نهاية.

- ليس بعد.

فكرتُ في الأشخاص الذين يبحثون في القضية خلال الإنترنت، غرباء تمامًا كانوا لا يزالون مصممين على حل لغز اختفاء تشارلي، حتى بعد كل هذه السنوات.

قلت: «هذا كله لم يعد مهمًّا، إنه من الماضي الآن. على مسافة طريق طويل خلفي».

ابتسمتْ ماري مجددًا.

- لا أعتقد أن الوقت يعمل بهذه الطريقة يا بول. فمع تقدُّمك في السن يبدأ كل شيء في التشوش حتى يصبحوا شيئًا واحدًا. ثم تبدأ في التفكير أن الحياة لم تكن قطُّ أي نوع من الخط المستقيم ولكنها دائمًا ما كانت كـ... الخربشة.

ضحكتُ بهدوء، لقد كان تعليقًا بلا جدوى لكنْ أذهلني الوصف. ففي كل مكان نظرت إليه في جريتن تمكنتُ من رؤية آثار الماضي أسفل التفاصيل التي حفرتْها السنوات في الأعلى. الأماكن والناس. لم يزل الماضي كله موجودًا

أسفل الحاضر، ليس خطًّا بل خربشة. مهما حاولتُ كثيرًا نسيانه ربما دون أن أدرك ذلك فقد كنتُ فقط أركض في المكان نفسه.

كنتُ على وشك أن أقول شيئًا آخر -أسأل المزيد عن أمي والكتب التي أحبتْها والأشياء التي قالتْها- عندما رنَّ هاتفي في جيبي.

مكالمة من سالي. مكتبة سُر مَن قرأ

أجبتُها ثم استمعتُ، ووجدتُ نفسي أجيب في الأوقات المناسبة بهدوء ورسمية وبدافع الغريزة تقريبًا، شاهدتْني ماري طوال الوقت ووجهها مليء بالتعاطف لأنها كانت تعلم.

عندما انتهتِ المكالمة هجرتْني كل الأسئلة التي كنتُ أنوي طرحَها قبل دقيقة، ولمْ يتبقَّ سوى عدد قليل من الكلمات لقولها، وقد فعلتُ ذلك بهدوء شديد.

قلت: «ماتت أمي».

***

لم تكنْ سالي في دار رعاية المسنين عندما وصلتُ وأطلعتْني ممرضة على الغرفة. كانت محترمة لكنها محترفة. إذ أخبرتني في البهو **أنها آسفة جدًّا بشأن والدتي**، ثم لم تتحدث بعدها على الإطلاق وكنا نسير معًا. كان هناك بلا شك عدد لا يحصى من الشكليات والإجراءات التي يجب الاهتمام بها، لكنْ كان من الواضح من طريقتها أن هؤلاء يمكن أن نهتم بهم لاحقًا.

في الوقت الحالي كان يوجد هذا ببساطة.

توقفنا خارج الباب.

قالت: «خذِ الوقت الذي تحتاج إليه».

فكرت: **خمسة وعشرون عامًا.**

كان الجو هادئًا ومسالمًا في الغرفة. أغلقتُ الباب بلطف كما لو أنني دخلتُ على شخص يستيقظ ببطء بدلًا من شخص لن يفعل ذلك أبدًا. كانت والدتي مستلقية على السرير كما هي الحال دائمًا. لكن بينما كان رأسها مدعومًا

على الوسادة فقد بدت فعلًا كأنها ضائعة في الفراش. جلستُ بجانب السرير مصدومًا بسبب شعور الفقد في الغرفة. كان جلد أمي أصفر ورقيقًا مثل ورق استشفاف فوق ملامح الجمجمة تحته. كانت عيناها مغمضتين وفمها مفتوحًا قليلًا. كانت ساكنة بشكل غير طبيعي يكاد يكون مستحيلًا. لكن اعتقدتُ **أنها لم تكن هي على الإطلاق** لأن هذه لم تكن أمي، كان جسدها هنا لكنها نفسها لم تكن كذلك.

كانت خلال زياراتي السابقة بعض الأوقات عندما كانت أنفاسها ضحلة للغاية وجسدها ساكنًا بلا حَراك لدرجة أنني تساءلت أكانت قد ماتت. والشيء الوحيد الذي أقنعني بخلاف ذلك كان الصفير الناعم للآلات بجانب السرير، وحتى ذلك بدا كأنه خدعة في بعض الأحيان. كانت تلك الآلة صامتة الآن، وكان الاختلاف عميقًا. لم أكن قطُّ رجلًا متدينًا من قبل، لكن كان من الواضح أن شرارة الحيوية قد غادرت هذه الغرفة وكان من الصعب ألا أتساءل إلى أين يمكن أن تذهب، فلا يبدو أنه من الممكن أن تختفي تمامًا. هذا لم يكن منطقيًّا.

شعرتُ بالخدر لكن بطريقة غريبة، كان الصمت في الغرفة مهيبًا لدرجة أنه بدا غير مناسب للعاطفة التي كنتُ أعرف أنها ستأتي لأنه رغم كل شيء فقد كنتُ أحب أمي.

وهذا ما أخبرتُها به بالأمس عندما كانت نائمة.

عندما لم تكن لتسمع.

فكرتُ كيف ستكون الأمور مختلفة بيننا إذا لم يفعل تشارلي وبيلي ما فعلاه. ما المسار الذي ربما كانت ستأخذه حياتي- وأين كان من الممكن أن ينتهي بي الأمر أنا وأمي، بدلًا من هذه اللحظة الآن.

فكرت: **عليكم اللعنة.**

لقد أخافتني أحداث الأيام القليلة الماضية وظل هذا الخوف قائمًا. وكان الشعور بالتهديد لا يزال موجودًا.

لكن كان بجانبه غضب يحترق الآن.

بعد وقت قليل -لم أكن متأكدًا من المدة- أصبحتُ على دراية بالأصوات الهادئة خارج الغرفة ثم كان هناك طرق على الباب، لذا وقفتُ وشققتُ طريقي. كانت الممرضة في الممر ووصلتْ سالي أيضًا.

- أنا آسفة جدًّا يا سيد آدامز.

وضعتْ سالي يدها برفق على ذراعي ثم مررتْ لي منديلًا. أدركتُ في مرحلة ما أنني كنت أبكي.

قلتُ: «نعم، إن النافذة مفتوحة والتهاب الأنف يكون كالجحيم في هذا الوقت من السنة».

ابتسمت سالي بلطف.

قلت: «اسمعي، شكرًا لكِ لكل شيء فعلتِه. أفترض أنه ليس لديَّ الكثير من الحق في قول ذلك بعد كل شيء، لكنَّ أمي كانت ستريدني أن أشكركِ وأنا آسف عما حدث في وقت سابق».

- لست بحاجة إلى الاعتذار، وعلى الرحب والسعة.

بدأتْ تتحدث معي عن الجوانب العملية لما سيحدث بعد ذلك، والترتيبات التي سأحتاج إلى إجرائها. لم أتأثر بالكلمات رغم أني كنتُ أعرف أنني يجب أن أتذكر كل هذا، لكنني لم أستطع التركيز. كل ما استطعتُ استيعابه هو أن التنظيم سيستغرق بضعة أيام.

قالت سالي: «هل أنت قادر على البقاء؟».

فكرتُ في كل ما حدث، كيف كنتُ خائفًا وكيف كان كل ما أردتُه حقًّا هو الهروب من هنا ونسيان الماضي وكيف -مهما كان ما يحدث هنا- لم يكن هذا ما كنتُ سأفعله، لأنه إلى جانب الخوف كان هذا الغضب لا يزال يحترق.

قلت: «نعم، أنا قادر».

29

حلَّ الليل بحلول الوقت الذي عادت فيه أماندا من برينفيلد، البلدة التي تتبعوا حساب CC666 إليها، وقادت ببطء وحذر على طول الطريق المزدوج الذي أدى إلى جريتن وود، غمرت أضواء الشارع أعلاه السيارة في موجات متقطعة من لون العنبر كان تأثير منوم يبدو أنه يدفعها إلى نوع من حالة الأحلام. لم يبدُ العالم خارج السيارة حقيقيًّا تمامًا. كانت تحاول التركيز، لكن أصبح عقلها مشتتًا وكانت أفكارها ترفض أن تترسخ.

أخذتِ المنعطف إلى اليسار عندما وصلت. كانت القرية أمامها مظلمة وساكنة، ولم تكن الشوارع سوى ممرات ترابية ومنازل مثل الأكواخ الخشبية المصنوعة يدويًّا نصف مدفونة في الكآبة على قطع منفصلة من الأرض. في أثناء قيادتها للسيارة رصدتْ بعض النوافذ المضاءة هنا وهناك -مثل طوابع صغيرة من الإضاءة في الليل- لكنها لم ترَ أي علامات حقيقية للحياة.

ويلوح الجدار الأسود للغابة في الأفق فوق كل ذلك من بعيد.

أوقفت سيارتها بعد دقيقتين خارج منزل بدا مهجورًا أكثر من البقية وترجَّلت من السيارة. تردد صدى صوت إغلاق الباب حول الشوارع الفارغة ونظرتْ حولها بقلق قليلًا، كما لو أنها ربما أزعجتْ شخصًا ما أو شيء من هذا القبيل، لم يكن هناك أحد بالجوار، لكن رغم قلة النشاط المرئي حولها فإنها كان لديها إحساس بعيون تستدير لتنظر إليها.

أن وجودها أصبح مُلاحَظًا

وجعلها ذلك خائفة خاصةً بعد أحداث اليومين الماضيين.

أعادت أنظارها إلى المنزل. كانت البوابة الأمامية مكسورة وتتدلى من مفصلة واحدة صدئة. تجاوزتها وتوجَّهت إلى الطريق المتضخم نحو الباب الأمامي. كانت النوافذ المتصدعة على كلا الجانبين رمادية وضبابية، والزجاج من الداخل مُلصق بصحيفة صفراء. إذا كان لديها كشاف ربما كانت ستقدر على قراءة العناوين الرئيسية للأخبار -حكايات من عصر مختلف- لكنْ كان الإحساس بأنها مُراقبة قويًّا لدرجة أنها كانت مترددة في لفت الانتباه إلى نفسها.

جرَّبت إدارة مقبض الباب.

مغلق طبعًا.

تراجعتْ خطوة إلى الوراء ونظرت إلى الخشب المخدوش لواجهة المنزل. كانت النوافذ أعلاه مظلمة بالدخان مثل مصابيح كهربائية مكسورة، وكان جزء من المزاريب معلقًا. كما كانت تنمو طحالب بين الضوء فوق الباب.

تبًّا لذلك.

أخرجتْ هاتفها وشغَّلت الكشاف ثم صعدت بحذر إلى أحراجِ العشب على أحد جوانب الممر، ثم سلَّطت الضوء من خلال نافذة حيث ابتعدت قطعة من الجرائد عن لوح الزجاج. انتقل الشعاع بصمت فوق الغرفة الفارغة بالداخل، ليتدحرج الضوء والظل فوق ألواح الأرضية العارية والجدران المكسوة بالرطوبة.

أغلقت أماندا الضوء.

لم يكن يوجد أحد هنا وكان المنزل مهجورًا منذ مدة طويلة. لكنَّ هذا كان المكان الذي عاش فيه إيلين وكارل داوسون، وحيث نشأ جيمس قبل خمسة وعشرين عامًا. كان هذا هو المكان حيث أصر تشارلي كرابتري على الانطلاق منه عندما قاد الأولاد في رحلاتهم إلى الغابة الواقعة في الخلف.

استمرَّت إيلين وكارل داوسون في العيش هنا حتى قبل نحو عشر سنوات، وعند نقطة ما ورث كارل مبلغًا صغيرًا من المال وقرر الزوجان أخيرًا الابتعاد

عن جريتن وود، ولكنهما لم يتمكنا من بيع المنزل لأنه من سيريد شراء عقار في مكان كهذا؟ لكنْ رغم ذلك. حزما أغراضهما وهربا من هنا تاركين المنزل وكل الذكريات السيئة التي حملها مغلقة خلفهم.

وانتقلا على بعد نحو مائة كيلومتر إلى برينفيلد.

***

بالعودة إلى السيارة قادت أماندا في بعض الشوارع وأوقفتْ سيارتها خارج العنوان المسجل لدافني آدامز. كان من المفترض أن يكون مكان إقامة بول، ومع ذلك في حين أنه حوفِظَ على العقار بشكل هامشي أفضل من الذي رأته للتو فقد كان هناك الشعور نفسه بالفراغ كسابقه في أثناء سيرها في الممر الأمامي. كان المنزل نفسه مظلمًا وهادئًا، وانقبض قلبها عندما اقتربتْ، نظرتْ إلى الشارع ولم تكن سيارة بول موجودة، إذن هو لن يكون كذلك أيضًا.

طرقتِ الباب وانتظرت.

لا تتوقع ردًّا، ولم تحصل على واحد.

ازداد شعورها بالإحباط، فقد كانت بحاجة إلى التحدث معه. أين كان بحق الجحيم؟ كانت تعلم أنه ذهب إلى قسم شرطة جريتن في وقت سابق وأبلغ عن دمية أرسِلَتْ من خلال بابه، لكنَّ الضابط الذي تحدث إليه -هولدر- لم يأخذ الأمر على محمل الجد. لقد كانت واحدة من سلسلة من الأخطاء التي ارتُكِبَتْ، وافترضت أن بعضها يعود إليها. فلم يكن لديها حتى رقم اتصال لبول. لقد اكتشفتْ أنه كان هنا في جريتن بعد مهاتفة الجامعة حيث كان يعمل، لكنْ لم يكن هناك أحد ليجيب على مكالماتها في هذا الوقت من الليل. كان لديها شك متسلل في أن ثيو سيتمكن من مساعدتها، لكنها جرَّبت فعلًا الرقم الذي كان بحوزتها وقد أُنهِي العمل لليوم.

تراجعت إلى الخلف.

لم تكن الحديقة متضخمة هنا كما في منزل داوسون القديم، وبعد لحظة من التردد أضاءت أماندا كشاف هاتفها مرة أخرى، ثم شقَّت طريقها إلى

جانب المنزل وأسفل الممر المتشابك الذي يؤدي إلى الخلف. لقد استمعت بعناية طوال الوقت ولكنها لم تسمع سوى الاندفاع الطفيف لنسيم الليل. عندما وصلت إلى الحديقة الخلفية وجَّهت الشعاع خلالها. لم يصل الضوء إلى بعيد لكنها تمكنت من رؤية الخط الضبابي للسياج السلكي في الأسفل، وتستشعر السواد الشاسع الذي لا يمكن اختراقه للغابة خلفه.

الغابة حيث اختفى تشارلي كرابتري.

ارتجفت.

تشارلي ميت.

لم تعد أماندا متأكدة من صحة ذلك. وبينما كانت تحدق إلى الامتداد المظلم لذلك الشجر الذي لا نهاية له وتساءلت من أو ماذا يمكن أن يتحرك هناك الآن.

رغم توجهها إلى برينفيلد في وقت سابق فإنها لم تصل قطُّ إلى منزل كارل وإيلين داوسون. كانت قد اتصلت سلفًا بقسم شرطة برينفيلد على سبيل الاحترام في أثناء وجودها في الطريق، وقيل لها إن الشرطة كانت موجودة فعلًا في العقار. لأنه في ذلك الصباح عُثِرَ على رجل وامرأة مذبوحين هناك.

أنا قلق من أن هذا له علاقة بسبب وجودي هنا.

تذكرت دواير وهو يدير عينيه على الكلام، وما أخبرتْه به بعد ذلك. أنه إذا كان مخطئًا فهذا يعني أن القاتل لا يزال موجودًا، وكانت قلقة بشأن ما قد يفعله بعد ذلك.

أين أنت يا بول؟

حدَّقَتْ أماندا إلى الغابة السوداء أمامها الآن. الظلال كما أطلقوا عليها هنا. لم تسمع شيئًا بخلاف الصمت الشديد لكنها شعرتْ بثقل الماضي الذي يكمن بداخلها. الماضي الذي يبدو أنه عاد الآن.

الماضي الذي كان يسلب حياةً بعد حياة.

الجزء الثالث

30

الماضي

الأسبوع الرابع من العطلة الصيفية.

كنتُ في منزل جيني في غرفة نومها نتبادل القبل، لم تكن والدتها تبدو كأنها تمانع قضاء جيني الوقت بمفردها مع صبي في غرفتها، لكنْ كان الباب مفتوحًا وكانت تستمر في الصعود والهبوط من الدرج والعمل بلا كلل. في مرحلة ما سمعناها على السلم ثم ابتعدنا عن بعضنا بسرعة، وقفت جيني مبتعدةً عن السرير حيث كنا شبه مستلقيين. أتذكر أن والدتها كانت تغني لنفسها شاردة الذهن وهي تشق طريقها على طول الردهة، وتتنقل باستمرار من مهمة إلى أخرى.

استمعنا أنا وجيني للحظة. وعندما سمعنا خطواتها على الدرج مرة أخرى ابتسمتْ جيني لي وعادت لتجلس على السرير.

همستْ: «بقدر ما أن هذا جميل، ولكن سيكون من الأفضل أن يكون لدينا المزيد من الخصوصية، أليس كذلك؟».

فعل قلبي واحدة من تلك الحيل الجديدة المباغتة.

قلتُ: «بلى، سيكون أفضل حقًّا».

لم يكن كما لو أنني لم أفكر في الأمر. وطبعًا مع خروج والديَّ طوال اليوم فقد خطر على بالي أيضًا أن منزلي سيقدم تلك الخصوصية بالضبط. أنا

فقط لم تكن لدي الشجاعة لذكر الأمر من قبل. وأيضًا بعد قضاء بعض الوقت في منزل جيني كنت مدركًا بألم مدى كون منزلي رديئًا ومتدهورًا بالمقارنة بمنزلها. لكنْ كان من الغباء أن أخجل.

- يمكنكِ القدوم إلى منزلي يومًا ما بدلًا من هنا.

- حقًّا؟

- والداي ليسا في المنزل معظم الوقت.

ابتسمتْ: «تبدو هذه فكرة جيدة إذن».

- لديَّ عمل غدًا، ربما يوم الجمعة؟

- نعم، سيكون ذلك جيدًا.

حدقنا إلى بعضنا لحظةً وأدركتُ أنها كانت متوترة ومتحمسة مثلي.

وقفتْ فجأة: «لديَّ شيء لأريك إياه».

مشتْ إلى وحدة أدراج. كانت بجانب التلفزيون مجموعة من الأوراق والكتب.

- في الواقع حصلتُ عليها قبل بضعة أيام، لكنني لم أكن متأكدة أكنتَ تريد أن تراها أم لا.

- ما هذه؟

التقطتْ كتابًا مقوًى نحيفًا.

- إنها المختارات من المسابقة؟ لقد أرسلوا إليَّ نسخة.

- رائع.

شعرتُ بالحرج ولكني شعرتُ أيضًا أنها كانت قلقة بشأن إظهارها لي: «لا بأس، بصراحة سأحب أن أراها. تبدو مذهلة».

ابتسمتْ وأحضرتِ الكتاب إلى السرير. لم يكن له غلاف خارجي ولكنه كان مُنتَجًا بشكل جميل. كان الغلاف أزرق باهتًا مع العنوان وقائمة المُسهِمين- اثني عشر في المجموع. وجدتُ اسمها ومررتُ أصابعي على قوامه.

قلت: «يبدو الأمر احترافيًا للغاية».

- **أعلم.**

- أول منشور لكِ.

- في الواقع نشرتُ قصة عندما كنتُ في السابعة من عمري. في مجلة **ركلات «kicks».**

- حسنًا- إذن ثاني منشور. ولكنه الأول مع وجود اسمك على الغلاف، أفترض أنه الأول من بين العديد.

ابتسمتْ: «شكرًا، أنا سعيدة حقًّا».

- إنه رائع.

إنه حقًّا كذلك. لقد تلاشتْ خيبة الأمل من رفضي قليلًا الآن لكن لم يكن ليخطر على بالي قطُّ أن أستاء من نجاح جيني. نظرتُ إلى الغلاف وتخيلتُ رؤية اسمي على كتاب كهذا، وكنت مصممًا على مضاعفة جهودي. فربما في يوم من الأيام سيكون لديَّ شيء خاص بي لأريها إياه في المقابل.

أعطى كعب الكتاب صوت **نقرة** هادئة لكنْ مرضية عندما فتحته، وبعد ذلك أمسكتُ الكتاب بحذر متصفحًا سريعًا أول صفحتين حتى وجدتُ المحتويات.

قالت جيني: «من المفترض أن تقرأه لا أن تحتفظ به».

- أريد فقط أن أكون حذرًا.

- إنه ليس بتلك الأهمية.

- إنه كذلك تمامًا.

نقلتُ نظرتي إلى أسفل قائمة المُسهِمين التي لم تكن بترتيب أبجدي، ووجدتها قريبة من القاع.

«الأيدي الحمراء» بقلم جيني تشامبرز.

حدقت إلى هذا العنوان بضعَ ثوانٍ شاعرًا بالقشعريرة تتسلل إلى ظهري. كدتُ أشعر بالرغبة في إغلاق أنفي، لكنْ لم تكن هناك حاجة- يمكنني الجزم

أنني لم أكن أحلم في ذلك الوقت. الشيء الوحيد الذي لم أكن أعرف كيف أفعله هو فهم ما كنتُ أراه.

- بول؟

كنتُ على علم بعبوس جيني ومع ذلك ظللتُ أحدق إلى هاتين الكلمتين المستحيلتين. **الأيدي الحمراء**. بدأ بقية النص الموجود على الصفحة بالتشتت أمام عيني. لأكثر من ثلاثة أسابيع بذلتُ قصارى جهدي لنسيان تشارلي وقصصه الغبية، وبدا هذا كأنه كمين قد تمكن بطريقة ما من التخطيط له سلفًا. مثل خدعة كانت تُلعَب عليَّ.

- بول؟

- آسف.

هززتُ رأسي ثم بحثتُ بسرعة في الكتاب عن بداية القصة: «فقط أعطيني دقيقة».

وجدتُ الصفحة وبدأتُ في القراءة.

الأيدي الحمراء

بقلم جيني تشامبرز

كان منتصف الليل تقريبًا عندما دعا الرجل في الغابة الصبيَّ للذهاب إليه.

جفلتُ ولمست جيني ذراعي. وسحبتْ يدها بعيدًا كما لو كانت مصدومة.

- يا إلهي، ما الأمر؟ تبدو كأنك رأيتَ شبحًا.

ثم حاولتِ الابتسام: «وأنتَ لم تقرأها بعد».

نظرتُ إليها شاعرًا بالمرض.

- هل هي كذلك؟ قصة أشباح؟

- نوعًا ما، إنها القصة التي أخبرتكَ عنها.

- الحزينة؟

- نعم.

مسَّدتْ ذراعي وهذه المرة لم يتراجع أي منا: «ما الأمر يا بول؟».

- لا أعلم، هل يمكنني قراءتها أولًا؟

ابتعدتْ عني قليلًا: «نعم طبعًا».

***

كانت تدور القصة حول صبي صغير أُخرِجَ من منزله في جوف الليل من قِبل رجل يناديه من الغابة. تسلل الصبي بهدوء أسفل السلم حتى لا يوقظ والدته التي كان من الواضح أنها مستاءة منه بطريقة ما. في الطابق السفلي فتح الباب الخلفي بهدوء قدر المستطاع، ثم خرج إلى البرد والظلام. كانت حديقته الخلفية متضخمة ومليئة بالعشب الأسود المتمايل.

كان الرجل يقف على حافة خط الأشجار في الأسفل. لم يستطع الصبي رؤية وجه الرجل، لكنْ فقط رأى هيئته الكبيرة الضخمة.

عندما استدار الرجل وتوجه إلى الغابة تبعه الصبي.

كانت هناك فقرات بليغة تصف الصبي وهو يشق طريقه إلى غابة أصبحت مخيفة بشكل متزايد وشبيهة بالحكايات الخيالية في أثناء ذهابه. لكنْ بينما كان الصبي خائفًا، استمرَّ في المضي قدمًا على أي حال، حتى عندما كان الرجل يبدو في بعض الأحيان مجرد هيئة غامضة بين الأشجار أمامه. حرَّك الصبي أوراق الشجر جانبًا في الظلام وأمسكتِ النباتات المتسلقة بكعبيه وتكسَّرت العصي والأغصان تحت قدميه.

وفي النهاية وجد الرجل.

وعندما بدا أنه كان متعبًا جدًّا من الاستمرار رأى الصبي نيران تخييم أمامه، وترقص ألسنة اللهب وتومض بين الأشجار. سمع شيئًا يفرقع وشهد شرارات من النيران تتصاعد في الدخان. تقدم إلى الأمام ووجد نفسه في منطقة حيث كان الخشب المتجمع

من الغابة يحترق في حفرة من الرماد الناعم، كانت العصي هناك مثل العظام المتوهجة في الحرارة.

كان الرجل جالسًا متربعًا ووجهه في الظل بطريقة ما، لكنَّ الصبي كان يرى يديه مستقرة على ركبتي بنطاله الجينز الملطختين، وكانتا حمراوين زاهيتين في الضوء. كانتا حمراوين من الدم الذي لم يزل يتسرب من الشقوق الخشنة التي أحدثها على معصميه. تألم الصبي لرؤية ذلك. كان الرجل لا يزال ينزف رغم أن تلك الجروح عمرها سنوات عدَّة.

جلس الصبي بين الشجيرات على الجانب البعيد من النار. كان تعبير الرجل غير مقروء، لكنْ كان الدم لا يزال مرئيًّا إذ إن الجروح هناك وحشية وفظيعة. كانت النيران تشتعل وتلتهب بينهما.

وأخيرًا بدأ والد الصبي في التحدث.

عندما انتهيتُ من القراءة جلست هناك في صمت بضع ثوانٍ. ما زلتُ لا أعرف ماذا أقول ولذلك وجدتُ نفسي أقرأ الجمل مرارًا وتكرارًا متظاهرًا أنني لم أنتهِ، في حين كنت أحاول جمع أفكاري.

- هل أحببتها؟

بدت جيني قلقة وبالنظر إلى رد فعلي حتى الآن بالكاد يمكنني لومها.

قلت: «أعتقد أنها رائعة».

- حقًّا.

- نعم حقًّا.

وأنا فعلًا أحببتُها. فمن حيث الجودة كانت متقدمة بمراحل عن أي شيء تمكنتُ من كتابته. رغم عدم ارتياحي للموضوع فقد وجدتُ نفسي هناك مع

الصبي وأنا أقرأها - خائفًا عليه، لكنْ أيضًا مفتونًا بالرجل الذي كان يتبعه. أضافتْ جيني ما يكفي من الدقة للتفاصيل طوال القصة حتى تبدو النهاية حتمية عند وصولها، ولكي تفهمَ التدفق إلى الخلف منها. عاش الصبي بمفرده مع والدته وكان الرجل الذي يناديه هو شبح والده الذي فقده منذ سنوات بسبب انتحاره. كان الصبي بحاجة إلى التحدث معه لفهم ما حدث ولماذا. لقد كانت استعارة للحزن والخسارة وللضرر الذي لحق بالذين تُرِكُوا بالخلف في أعقاب المأساة.

لذا نعم اعتقدتُ أن القصة كانت رائعة.

لكنْ هل أحببتُها؟

ولا حتى قليلًا.

لقد كانت قريبة جدًّا من الحلم الذي شاركه تشارلي معنا والتخيُّلات التي نسجها حتى تكون مجرد مصادفة. نبحث أربعتنا في الغابة عن شيء لم نعثر عليه. قصص شبح بين الأشجار. رجل بيدين حمراوين زاهيتين ووجه لا يمكن رؤيته.

لكنْ كيف كان ممكنًا معرفة جيني عن أي من هذا؟ فعلى حد علمي هي لم تتحدث لتشارلي من قبل أو لبيلي أو جيمس. ومع ذلك لا يمكن أن يكون هذا مجرد مصادفة.

لذلك كان يجب أن يكون لذلك بعض التفسير.

قلت لها مرة أخرى: «أعتقد أنها مذهلة، من أين حصلتِ على فكرتها؟».

لكن عندما طرحتُ السؤال أدركتُ أنني أعرف فعلًا.

***

في اليوم التالي وصلتُ مبكرًا إلى العمل.

أعطتني ماري مجموعة من المفاتيح لذلك فتحتُ وشرعتُ في مهامي المعتادة، في الساعات المبكرة لم يكنْ هناك سوى حفنة من العملاء لأخدمهم، وطَرْدٌ واحد لأفرزه. لقد عملتُ بمنهجية لكنْ بشرود إذ كانت تدور الأسئلة في

رأسي. شعرتُ بطريقتي الخاصة باليأس مثل الصبي في قصة جيني، لكنْ كان هناك أيضًا جزء مني لا يريد أن يعرف، جزء مني كان خائفًا مما قد أعلمه.

أتتْ ماري بعد الساعة العاشرة بقليل، وعند هذه النقطة كان المتجر فارغًا عداي، وقفتُ محاطًا بأكوام من الكتب في منطقة الفرز خلف المنضدة. كان قلبي يخفق بسرعة فإذا لم أفعل هذا على الفور قد لا أتمكن من فعله على الإطلاق.

- أريد أن أتحدث معكِ عن أمر ما.

حدقتْ ماري إلى وجهي بفضول لثانية.

قالت: «حسنًا، صباح الخير لك أيضًا».

- آسف.

ثم وقفتُ هناك. تنهدتْ ماري واضعةً حقيبتها على المنضدة ثم تحدثتْ بهدوء أكبر.

- ما الأمر يا بول؟

قلت: «قصة جيني»

- ماذا عنها؟

- تلك التي كتبتها للمسابقة، **الأيدي الحمراء**.

هزت ماري رأسها: «لا أعرف، لم أقرأها. لكنْ تمهل وأخبرني بما يزعجك».

قلتُ: «القصة تُسمَّى **الأيدي الحمراء**، إنها عن صبي يذهب إلى الغابة، ويجد والده هناك -وهذا هو من يبحث عنه الصبي- لكنَّ والده مات، إنه شبح. لقد قتل نفسه قبل سنوات، ويداه ملطختان بالدماء».

تلفظتُ بالوصف دون تفكير، لكنني رأيتُ تعبير ماري ينتقل من الفضول إلى القلق في أثناء حديثي. ربما لم تقرأ القصة نفسها، لكنها كانت تعرف بالضبط ما كنتُ أتحدث عنه.

قلت: «إنها قائمة على شيء قلتِه لها، أليس كذلك؟».

- يا إلهي.

أغمضتْ عينيها وفركتْ ما بينهما: «بلى، أعتقد ذلك، لكن لم تكن لديَّ أي فكرة أنها كانت ستكتب عن ذلك، عليكَ أن تكون حذرًا عندما تفعل ذلك فليستْ كل القصص ملكَكَ، بعد كل شيء يمكن أن ينزعج الناس».

قلت: «أريد أن أعرف ما حدث، القصة الحقيقية».

فتحت ماري عينيها وحدقت إليَّ بضع ثوانٍ، بدتْ متعبة فجأة كأنها كانت تُقيِّمني بطريقة ما.

قلت: «أرجوكِ».

- والداك يا بول.

- ماذا عنهما؟

- والدتك ووالدك، هل كلاهما لا يزالان حيين؟

- نعم.

تصورت وجه والدي أمامي: «من سوء الحظ».

- ستفتقدهما عندما يرحلان.

لكنها بعد ذلك ابتسمت بحزن وصححتْ نفسها: «طبعًا، هذا ليس بالضرورة صحيحًا. لكنْ على كل حال. ماذا تريد أن تعرف؟».

- كل شيء.

كنت أعرف البعض فعلًا لأن جيني أخبرتني بما كانت تتذكره. قبل عدة سنوات خرج رجل إلى جريتن وود وسار بعيدًا في الأشجار وانتحر هناك. كانت تقول الشائعات إنه ترك طفلًا خلفه. كانت تلك نقطة الانطلاق لقصة جيني. من هناك تخيَّلت كيف يمكن أن يشعر ذلك الصبي بعد سنوات.

صمتت ماري لحظة.

قالت: «الشيء الغريب هو أنني أخبرتُها بأي منها فقط بسببك، كان هذا منذ مدة عندما كانت تتحدث عنك- قالت إن هناك صبيًّا أحبَّتْه في فصل الكتابة الخاص بها. صبي جديد من جريتن وود. لا تبدو محرجًا».

- لستُ كذلك.

ما شعرتُ به فعلًا هو تسلل الرعب بداخلي. **أنا فقط أخبرتُها بأي منها بسببك**، كان من الصعب قبول فكرة أن أيًّا من هذا -مهما كان- قد يكون خطأي بطريقة ما.

أخبرتني ماري: «لقد قلتُ للتو أن تكون حذرًا، لقد كانت مُزحة حقًّا، قلتُ إن الغابة هناك كان من المفترض أن تكون مسكونة بسبب ما حدث».

- لم أسمع شيئًا عن ذلك قط.

قالت ماري: «نعم، لكنكَ نشأت هناك، عندما يحدث شيء فظيع في مكان ما يكون لدى الناس هناك طريقة للإغلاق. يقررون أن أفضل شيء يفعلونه هو عدم التحدث عن الأمر ويأملون أن يختفي كل شيء. ربما في بعض الأحيان يختفي حقًّا».

- قتل شخص ما نفسه حقًّا في الظلال؟

- نعم.

- من؟

- بصراحة لا أستطيع تذكُّر اسمه يا بول فقد كان هذا منذ زمن بعيد.

- منذ كم من الوقت؟

لكنْ بعد ذلك أدركتُ لماذا سألتْ إذا كان والداي لا يزالان حيين.

- نحو ستة عشر عامًا؟

- نعم، في وقت ما في السبعينيات، كان ذلك في الصحيفة المحلية لكن لا يمكنني تذكر التفاصيل فقد كان في الغالب مجرد أشخاص يثرثرون. القيل والقال».

- لماذا قتل نفسه؟

- أتخيل كل أنواع الأسباب.

ثم نظرتْ ماري إليَّ بحزن: «يمكن أن تكون حياة الناس معقدة للغاية يا بول، مما أفهمه كان الرجل في الجيش مدة من الوقت وقد تأثر بذلك».

في الجيش مدة من الوقت.

صدى آخر. تذكرتُ الوصف الذي أعطاه تشارلي للأيدي الحمراء، وكيف أصبح ذلك كما تصوَّره بقيتنا أيضًا، يعيش خارج الأرض ويُعَدُّ جزءًا من الغابة بقدر ما هو جزء فيها، يرتدي معطفًا باليًا متهالكًا قديمًا، والأكتاف ممزقة مثل الريش.

- ماذا عن الطفل الذي تركه خلفه؟

هزت ماري رأسها: «كان الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك بقليل، هل أنت متأكد من أنك تريد سماع كل هذا؟ فقط فكر في الأمر. ربما لعدم سماعك بهذا من قبل أسباب وجيهة، ربما يكون من الأفضل للجميع أن ينسوا».

قلت: «أريد أن أعرف».

- حسنًا، لا أعرف أكان أي من هذا صحيحًا، لكنه ما سمعتُه في ذلك الوقت. كان الرجل متزوجًا امرأة ما في جريتن وود -قريتك- في ذلك الوقت وكانت زوجته حاملًا. لكنه كان متورطًا أيضًا مع امرأة ثانية. ليست شخصًا من قريتك لكنْ من جزء آخر من جريتن- لا أعرف أين بالتحديد. وهذه المرأة الأخرى انتهى بها الأمر حاملًا أيضًا.

- إذن لدى الرجل طفلان؟

- نعم، عرفتِ المرأة الثانية أنه متزوج طبعًا وأرادته أن يترك زوجته لكنه لم يفعل واختار زوجته بدلًا من ذلك، لكنْ عندما اعترف لها رفضتْه وطردته الأولى. وبسبب ذلك ذهب إلى الغابة وفعل ما فعله.

بسطتْ ماري يديها وبدت عاجزة قليلًا.

- لكنني لستُ متأكدة من أي من هذا يا بول. إنها مجرد شائعات سمعتُها في ذلك الوقت. بعضها من طرف ثانٍ وحتى ثالث. لست متأكدة أكان أي من منها صحيحًا.

أومأتُ لنفسي.

ربما لم تكنْ ماري متأكدة لكنني كنتُ كذلك. فكرت في جيمس. كيف بدتْ والدته مستاءة منه دائمًا وكيف اختفى والده البيولوجي قبل ولادته. كنتُ

أفترض دائمًا أن والد جيمس قد تخلَّى عن أسرته وأن جيمس كان تذكيرًا دائمًا لإيلين بهذا الأذى. لكن لم يخبرني أحد من قبل أن هذا ما حدث.

ثم فكرتُ في تشارلي. كيف بدا هو وجيمس متشابهين أحيانًا. الطريقة التي وصلنا فيها أول مرة إلى المدرسة بدا أن تشارلي يبحث عن جيمس حريصًا على إخضاعه لإرادته ولأن يكون تحت سيطرته، ولعزله عني. والطريقة التي بدا بها دائمًا أنه يملك خطة ما في الاعتبار مع بقيتنا في الظلام متأخرين بضع خطوات خلفه.

وأخبرتني ماري أنه عندما يحدث شيء فظيع يحاول الناس نسيانه. الناس العاديون على الأقل. لكنني فكرتُ في قصة جيني الآن -عن الطفل الصغير اليائس للعثور على والده والتحدث معه، أن يُقبَل من قبله- وتساءلت أفعلَ الأشخاصُ المتضررون شيئًا آخر بدلًا من ذلك.

إذن ربما قد خرجوا للبحث.

31

عليك أن تفعل شيئًا حيال تشارلي.

في صباح اليوم الأخير أتذكر استيقاظي بداية بعد الفجر مباشرة. كانت الشمس تنبعث من خلال الستائر الرقيقة فوق النافذة بجوار مكتبي، وكانت الغرفة دافئة فعلًا بسببها. لكن رغم الحرارة كنت أرتجف. لأول مرة منذ شهور لم أستطع تذكر التفاصيل الدقيقة للحلم الذي استيقظتُ منه للتو، تذكرتُ فقط أنه تضمَّن تشارلي. كانت لا تزال الرهبة منه موجودة تتسرب ببطء خلال أفكاري مثل الحبر الأسود الذي ينتشر خلال المناديل الورقية.

أستلقي بسكون للحظة محاولًا تهدئة نفسي.

أحاول التفكير في أي شيء آخر.

غادر والداي للعمل مبكرًا وكان المنزل ساكنًا. في الطابق السفلي كنتُ أعرف أنه ستكون هناك قائمة الأعمال المنزلية المعتادة التي تنتظرني لإكمالها. كانوا سيشغلونني لبضع ساعات هذا الصباح. وبعد ذلك كانت جيني قادمة بعد الظهيرة.

سيكون من الجيد أن يكون لديك المزيد من الخصوصية، أليس كذلك؟

قفز قلبي لسبب مختلف نتيجة ذلك.

ومع ذلك استمر الحلم. ذهبت بعد مدة وجلستُ إلى مكتبي، فاتحًا الستائر وأنظر إلى تشابك حديقتنا الخلفية والغابات في الطرف البعيد. كان العالم مضاءً بنور الشمس وغنيًّا بالحياة: محاطًا ومكسوًّا بألف درجة من اللون الأصفر والأخضر ولا يزال الندى يتلألأ على العشب. لكنني عرفتُ الآن أن قبل ستة عشر عامًا دخل رجل إلى تلك الغابة وقطع معصميه، وانسكبت حياته في أوراق الشجر.

في يوم مختلف كنت سأُخرِج مذكرات أحلامي وأكتب فيها، لكنِ اليوم قررت عدم فعل ذلك. كل ما تذكرته حقًّا من الليلة الماضية كان تشارلي، وأنا لا أريد وضع اسمه في كتابي.

عليك أن تفعل شيئًا حياله.

تصل الفكرة نفسها مرة أخرى لكنْ هذه المرة بمزيد من القوة والإلحاح. فبعد ما علمتُه بالأمس لم أستطع الهروب من الشعور بأن شيئًا سيئًا كان سيحدث- أن تشارلي كان خطرًا بطريقة ما. لكن في الوقت نفسه لم تكن لديَّ أي فكرة عما كان من المفترض أن **أفعله**. وكان الافتراض القوي أن أبحث عن شخص بالغ وأتحدث معه. أخبره بما كنت أعرفه وبعض مما كنت أشك فيه. أبدأ بالأحلام ثم أحاول شرح كيف أصبح كل شيء مظلمًا تدريجيًّا. يمكنني إخباره عن كلب جودبولد وعن الأيدي الحمراء، وكيف لم أعد أعرف أكان تشارلي مخدوعًا ويحتاج إلى المساعدة أم يخطط... لشيء ما.

لم يكن سيستمع لي أحد.

لكن لا يزال عليَّ أن أحاول. لذلك قررتُ أن أضع خطة. كنت سأكتشف بالضبط ما القصة التي أحتاج إلى سردها، ومن كنت سأخبره بها. ربما كانت ماري الخيار الأفضل فمن بين جميع البالغين الذين يمكن أن أفكر فيهم ستكون الأكثر انفتاحًا على الاستماع، وكانت تعرف فعلًا بعضًا من المعلومات العامة.

يمكنها مساعدتي في معرفة ما يجب فعله.

أعطاني اتخاذ هذا القرار الحرية في إخراجه من رأسي مدة من الوقت. استحممتُ وارتديتُ ملابسي وصنعتُ البيض المخفوق على الإفطار، ثم التفتُّ إلى قائمة المهام التي تُرِكَتْ لي على طاولة المطبخ. كان يوجد ترتيب وتنظيف يجب إنجازهما، وكتبت والدتي قائمة تسوق وتركتْ لي بعض المال. لقد فعلتُ مهام المنزل أولًا، ثم أخيرًا في وقت متأخر من الصباح انطلقت إلى المتجر.

***

كان اليوم حارًّا ومشرقًا، لكنني أتذكر أنه كان في القرية أيضًا شعور غريب. كانت الشوارع هادئة وهو ما لم يكن غريبًا في هذا الوقت في يوم عمل، لكنها بدت مهجورة أكثر من المعتاد. في طريقي إلى متجر الطعام لم أرَ روحًا أخرى، وكان الأمر كما لو أُبعِدَ الجميع عن العالم وتُرِكْتُ وحدي تمامًا، كان في الهواء صمت وبدا لون الجو كالبني الداكن. الطرق والمنازل والشجر- بدوا جميعًا كأنهم غارقون في سائل من الكهرمان الذي لم يصرف بعد بالكامل من الهواء.

كنتُ مرتاحًا تقريبًا عندما وصلتُ إلى المتجر ووجدتُ أشخاصًا حقيقيين بالداخل، استؤنفت الحياة الطبيعية. لقد جمعتُ العناصر الموجودة في قائمة تسوق والدتي ووضعها البائع بعناية في الصندوق. بحلول الوقت الذي كنت فيه في الخارج مرة أخرى عائدًا إلى ذلك الصمت الثقيل، كانت مقابض الأكياس البلاستيكية ضيقة فعلًا وتحفر في ثنيات أصابعي.

لسبب ما لم أرغب في العودة إلى المنزل مباشرة. كانت لا تزال هناك ساعة أو نحو ذلك قبل أن تأتي جيني، وكنت أعرف أن الشيء الوحيد الذي سأفعله في ذلك الوقت هو المشي والقلق. رغم أن الجو اليوم ليس عاديًّا لكنه كان أيضًا جميلًا بطريقة غريبة، لذلك قررت أن أمشي بعض الوقت وسلكتُ طريقًا ملتويًا أكثر من المعتاد للعودة إلى المنزل، مستمتعًا بالدفء والسلام.

وفي أثناء فعلي ذلك شعرتُ أنني كنتُ مُساندًا. كنت أتجنب الكثير من شوارع القرية وممراتها خلال الأشهر الماضية حريصًا على تجنب تشارلي

وبيلي وجيمس، والآن تساءلت عن السبب فقد كانت هذه **قريتي** بعد كل شيء. بعد ظهر هذا اليوم كانت جيني قادمة إلى منزلي، وماذا كان الثلاثة الآخرون في ضوء ذلك؟ بعض الأولاد الحزينين الضائعين في الخيال، في حين كان عالمي يزدهر وتتفتح بتلاته والمستقبل أمامي مليء بالإمكانية. في ذلك الوقت شعرتُ بأنني أكثر من قوي بما يكفي لمواجهتهم إذا اضطررت إلى ذلك.

أخذني السير إلى حدود القرية ثم تجاوزتُ الملعب القديم في قلبها. إذا كنتُ سأراهم في أي مكان فسيكون هنا، وبالتأكيد عندما اقتربتُ على طول الممر المترب رأيتُ أنه كان يوجد شخص ما هناك.

جيمس.

كان وحيدًا في الوقت الحالي جالسًا على الدرجة السفلى من إطار المزلقة القديم. عندما كنتُ أصغر بدا هذا الشيء ضخمًا والأرض بعيدة بشكل خطر وأنا على القمة، لكنها في الواقع كانت بالكاد أطول مما كنت عليه الآن. ومع ذلك بدا جيمس صغيرًا مقارنة بها، يجلس منحنيًا. عندما رأيتُه في الأسابيع الأخيرة من الفصل الدراسي بدا متضائلًا ومستنزفًا كما لو أن الحياة كانت تُمتَص منه ببطء، لكنه الآن بدا شبه الهيكل العظمي، لا يمكن تمييز ظل جسده عن ذلك الذي ألقاه الإطار المعدني الرقيق من حوله.

تعثرتْ عزيمتي قليلًا لكنني أجبرتُ نفسي على الاستمرار.

نظر إلى الأعلى عندما اقتربتُ بوجه فارغ، وعندما رآني نظر بعيدًا بسرعة.

مررتُ بجانبه ببطء متعمَّد.

لم أكن متأكدًا من السبب، ربما كان عرضًا للهيمنة -بعض المحاولات لجعله يدرك أنني لا أهتم- لكنْ إذا كان الأمر كذلك فقد كان هذا فعلًا غبيًّا لأنني كنت أهتم. في تلك اللحظات القليلة وفي الواقع تلاشت أحداث الشهرين الماضيين. لقد انتقلتْ حياتي بعيدًا بما فيه الكفاية عن خيانته وحتى لو لم أسامحه تمامًا على ما فعله، فعلى الأقل فهمتُ أسباب ذلك، وأُشفق عليه قليلًا بسببهم.

بعد مروري نظرتُ إلى الوراء ولاحظتُ مرة أخرى كم بدا هشًّا.

كم هو خائف.

وهذه الذكرى التي لديَّ لجيمس من ذلك اليوم: طفل صغير ضائع لم يكن يعرف كيف يهرب من الموقف الذي وجد نفسه فيه، جالس هناك كسجين مُدان ينتظر العقوبة.

عليك أن تفعل شيئًا حيال تشارلي.

هذه الفكرة مرة أخرى. لم يكن الأمر منطقيًّا لكنْ كانت في الحياة لحظات من هذا القبيل، على ما أعتقد- اللحظات التي تُفهَم على مستوى ما أنها محورية. إذ سيتغير كل شيء، وستندم على ذلك إلى الأبد إذا لم تفعل شيئًا تعرف أنه عليك فعله.

ربما كانت غرابة اليوم هي التي جعلتني أعتقد أن هذه كانت اللحظة. أن أيًّا ما كان تشارلي يخطط له كان يصل إلى ذروته، وأنه إذا كنتُ استدرتُ مبتعدًا الآن لن أتخلص من الشعور بالذنب أبدًا.

عليك أن تفعل شيئًا حيال تشارلي.

قبل فوات الأوان.

ولذا عدتُ ببطء إلى الملعب صاعدًا فوق السياج الخشبي القصير الذي يفصله عن الطريق، واقتربتُ من إطار المزلقة، كان ظهر جيمس يواجهني. لا أعرف أكان قد سمعني، لكنه لم يبدُ مدهوشًا عندما وضعت أكياس التسوق على الأرض. لقد استدار فقط ناظرًا إليَّ بتلكما العينين الحزينتين القلقتين.

قلت: «مرحبًا، هناك شيء أريد أن أخبرك به».

***

أتذكر شعور الارتياح الذي شعرتُ به عندما عدتُ إلى المنزل بعدها، جهزتُ أغراض التسوق وأنا أتأرجح بخطواتي. ربما كنتُ أشعر بالانتصار قليلًا.

عليكَ أن تفعل شيئًا حيال تشارلي.

وقد فعلتُ.

أخبرتُ جيمس بكل ما علمتُه من ماري، وهذا ما يعني أن أي واجب عليَّ قد وُفِّيَ به، ومن مسؤوليته الآن التصرف بناءً على ما قلتُه. لم تكن لديَّ أي فكرة أكانت المعلومات التي قدمتُها له ستساعده أو ستغير أي شيء، لكنْ في ذلك الوقت لم أشعر أن ذلك مهم. الشيء الأهم هو أن الأمر أصبح الآن في يد جيمس ليتعامل معه، وليس في يدي.

لقد تمكنتُ أيضًا من فعل ذلك دون التخلي عن أي دوافع. عندما بدأتُ التحدث رأيتُ وميضًا لشيء ما على وجهه، ربما الأمل. لكنَّ تعبيري سرعان ما أخمد هذا الوميض. لقد تأكد لي أنه فهم أنني لم أكن هناك لإنقاذه أو لإعادة بناء الجسور، لكنْ كان عليَّ فقط أن أحذره، وهكذا فعلتُ. هزَّ رأسه مرتبكًا، لكنْ يمكنني القول إن ما كنتُ أقوله يتناغم معه بطريقة ما، كما لو أنني أعطيتُه قطعة من اللغز كان يعرف أنها مناسبة في مكان ما، حتى لو لم يكن يعرف تمامًا أين يضعها حتى الآن.

كن حذرًا.

كانت هذه آخر كلمات قلتها له، وقلتها ببرود حتى أتأكد من أن الرسالة وراءها كانت واضحة. لم نكن أصدقاء مجددًا الآن ولن نكون في المستقبل.

ثم التقطتُ الأكياس البلاستيكية وعدتُ إلى المنزل.

أتذكر أنني انتهيتُ من وضع أغراض التسوق بعيدًا ثم دفعتُ اللقاء من ذهني. عند هذه النقطة لن يمضي وقت طويل حتى تكون جيني هنا، وقررتُ السماح لنفسي أن أشعر بالحماس حيال الأمر بدلًا من ذلك. كان هناك مزيج غريب من الحماس ويخفق قلبي في صدري أسرع قليلًا مع مرور كل دقيقة.

الساعة الواحدة.

حان الوقت وصولها.

بعدها لمدة من الوقت ظللتُ أتجوَّل في غرفة المعيشة وأنا أتحقق مرارًا وتكرارًا من النافذة الأمامية متوقعًا رؤيتها هناك في أي لحظة، مشرقة وجميلة في شمس الظهيرة تفتح البوابة وتصعد إلى المنزل.

لكنْ ظل الشارع والطريق الأمامي فارغين.

ثم قضيتُ الساعات القليلة التالية أتساءل ما الخطأ الذي حدث. ربما كانت قد عادت إلى رشدها وغيَّرت رأيها عني. أو ربما حدث شيء ما ولم تكن قادرة على المجيء، وفي ذلك الوقت كانت عالقة في المنزل شاعرةً بالسوء لتخييب أملي. ربما اكتشفتْ والدتها إلى أين كانت ذاهبة ورفضتْ. لقد ترددتُ بين كل التفسيرات المحتملة لعدم حضورها، دارت الاحتمالات حولي.

لكنْ أوقفها طَرْقٌ على الباب.

كنت في غرفتي في هذا الوقت أنظر إلى الغابة. ركضتُ بسرعة على الدرج رغم أنني بحلول ذلك الوقت كنتُ قد فقدتُ الأمل في قدوم جيني، لأن والديَّ سيعودان إلى المنزل قريبًا على أيٍّ حال، لكنني ما زلتُ أعتقد أنها يجب أن تكون هي، سيكون ذلك جيدًا أيضًا. قلتُ لنفسي إن كل شيء آخر يمكن أن ينتظر، وربما يمكنني حتى تقديمها لأمي.

لكنْ عندما فتحت الباب كان يوجد ضابطا شرطة يقفان هناك. كانت سيارتهما متوقفة أمام المنزل وتدور أضواؤها بلا جدوى في وقت متأخر من بعد الظهيرة.

قال أحد الضباط: «بول آدامز؟»

- نعم.

أراح ساعده على جانب الباب ونظر إلى الداخل بجواري كأنه يبحث عن شيء ما. ثم تفحَّصني ناظرًا إلى الأعلى وإلى الأسفل، ووجهه ثابت خالٍ من العاطفة.

- هل أنا محق في التفكير في أنك تعرف فتاة تدعى جيني تشامبرز؟

- نعم.

ثم توقفت مؤقتًا: «لماذا؟».

نظر إليَّ كما لو كنتُ أعرف فعلًا.

- إنها ميتة.

32
الحاضر

أنا أحلم الآن.

حتى بعد سنوات عدَّة، لم أفقد قطُّ الشعور بالدهشة الذي رافق هذا الإدراك، وعاد مرة أخرى الآن حيث وجدت نفسي أحدق إلى مدرسة جريتن بارك مدهوشًا كما هي الحال دائمًا من أن عقلي النائم كان قادرًا على استحضار شيء بهذه الواقعية.

انحنيتُ واستخدمتُ تقنية البيئة حيث فركتُ راحة يدي على الأرض شاعرًا بالملمس الخشن للأسفلت. كان هناك صوت النقر قادم من مكان قريب. نظرت إلى يميني ورأيتُ القماش المشمع يمتد بإحكام حول منطقة البناء. لقد مضى على هذا وقت طويل في الحياة الواقعية طبعًا. لكنْ هذه هي المدرسة كما كانت في ذلك الوقت وليس كما كانت الآن.

وقفتُ ومشيتُ خلال موقع البناء ثم ملاعب التنس والأكشاك المموجة، أضاف الحلم طبقات من الصدأ إلى الأخيرة ووضعها بزوايا غريبة في العشب كما لو أُسقِطتْ بلا مبالاة من السماء.

كان المقعد بعيدًا قليلًا.

كانت جيني تنتظرني هناك. ظهرتْ بالضبط كما خلقها عقلي قبل بضع ليالٍ: لا يزال يمكن تعرُّفها على أنها الفتاة التي أتذكرها، لكنْ كبرتْ لكي

تتناسب مع السنوات التي مرَّتْ. حتى مجرد جلوسها كانت به ثقة واتزان، لكنَّ حقيبتها المدرسية القديمة كانت عند قدميها، وكان في حضنها دفتر ملاحظات مفتوح. تداخل الماضي والحاضر.

فكرتُ: **ليس حتى خطًّا مستقيمًا لكنْ خربشة.**

وتألم قلبي لرؤيتها.

أغلقت الدفتر وابتسمتْ لي.

- مرحبًا.

لكنْ بدت الابتسامة والتحية كأنها مجبرة أكثر من المرات السابقة التي حلمتُ بها. تذكرتُ سيري هنا لأول مرة عندما كنتُ مراهقًا وكيف كنت قلقًا من أنني قد أُزعِجها. لم يكنْ هذا صحيحًا في ذلك الوقت، لكنْ كان لديَّ إحساس غريب أنني كنت أفعل الآن. مع أن هذا كان حلمي وكانت هي من نسج خيالي، كانت ستفضل ألا أزعجها.

قلت: «مرحبًا، هل تمانعين؟».

- لا أمانع.

جلستُ بجانبها على المقعد سامحًا بوجود مسافة صغيرة بيننا.

قلت: «هل أنتِ بخير؟».

نظرتْ بعيدًا: «بصراحة؟ أنا متعبة يا بول. أريد العودة إلى النوم».

الطريقة التي صاغتها بها كانت كما لو كانت تحلم بي وليس العكس، وشعرتُ بطعنة من الذنب لاستحضارها: إحساس قديم. **لماذا فقدنا الاتصال؟** سألتْني جيني الليلة الماضية مفكرةً بالمرات التي حلمتُ بها بعد وفاتها، هنا في جريتن ثم في الجامعة، كانت الإجابة واضحة وهي لأنني بدأتُ أشعر بأن أيًّا كان ما فعله تشارلي فقد أعطاني أداة لاستخدامها، وقد فعلتُ ذلك. في الحلم الجلي يمكنك أن تفعل أي شيء ولذا فقد أعدتُ جيني إلى الحياة في محاولة لتهدئة الألم والحزن الذي شعرتُ به. لكنَّ عقلي الباطن كان يعرف وأصبح واضحًا أن الوقت قد حان للتوقف.

كنتُ أعتقد أن رؤيتها الآن ستكون غير مؤذية. أنها ستجعل العودة إلى جريتن وكل ما كان عليَّ فعله ومواجهته هنا أسهل لتحمله. وأنا أفترض أنها لبعض الوقت نجحت في الأمر. لكنني كنت أعرف أنها لا يمكن أن تدوم، وأن الوقت قد حان الآن للسماح لها بالذهاب مرة أخرى.

قلت: «أنا آسف».

- لستَ بحاجة إلى التأسف، أعلم أنك تفتقدني.

- دائمًا.

- لكنْ يجب أن أغادر، وقبل أن أفعل أردتُ إعطاءك شيئين.

- ماذا؟

- هل تتذكر عندما وصلتِ الشرطة؟

عادتْ ذاكرتي إلى ذلك اليوم. لم يستطعِ الضابطان استجوابي دون حضور أحد والديَّ، لكنهما سألا أكان بإمكانهما الدخول، وطبعًا قلتُ نعم. لم يخبراني في البداية بما حدث لجيني.

إنها ميتة.

تردد صدى الكلمات في رأسي، لكنها كانت مجرد كلمات ولا تبدو أنها متعلقة بأي شيء يمكن أن يكون حقيقيًّا لأنها إذا كانت حقيقية لكان يجب أن ينتهي العالم.

ومع ذلك كان العالم يستمر.

قلت: «لقد اعتقدا أنني من قتلكِ».

ابتسمت جيني.

- طبعًا فعلا فقد كنتُ قادمة لرؤيتك بعد كل شيء. وكثيرًا ما يكون الحبيب هو القاتل، أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

لقد مرت نحو نصف ساعة قبل أن تصل والدتي إلى المنزل وعند هذه النقطة أصرَّت على إيصالي إلى مركز الشرطة حتى يُحقَّق معي تحت الحذر.

تذكرتُ كم شعرتُ بالخدر، وكيف أجبرنا الضباط على التوقف عند الملعب حتى أتمكن من رؤية ما يفترض أنني فعلتُه. الطريقة التي حمتني والدتي بها بشراسة شديدة فقد كانت تعرفني، حتى دون أن أقول أي شيء كانت تعلم أنني لم أفعل ذلك.

طوال الوقت كان هناك ضباط آخرون يفتشون منزلنا بحثًا عن أدلة من شأنها أن تُجرِّمني. سلاح ربما أو ملابس ملطخة بالدماء، لكنْ لم يكن هناك شيء ليجدوه طبعًا، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يتجول بيلي في القرية وملابسه مشبَّعة بالدماء ويحمل مذكرات أحلامه والسكين التي استخدمها هو وتشارلي في قتل جيني.

ابتسمتْ جيني لي بأسف الآن.

قالت: «لم تُرِني قريتك من قبل، كنت متحمسة جدًّا لرؤيتكَ في ذلك اليوم لدرجة أنني وصلتُ قبل نصف ساعة تقريبًا، واعتقدتُ أنني سأتجول قليلًا في الأنحاء».

- لماذا؟

- أردتُ أن أراكَ على سجيتك.

أغمضتُ عينيَّ نتيجة لذلك -كلام والدتي القادم من صورة جيني التي اختلقها عقلي النائم- لكنْ كان من الخطأ إغلاق عينيكَ في حلم جلي لأنكَ كنتَ بحاجة إلى الإحساس لجعل العالم حولكَ متماسكًا، لذلك فتحتهما مرة أخرى ممسكًا حافة المقعد الخشنة، واستمعتُ للنقر البعيد للمثقاب الهوائي محاولًا جعل نفسي أستقر.

تابعت جيني: «عندما وصلتُ إلى الملعب كان قد رحل جيمس. من الواضح أنه أخذ تحذيركَ على محمل الجد، لكنْ كان تشارلي وبيلي موجودين. كانا ينتظران وكانت لديهما خطتهما. بدوا غاضبيْن».

قلت: «لستُ بحاجة إلى سماع هذا».

- بلى، أنت تفعل، لقد أشارا لي للذهاب إليهما ولست متأكدة من سبب ذهابي، أعتقد أنني كنت أشعر بالفضول لما يريدان بعد كل ما أخبرتني به عنهما. لكن بحلول الوقت الذي رأيتُ فيه السكين كان الأوان قد فات.

ومجددًا أردتُ أن أغلق عينيَّ.

قالت جيني: «لقد أمسكا بي وتناوبا على طعني، لم يكن الأمر مؤلمًا في البداية لأنني لم أستطع تصديق ما كان يحدث، أعتقد أنني كنت في حالة صدمة. لكن بعد ذلك شعرت بالألم. أي منهما من لم يكن يطعنني كان يضع بصمات دمائي على الأرض. لقد قاومتُ بشدة لأنني أتذكر إدراكي بأنني سأموت، وكم لم أرغب في ذلك. أردتُ أن أعيش بشدة».

ثم نظرتْ إليَّ بحزن: «لكنني لم أفعل».

تذكرت: **سُجِّلَ مجموع 57 جرحًا على الجثة.**

رأس الضحية مقطوع تقريبًا.

قالت: «لقد دفنا جسدي تحت أحد الأدغال عندما انتهيا، ثم ذهبا إلى الغابة وتناولا حبوبًا منومة متخيلين أنهما سيهربان من هذا العالم إلى الأبد. وهو أمر سخيف طبعًا».

- باستثناء أن تشارلي اختفى حقًّا.

- لا يختفي أحد يا بول. لم يرحل أحد على الإطلاق.

فكرت في الأمر وأومأتُ.

قلت: «كانتِ الشرطة على حق، لقد كنتُ أنا حقًّا من قتلكِ».

هزت جيني رأسها.

- بول، لم تكن تعرف ماذا سيحدث. هذا هو أول شيء أريد أن أعطيكَ إياه، لقد بذلتَ قصارى جهدكَ، وهو كل ما يمكن لأي منا فعله. كنت تساعد صديقًا وكنت مجرد طفل. لم يكن خطأك، لا شيء من هذا خطأك.

بدتْ جادة لدرجة أن جزءًا مني كاد يصدقها.

قلتُ: «لقد أمضيتُ وقتًا طويلًا أتمنى».

- تتمنى ماذا؟

- أنني واصلتُ المشي في ذلك اليوم ولم أقل شيئًا. لأنه ليس عدلًا، فقد كان يجب أن يكون جيمس المقتول وليس أنتِ. وكان يمكن أن يكون لو لم يكن بسببي.

غلبني الحزن الكامن لما قلتُه للتو. فلسنوات كنت ألوم نفسي على ما فعلتُه. كنت أتمنى لو لم أتحدث إلى جيمس في ذلك اليوم، وأن الأمور كانت ستختلف.

كم بدا هذا مضيعة الآن. لماذا لم أتمنَّ أن تشارلي وبيلي لم يقتلا أحدًا في ذلك اليوم؟ ربما لمجرد أنهما فعلا ذلك، وهكذا اتخذ الفعل حتمية: أصبح القتل شيئًا لا يمكن تجنبه، ولم تُخفَّف الآثار وتُحوَّل إلا لمصلحة أشخاص مختلفين وحياة مختلفة. لكنَّ الحقيقة كانت أنه سيكون هناك موت مرتبط بضميري مهما فعلت.

قالت جيني: «هذا ليس خطأك. والآن الشيء الثاني».

مدت يدها بحثًا في حقيبتها، ثم أخرجت المجلة ومررتها لي.

حياة الكتابة

تذكرتُ كم تأثرتُ لأنها أحضرتْها من أجلي. كيف يعني أنها كانت تفكر بي. لكنْ بعد ذلك تشتت النص الموجود على الغلاف بعيدًا عن التركيز، وأدركتُ أن الحلم كان يخرج عن سيطرتي.

قالت جيني: «كلهم متشابهون، ولهذا السبب لن يجدها».

كلمات أمي. فركتُ صفحات المجلة بين إصبعي وإبهامي في محاولة يائسة لأبقى.

- ماذا يعني هذا؟

لكنْ رغم جهودي بدأ كل شيء يتلاشى من حولي. أصبح الوعي بالاستلقاء على السرير في غرفة الفندق أكثر واقعية من وجودي على المقعد، وكنتُ

سأستيقظ. لكنْ مع أن جيني لم تستطع معرفة إجابة سؤالي فإنه بدا من المُلِحِّ سماع ردها.

قلت: «ما المتشابه؟ وما الذي لن يجده؟»

بينما كنت أحدق إلى ما تبقى منها مرَّ بي وميض مفاجئ من الوحي واعتقدتُ أنني قد أفهم. ومع أن الحلم قد انتهى الآن تقريبًا وكانت الغرفة في العالم الحقيقي تترسخ من حولي، رأيتُها تبتسم للمرة الأخيرة قبل أن أستيقظ تمامًا، ويتكلم وجهها بالكلمات التي شعرتُ بها بقدر ما سمعتُها.

وداعًا يا بول.

مكتبة
t.me/soramnqraa

33

شعرتُ بأنني مخدر وأنا أقود سيارتي إلى منزل والدتي- عازمًا جدًّا على الوصول إلى هناك لدرجة أنني بالكاد سجلت الرحلة.

لم يكن ذلك بالكامل بسبب النعاس الحتمي الذي صاحب الحلم الجلي. الآن بعد أن خطرت لي الفكرة شعرت أنه من المهم الوصول إلى هناك بسرعة ومعرفة أكان من الممكن أن يكون صحيحًا. ما كنتُ أفكر فيه كان جنونًا في ظاهر الأمر، ومع ذلك فقد رُبِطَ شيء ما في مكانه، وكنت بحاجة إلى التحقق من أجل التأكد. وبينما كنت أقود السيارة كان الأمر كما لو أن عقلي أمامي فعلًا ينتظر هناك في المنزل ويحثني على الانضمام إليه.

كلهم متشابهون.

لهذا السبب لن يجدها.

عندما أوقفت سيارتي وخرجت كان الشارع فارغًا. لكن في حين أنه ربما كنت أتخيل فإن الهواء بدا أنه يتمتع بالإحساس المتقلب نفسه الذي كان عليه يوم الجريمة.

بمجرد دخولي المنزل توقفتُ مؤقتًا في الردهة. في الجزء العلوي من الدرج كان الغبار يتحرك ببطء في الهواء عند بسطة الدرج مضطربًا بشكل عرضي بسبب فتح الباب الأمامي. كان المكان صامتًا كما كان دائمًا، لكن اتخذ الثقل في الهواء شعورًا مختلفًا اليوم. كان أكثر هدوءًا وفراغًا، وشعرت أن في

المنزل حزنًا كما لو أنه يعرف بطريقة ما أن الشخص الذي عاش هنا لسنوات عدَّة قد رحل الآن، وكان المبنى نفسه حزينًا على الخسارة.

كنتُ ما زلتُ متوترًا بشأن من أرسل الدمية ولكنَّ الحاجة إلى معرفة الأمر قد تجاوزت ذلك. صعدتُ إلى غرفتي القديمة في الطابق العلوي ووزعت محتويات الصندوق على الطاولة.

المجلة.

الكتاب المحتوي على اسم جيني على الغلاف.

الدفاتر.

نظرتُ إليهم الآن. كانوا ثمانية، ولم أهتم بها كثيرًا حتى الآن. كانت مذكرات أحلامي فوق الكومة، أول شيء فتحته، ولم أكن مهتمًّا بالنظر في الآخرين وقراءة كل محاولاتي المراهقة البائسة في الكتابة. كل المحاولات المزعجة لرواية القصص التي تخليتُ عنها منذ مدة طويلة.

لكنِ الآن التقطت واحدة وفتحتها.

لا شيء.

واحدة أخرى.

لا شيء.

ثم فتحتُ الثالثة. وأمامي لم أرَ خط يدي بل خط يد تشارلي الصغير الأسود المشابه للعنكبوت.

أغلقتُه غريزيًّا وقلبي ينبض بقوة أكبر.

عاد عقلي إلى أول مرة قارنًّا فيها نحن الأربعة النتائج، وقت الغداء الذي نفذ فيه تشارلي الخدعة التي تبدو مستحيلة إذ أظهر أنه شارك حلمه مع حلم جيمس. كيف لاحظتُ ذلك اليوم أنني كنتُ أملك بالضبط نوع دفتر الملاحظات نفسه.

إنه في المنزل الآن يا بول.

كلهم متشابهون.

لهذا السبب لن يجدها.

لكنْ كان من المفترض أن تختفي مذكرات تشارلي معه. كان لديه هو وبيلي كلتاهما معهما يوم القتل- على الأرجح كجزء من الشعائر التي ابتكرها تشارلي. وهذا ما يعني أنني كنتُ أحمل شيئًا قد اختفى من العالم في الوقت نفسه الذي اختفى هو فيه. كانت في يدي قطعة مستحيلة من السحر.

السحر.

فحصتُ بعض المُدخلات في نهاية دفتر الملاحظات. كانت جميعها اختلافات للموضوع نفسه: الأيدي الحمراء، الغابة، بيلي وجيمس. كان معظمها غامضًا لكن برز مُدخلان لأنهما كانا محددين أكثر من غيرهما. كانت هناك فقرة طويلة تصف الحلم الذي قُتِلَ فيه كلب جودبولد، وفي الخلف يوجد مُدخَل مفصَّل مماثل حول طرق باب جيمس في الليل. في كلتا الحالتين طبعًا كان تشارلي يعرف ما فعله في الحياة الواقعية وكان قادرًا على أن يكون أكثر دقة.

عدتُ إلى الخلف أكثر حتى وجدتُ المُدخل الذي كنت مهتمًّا به أكثر.

أنا جالس معه في الغابة.

الجو مظلم للغاية هنا لكنْ يمكنني القول إنه يرتدي سترة الجيش القديمة التي بها نسيج متهالك على أكتافه يشبه الريش، مثل ملاك قُصَّتْ أجنحته إلى جذوع الأشجار.

كان بالضبط كما تذكرتُ من قراءته في وقت الغداء. أخبر تشارلي جيمس أن يمرر لي مذكرات أحلامه حتى أتمكن من رؤية الحقيقة بنفسي، في ذلك الوقت نظرتُ إلى خط اليد الأسود الصغير نفسه وتاريخ ذلك اليوم مسجل في الأعلى، وكان الحلم قريبًا جدًّا مما وصفه جيمس فعلًا بالكتابة لدرجة أنه بدا

من المستحيل أن يكون مصادفة، ومع ذلك لم أتمكن من شرح كيفية إنجازه الأمر.

خدعة تشارلي.

قلبتُ صفحة وبدأت في القراءة.

أنا جالس معه في الغابة.

ثم صفحة أخرى.

أنا جالس معه في الغابة.

ظللتُ أقلب الصفحات إلى الخلف. كانت المُدخلات لهذا الأسبوع بأكمله متطابقة تقريبًا، في حين غيَّر تشارلي بعضًا من الكلمات فإن الموضوع هو نفسه تمامًا. في كل واحدة خرج صبي ووحش من الغابة ورأيا جيمس في حديقته الخلفية ينظر إليهما.

وبعد كل هذه السنوات فهمتُ أخيرًا.

الحضانة.

قضى تشارلي أسابيع في تزويدنا بقصص عن الغابة المسكونة. كان يأخذنا في نهاية كل أسبوع إلى هناك، ويصرُّ دائمًا على دخولهم من خلال حديقة جيمس الخلفية. لذلك كان من المحتَّم تقريبًا أن نحلم بهم جميعنا وجيمس أيضًا في النهاية.

فكرتُ عندما أعطتني جيني المجلة في ذلك الوقت، كنتُ أتخيل أنها كانت مصادفة أنها أحضرتها في اليوم نفسه الذي قررتُ فيه البحث عنها والتحدث معها. لكنها لم تفعل طبعًا، لقد فهمتُ ذلك كليًّا. كان هذا هو اليوم الذي أعطتني إياها فيه لمجرد أن ذلك كان اليوم الذي تحدثتُ فيه معها. لقد أحضرتْها كل يوم وأيًّا كان اليوم الذي تحدثتُ فيه إليها كان سيبدو كأنه مصادفة أيضًا.

وقد فعل تشارلي شيئًا مشابهًا. كان قد أعدَّ مُدخلًا بعد مُدخل حتى يكون لديه واحد جاهز كلما وصف جيمس أخيرًا شيئًا كان قريبًا بما فيه الكفاية ليتطابق معه.

حدث ذلك في وقت أقرب بكثير مما كنت أتوقع.

انتشر شعور الإحباط داخلي. كيف كان بإمكاني إيقاف كل شيء بسهولة في ذلك الوقت لو أدركتُ فقط. في وقت الغداء ذاك كان الثلاثة يراقبونني في انتظار ردي على مُدخل المذكرة، وتذكرتُ كم شعرتُ بالعجز. طوال الوقت كان كل ما كنتُ بحاجة إلى فعله هو قلب صفحة واحدة.

وإذا كنتُ فعلتُ فلم يكن سيحدث أي من البقية.

أغلقت المذكرات.

قلت بهدوء: «كيف حصلتِ على هذا يا أمي؟».

طبعًا ظلَّ المنزل صامتًا.

ذهبتُ إلى غرفة نوم أمي. فتحتُ الستائر محدقًا إلى الشارع. كانت الشمس تضيء بشدة الآن لدرجة أن الهواء فوق سيارتي كان يتلألأ في الحرارة. لم يكن في الأفق أحد؛ كانت القرية ميتة وصامتة

إلى جانبي شعرت بثقل المذكرات في يدي.

كيف حصلتِ على هذا؟

جعلني السؤال أشعر بالمرض لأنه بينما كان هناك العديد من التفسيرات الممكنة لوجودها في المنزل فقد توصلوا جميعًا في النهاية إلى الشيء نفسه.

كانت والدتي تعرف عن اختفاء تشارلي أكثر مما أخبرتني.

نظرتُ إلى السقف متخيلًا الأيدي الحمراء في العلية وصناديق الصحف التي جمعتْها والدتي. عندما اكتشفتُهم لأول مرة كنتُ أتخيل أنها قد خزنتهم على مر السنين، وأخذتْ على عاتقها حمايتي من المعرفة والشعور بالذنب.

لكن الآن تساءلت أكان هذا الشعور بالذنب هو خاصتها حقًّا، إذا كانت تعرف ما حدث لتشارلي فعندئذ على الأقل يقع عليها بعض اللوم في عمليات القتل المقلَّدة. كان بإمكانها فعل شيء لإيقافها.

ومع ذلك لسبب ما لم تفعل.

نظرتُ من النافذة إلى الأسفل مرة أخرى.

لم يعد الشارع فارغًا.

كان هناك رجل يقف في الجانب البعيد من سيارتي. كانت الشمس خلفه مظللة قليلًا وملامحه محجوبة بالضباب فوق السيارة، لكن يمكنني القول إنه كان يبادلني التحديق. تعرَّفته على الفور، واختفت خمسة وعشرون عامًا في فضاء نبضة قلب واحدة.

رفع الرجل يده.

فعلت الشيء ذاته بعد لحظة من التردد.

تركتُ مذكرات الأحلام على السرير ثم نزلتُ إلى الطابق السفلي. خارج الباب قُوبلت بالدفء والضوء. كان الرجل يبتعد الآن متجهًا ببطء مبتعدًا عن الشارع. لكن لم تكن لي حاجة إلى مطاردته لأنني كنت أعرف إلى أين يذهب.

استدرتُ وأغلقتُ الباب.

وبعد ذلك بدأت في اتباعه متحركًا ببطء الآن.

34

في الصباح الثاني على التوالي وجدتْ أماندا نفسها جالسة في كافيتريا قسم شرطة جريتن منحنية على حاسوبها المحمول. بإحباط -يبدو أنه أصبح مكتبها في الوقت الحالي- أخذت رشفة من القهوة التي لم تتحسن.

كما لم يتحسن الوضع العام كذلك.

كان لديهم ثلاث جرائم قتل حتى الآن، مع ارتباط الضحايا بجريمة قتل الأيدي الحمراء الأصلية. بينما لم تفهم أماندا ما كان يحدث بعد فإنها لم تصدق أن هذا من المحتمل أن يكون نهاية الأمر.

كانوا بحاجة إلى العثور على بول آدامز.

وجد الضباط أولًا حجزًا له في فندق في جريتن. اعتَقدتْ أنه كان أمرًا يدعو إلى السخرية فهي لم تتمكن من العثور عليه الليلة الماضية لأنه أخذ بنصيحتها بالخروج من المنزل. لكن وفقًا للفندق هو لم يكن في غرفته وسيارته لم تكن في موقف السيارات. اعتقدتْ أن هذا يعني أنه كان على الأرجح في منزل والدته، وبعد مناقشة الأمور مع المحقق جراهام دواير الذي لا يزال مترددًا أُرسِل هولدر إلى جريتن وود لمعرفة أكان بول هناك.

نظرتْ إلى هاتفها الآن وهي تستريح على الطاولة بجانب الحاسوب المحمول.

لا شيء.

حوَّلت انتباهها إلى حاسوبها المحمول في محاولة لإلهاء نفسها. كان موقع الجريمة في برينفيلد لا يزال قيد المعالجة، لكنَّ تاريخ الأسرة كان موجودًا في الملف فعلًا.

انتقل كارل وإيلين داوسون إلى برينفيلد منذ أكثر من عشر سنوات. بدا سبب الانتقال حتى يكونا أقرب إلى ابنهم جيمس. عند القراءة بين السطور بدا أن جيمس داوسون عانى بشدة في أعقاب جريمة القتل في جريتن. كان قد ذهب إلى الجامعة، لكنه ترك الدراسة بعد فصلين دراسيين، وقضى معظم حياته منذ ذلك الحين يتجول. كانت في سجله إدانات بسيطة بتعاطي المخدرات، وكذلك قليل من السلوك المعادي للمجتمع منخفض المستوى. كانت في الملف أيضًا قائمة طويلة من العناوين مع وجود فجوات بينها تشير إلى أنه كان بلا مأوى في بعض الأحيان.

عمومًا

ذكَّر أماندا بكيف عاش بيلي روبرتس بعد إطلاق سراحه من السجن. إلا أن جيمس داوسون كان لديه أشخاص يهتمون به. قبل عشر سنوات ورث كارل داوسون المال بعد وفاة والدته. اشترى هو وإيلين المنزل في برينفيلد حيث كان يقيم ابنهما في ذلك الوقت، وكان جيمس يعيش معهما منذ ذلك الحين.

التضحيات التي يقدمها الآباء لأطفالهم.

ومع ذلك من التفاصيل على الشاشة كان هناك دليل على أن هذه الحديقة بالذات لم تكن وردية تمامًا. استُدعِيت الشرطة إلى العنوان في عدة مناسبات من قبل الجيران القلقين، وذات مرة قُبِضَ على إيلين داوسون فعلًا وجُرِّدَتْ من ممتلكاتها. لم تُوجَّه أي اتهامات وعادت المرأة في النهاية. اعتادت أماندا أكثر أن يكون السيناريو مختلفًا بناءً على جنس الشخص، لكن ذلك لم يفعل شيئًا لجعل الأمر أقل كآبة. ليس أقلها لأن ذلك كان أحد أسباب عدم اتصال هؤلاء الجيران القلقين بالشرطة على الفور في الساعات الأولى من يوم أمس عندما سمعوا صيحات وصراخًا من داخل منزل داوسون.

عادة ما كانوا يسترقون السمع طبعًا قبل الفجر بقليل، فسمع أحد الجيران الباب الأمامي لمنزل داوسون يُفتح، ورأوا رجلًا يرتدي ملابس سوداء يخرج من المنزل. افترض الجار أنه كان كارل داوسون، لكنْ كان الجو يعمه الظلام وليس لديهم وصف حقيقي ليعتمدوه. على أي حال كان هناك شيء مزعج بما يكفي بشأن السيناريو بأكمله حتى تفهمه. عثر الضباط الحاضرون على جثتين في الغرفة الأمامية. بينما كان المشهد لا يزال قيد المعالجة بدا أنه قُتِلَتْ إيلين داوسون بسرعة ومن ثم استغرق القاتل المزيد من الوقت مع جيمس.

تحطم قلب أماندا قليلًا.

من كل ما قرأته على الإنترنت عن تاريخ القضية وجدت صعوبة في تخيل جيمس داوسون على أنه أي شيء آخر سوى طفل صغير ضعيف، ومعرفة ما حدث في حياته في السنوات التي تلت ذلك زاد هذا الانطباع. لقد كان صبيًّا لم يتعافَ تمامًا مما حدث. كان أصدقاؤه المفترضون الذين احتضنهم قد أعدوه عازمين على قتله، وكشخص بالغ فهو كافح بوضوح للعثور على مكان مناسب لنفسه في العالم. كان الأمر كما لو كان عالقًا في مرحلة الطفولة، لا ينمو أو يزدهر أبدًا وفقط ظل مجمدًا إلى الأبد، وجوده محدد بلحظة من الصدمة النفسية.

فكرتْ أماندا أنها إذا حاولت فربما يمكنها تقديم حجة مفادها أن ما حدث لبيلي روبرتس يرقى إلى نوع من العدالة. لكن لا يمكن أن تكون هناك محاولة لفعل ذلك في هذه الحالة، فمهما كان ما حدث في حياة جيمس داوسون فإنه لم يستحق نهاية كهذه.

هل كان هو الشخص المسؤول عن حساب CC666؟

يبدو ذلك مرجحًا، استُحوِذَ على جهاز كمبيوتر من المنزل ويجري فحصه. لكنْ إذا كان الأمر كذلك فعلًا فهي لم تفهم السبب.

لكنْ بصرف النظر عن ذلك كان السؤال الأكثر أهمية الآن هو عن مكان كارل داوسون.

فُتِحَ باب الكافيتريا ونظرت أماندا حولها لترى دواير يدخل، ويجلب معه رائحة الطعام المطبوخ. انتقل إلى طاولتها جالسًا في الجهة المقابلة، وجلس بقوة لدرجة أنها لم تكن واثقة أن الأثاث سيصمد، ثم وضع غلافًا دهنيًا على الطاولة وبدأ في إخراج شطيرة منه.

قال: «سجَّل هولدر الوصول للتو، أخبرني أنه لا توجد علامة على وجود آدامز في منزل والدته، لكنَّ سيارته موجودة هناك».

- هذا نوعًا ما علامة.
- هولدر ليس ذكيًّا جدًّا.
- هل تحقق من الداخل؟
- إن المنزل مغلق، لقد نظر خلال بعض النوافذ ومن الواضح أنه لم يكن هناك شيء في غير محله لذا لم يكن يوجد سبب محتمل للاقتحام. ربما ذهب آدامز إلى المتاجر فقط.
- نحن بحاجة إلى العثور عليه.
- كما تريدين.

كان هناك بضع ثوانٍ من الصمت إذ ابتلع دواير طعامه ومسح شفتيه برقَّة بمنديل لم تلاحظه، ثم تغير أسلوبه قليلًا.

قال: «كنتُ هناك كما تعلمين».

- ماذا تعني؟
- فقط ما قلتُه. كنت الضابط الحاضر في ذلك اليوم، كنتُ في الملعب عندما عُثِرَ على جثة الفتاة، ثم كان هناك اثنان منا ذهبا إلى منزل آدامز بعد ذلك. استطعنا إلقاء نظرة حولنا وكنا ننتظر عودة والدته. في تلك المرحلة اعتقدتُ أنا وشريكي أنه قتلها.

قالت أماندا: «كان واضحًا، أليس كذلك؟».

- بالضبط.

أخذ دواير قضمة أخرى من شطيرة. انتظرتْه ليمضغها ويبتلعها.

هز كتفيه: «بعد فوات الأوان كان هذا غير عادل مني، أنتِ تخمنين بين الاحتمالات، أليس كذلك؟ كان في آدامز شيء غريب -فيهم جميعًا- لكنَّ حدسي في ذلك اليوم كان خاطئًا. ربما ما كنتُ أفكر فيه الآن هو خاطئ أيضًا. هل تعتقدين أن هذا الرجل -كارل داوسون- متورط؟».

تراجعتْ أماندا إلى الخلف.

قالت: «بقدر ما؟ بالتأكيد. أعني أن أسرته ماتت وهو مفقود، في موقف كهذا إنه افتراض طبيعي».

- كما قلتُ، أنتِ تخمنين بين الاحتمالات.

- نعم أنت تفعل. لكن سواء كان مسؤولًا أم لا فأنا ليست لديَّ أي فكرة. ولا يمكننا وضعه كمسؤول عن حادث بيلي روبرتس بعد.

- لا يمكننا التأكد من أن هذا هو الجاني نفسه حتى.

لكنْ إذا كان دواير لا يزال نصف متمسك بنظريته الأصلية فلن يبدو مقتنعًا بها كما كان بالأمس فقد كانت مجرد مصادفة كبيرة. بيلي روبرتس وجيمس داوسون -صبيان كانا متورطين في جريمة القتل هنا قبل خمسة وعشرين عامًا- تعرضا للتعذيب والقتل. وبصرف النظر عن مدى رغبته في تخطي الماضي يمكنها أن تقول إنه كان قلقًا تمامًا كما كانت.

قال: «كان داوسون يعرف الضحايا الثلاث، وأنا أشتبه فيه لذلك».

كانتْ على وشك الرد عندما بدأ هاتفها المحمول يرن، كانت تُظهِر الشاشة أنه ثيو.

- انتظر.

ردَّت على المكالمة واضعةً الهاتف على أذنها. وكالعادة كان الصوت الناعم لأجهزة الكمبيوتر الخاصة به وأثرها يطن في الخلفية.

قالت: «مرحبًا ثيو، أماندا هنا».

- مرحبًا، أردتِ رقم الهاتف المحمول لـ بول آدامز، أليس كذلك؟

- نعم.

- إنه في الواقع يستخدم نظام الدفع عند الاستخدام لكنني حصلتُ عليه من تفاصيل بطاقته. لا تسأليني كيف، لكن تفضلي.

دوَّنتِ الرقم الذي أعطاها إياه.

- شكرًا يا ثيو.

- هناك شيء آخر، سأضطر إلى تمرير هذا إلى السلطات المختصة، لكنني اعتقدتُ أنني عليَّ إخبارك أولًا. لقد حصلتُ على رقم لكارل داوسون أيضًا.

خفق قلبها. وكما لاحظتْ فهناك شيء آخر حدث لها.

قالت: «هل يمكنك إخباري بمكان داوسون؟».

- أنتِ تريدين أن يُلبَّى كل ما تريدين يا أماندا، لكن نعم ربما. فقط أعطيني ثانية، فكلما زاد عدد الأبراج التي يتصل بها كان الأمر أسهل.

سمعته يكتب في الخلفية.

- وجدتُه.

- هل حصلت عليه؟ أين هو؟

قال ثيو: «على بعد نحو عدة كيلومترات منكِ، في جريتن وود».

35

بعد جريمة القتل هُدِمَ الملعب القديم ومُهِّدَ، وعندما غادرتُ جريتن لم يُضَف أي شيء إلى قطعة الأرض الفارغة هناك، كما لو لم يكن يعرف أحد ماذا يفعل بها، وكانت تكفي تغطيتها فقط في الوقت الحالي. ولكن الآن توجد هناك مقاعد تلتفُّ حول شجرة في المنتصف.

ومع ذلك عندما اقتربتُ كان لا يزال بإمكاني تخيلها تمامًا كما كانت في ذلك الوقت. والشخص الذي ينتظرني على أحد المقاعد ذكرني كثيرًا بجيمس في ذلك اليوم، هش وخائف للغاية، لدرجة أنه كان من السهل تخيل أنني عدتُ إلى الماضي في الوقت المناسب.

توقفت أمامه.

- سيد داوسون.

كان زوج أم جيمس يحدق إلى يديه. أدركتُ الجلد المرقش لجمجمته الصلعاء، وخشونة يديه الكبيرة المجعدة. عندما رفع رأسه أخيرًا كان وجهه رقيقًا ومرهقًا وعيناه غارقتين في جفنيهما. بدا حزينًا بشكل لا يُصدق، حتى إنني يمكنني الشعور بموجات من الحزن تضربه، وشعرتُ كأنه شيء أعمق من الخسارة كما لو أنه الآن يواجه الأيام الأخيرة من حياته، كان حزينًا على كل الأشياء التي تدبَّر أمرها وكل الأشياء التي لم يفعل.

فكَّر: **كم أصبح عمر الجميع؟**

وكم هو غريب أن جيلًا تذكرتُه على كونه قويًّا وصارمًا وموثوقًا به يتلاشى الآن إلى مرحلة الشيخوخة.

أشار إلى المقعد: «اجلس من فضلك يا بول».

جلستُ في الطرف البعيد تاركًا مساحة مريحة بيننا. لم يكن هناك شعور بالتهديد الجسدي منه، بل بالعكس، فإن العمر قد عزَّز فقط الشعور اللطيف وغير المؤذي الذي كان ينضح دائمًا. لكنني شككتُ أنه كان المسؤول عن أحداث الأيام القليلة الماضية، والآن بعد أن قرر أخيرًا إظهار نفسه لي أردت الحفاظ على درجة من المسافة بيننا حتى أفهم السبب.

قال: «أنا آسف جدًّا بشأن دافني».

- شكرًا لك.

بدا مكسورًا تمامًا لكنْ بعد ذلك تذكرت أن الرجل الجالس بجواري الآن كان صديقًا لوالدتي منذ الطفولة- وأنه عرفها لمدة أطول مما فعلتُ، وتذكرتُ الصورة التي رأيتُها لهما وكلاهما يبدوان صغيرين جدًّا، يهمس كارل بشيء لأمي جعلها تضحك بشدة.

قلت: «أنا آسف لخسارتك أيضًا».

أومأ مرة واحدة.

قلت: «هل تمكنتَ من رؤيتها؟».

- ليس بعد الحادث.

كان هناك نسيم خافت، حوَّلتُ وجهي إلى الشمس وأغمضتُ عيني لحظةً.

- أعتقد أنه يجب أن أشكركَ على الدمية؟

قال: «نعم، أنا آسف».

- كيف حصلتَ عليها؟

- لقد كانت خاصة جيمس.

فتحتُ عيني، إذن هي لم تكن دميتي على الإطلاق. تساءلتُ عما حدث لها، ربما لن أعرف أبدًا. احتوى صندوق المتعلقات في المنزل على أشياء كثيرة من ذاك العام لكنْ ليس كل شيء يستحق الاحتفاظ به.

- احتفظ بها جيمس كل هذا الوقت؟

قال كارل: «لم يعشْ حياة بذلك الاستقرار، لكنْ نعم كان يحتفظ بها دائمًا لسبب ما».

- نحمل كلنا الكثير معنا، أليس كذلك؟

قال: «بلى، نحن نفعل».

لم أفكر كثيرًا في عما كانت عليه حياة جيمس بعد أن غادرنا جريتن، لكنني افترضت أنني كنت أتخيل دائمًا أنه كان سعيدًا، لقد حزنتُ لمعرفة أنه لم يكن كذلك. أن الشعور بالذنب الذي شعر به قد طارده أيضًا ولم يتمكن من التخلص منه وتركه وراءه.

قلت: «طرْق الباب؟ كان هذا أنت؟».

- نعم.

- وكنت أنت من رأيته في الغابة في ذلك اليوم؟

أومأ كارل برأسه.

قلت: «لماذا؟».

- كنت أحاول إخافتك لتذهب بعيدًا.

هذا كاد ينجح. ولكن طبعًا كان كارل هناك عندما حدث كل شيء. كان يعرف أي أزرار يجب ضغطها.

قال: «أنا آسف، لم أكن أعرف ماذا أفعل غير ذلك، فأنا بصراحة لم أعتقد أنك ستعود إلى هنا. لطالما أخبرتني دافني أنك لن تفعل، لكن بعد ذلك وصلت إلى المنزل، وكنت أعرف أنها مسألة وقت فقط قبل أن تجدها».

إنها في المنزل يا بول.

قلت: «مذكرات أحلام تشارلي».

- وجدتَها إذن؟

- نعم، لماذا تمتلكها أمي؟

عمَّ الصمت بعد ذلك. حدقتُ خلال الملعب القديم مشاهدًا الشجيرات في الجانب البعيد تتمايل قليلًا في النسيم.

منتظرًا.

قال: «هل أنت متأكد من أنك تريد أن تعرف؟».

اشتعل الغضب بداخلي بعد كل ما حدث.

قلت: «هل تعلم أن الناس يستمرون في طرح هذا السؤال عليَّ، ربما لمدة طويلة كانت الإجابة هي لا. لم أكن أريد أن أعرف عن أي من ذلك، لكنني هنا الآن رغم تنبؤات الجميع عني. ولذا نعم أود أن أعرف وبشدة».

نظر كارل إلى السماء.

قال: «أردت فقط الحفاظ على سلامة الجميع، لكنِ الآن بعد موت دافني ربما لم يعد الأمر مهمًّا، ربما لا شيء يهم. وأقسم إنني متعب جدًّا. لذلك سأخبرك إذا كان هذا ما تريده ثم يمكنك حمله على عاتقك أيضًا، ويمكنك أن تقرر ماذا تفعل حياله».

- أخبرني كيف حصلتْ أمي على المذكرات.

واصل التحديق إلى السماء للحظة ضائعًا في ذاكرته، ثم نظر إلى الأسفل وفرك يديه معًا.

- أولًا أريد إخباركَ بما حدث في ذلك اليوم.

***

كان كارل وإيلين في المنزل في اليوم الذي قتل فيه تشارلي وبيلي جيني. كان كارل يعمل في الطابق العلوي، وكالعادة كان يستمع لمغادرة جيمس المنزلَ بقلب مثقل. كان هناك العديد من الأيام التي شعر فيها بذلك في ذلك العام: مشاهدًا تشارلي يقودنا جميعًا في الحديقة الخلفية ومنها إلى الغابة،

وشعر بالعجز عن التدخل. كان يعرف من هو تشارلي -الابن غير الشرعي لزوج إيلين السابق- ولم يثق بتدخله في حياة جيمس، لكنه لم يشعر قطُّ أن له الحق في قول أي شيء.

بينما أخبرني بهذا تذكرت آخر يوم ذهبتُ معهم إلى الغابة، الطريقة التي رأيتُ بها كارل يرفع بها يده على مضض إلى الزجاج عندما لوحتُ له.

- وطبعًا عند هذه النقطة أنت لم تكن معهم.

ثم تابع: «لكن في ذلك اليوم أنتَ تحدثتَ معه هنا وأخبرتَه الحقيقة. وهو عاد إلى المنزل بدلًا من مقابلة تشارلي وبيلي».

كان قد سمع بدء الجدال، وخرج من مكتبه المؤقت واقفًا بهدوء في الجزء العلوي من الدرج لبعض الوقت وهو يستمع للكلمات الغاضبة التي تبودِلتْ بين جيمس ووالدته. كانت تداعيات ما فعلتَه قبيحًا. فكانت إيلين تبكي وتصرخ، ومن جانب جيمس فقد بدا حازمًا مصممًا على اكتشاف حقيقة والده.

قال: «اعتقدتُ دائمًا أنه كان علينا إخباره سلفًا لكنَّ إيلين كانت مصرة، لم ترغب في التفكير في ما حدث وأرادت فقط أن تنسى. عند هذه النقطة لم أكن أعرف كيف اكتشف جيمس الأمر، لكنَّ جزءًا مني كان سعيدًا لأنه فعل. لكن كان الأمر متروكًا لهم لترتيب أمرهم فيما بينهم لذلك عدتُ إلى العمل».

استمرَّ الجدال في الطابق السفلي بعضَ الوقت ثم استقر في نوع من الصمت. واصل كارل العمل متخيلًا أنه سيكون قادرًا على المساعدة في الموقف لاحقًا. كان ذلك دوره في المنزل وهو تهدئة الأمور والاعتناء بالجميع والتأكد من أن كل شيء على ما يرام، كان دائمًا صانع السلام.

أخذ نفسا عميقًا.

- لكنْ بعد ذلك سمعتُ صراخًا.

لم يكن متأكدًا قطُّ مما حدث بالضبط، لكن بدا أن تشارلي قد دخل بطريقة ما من الباب الخلفي.

- كان هذا الصبي مجنونًا، أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟

أومأت برأسي متذكرًا: «بلى أعلم»

- لقد آمن حقًّا بعالم الأحلام الذي اختلقَه وكان يعتقد أنه سيجد والده عن طريق ما فعله. لكنْ طبعًا كان الأمر برمَّته سخيفًا. أعتقد أنه عندما استيقظ في الغابة كان منزعجًا ومحبطًا وغاضبًا لدرجة أنه جاء إلى منزلنا ليفرغ غضبه على إيلين.

لم يرَ كارل ذلك يحدث، لكنْ مما كان بإمكانه جمعه بعد ذلك، بدأ تشارلي في الصراخ بالإساءة لإيلين ثم هاجمها دافعًا إياها إلى الأرض وبدأ في ضربها. وقف جيمس هناك لحظةً يشاهد الصبي الذي اعتقد أنه كان صديقه يحاول قتل والدته. يعلم أنه تعرَّض للخيانة ويفهم أن أساس وجوده قد دُمِّرَ في لحظات.

وبينما واصل تشارلي هجومه على إيلين التقط جيمس سكينًا.

***

عندما انتهى كارل جلستُ هناك في صمت للحظة.

- قتل جيمس تشارلي؟

أومأ كارل برأسه.

- كان يمكننا تقديم حجة بأنه كان يتصرف دفاعًا عن النفس- أو على الأقل يحمي والدته. لكنه تمادى كثيرًا وفقد السيطرة على نفسه. أعتقد أن كل ما حدث -كل ما علمه في ذلك اليوم- قد فاض في تلك اللحظة. كان لا يزال يطعن تشارلي عندما نزلتُ وكان عليَّ أن أصارعه حتى أستطيع سحب السكين منه.

أغمض عينيه حتى يتخلص من الذكرى.

قلت: «لماذا لم تتصل بالشرطة؟».

- فكرتُ في الأمر لكنْ بعد ذلك... اتخذتُ قرارًا وأنا أقف هناك، ففي ذلك الوقت كنت أعرف أن حياتنا قد تغيرت إلى الأبد، وأردتُ الحد من الضرر.

ثم نظر إليَّ فجأة: «أنا أحب جيمس كما تعلم».

أومأت برأسي متذكرًا.

مثل ابنه.

- وكنتُ أعلم أنه سيكون في ورطة حقيقية، لم تكن لديَّ أي فكرة عما كنت أفعله، لكنْ كان على شخص ما تولي المسؤولية. كان جيمس يبكي وكانت إيلين في حالة هستيرية. احتاجا إلى شخص ما للاعتناء بهما، وكان عليَّ فعل ذلك كالعادة.

هز رأسه وصمتَ.

انتظرتُ.

بعد مدة أخذ نفسًا عميقًا آخر.

- لففنا جسد تشارلي بأغطية بلاستيكية وحزمناها بإحكام، ووضعناه في العلية محاطًا بالصناديق والسجاد. لقد نظفنا ثم انتظرنا، لم نكن نعرف ما فعله حينها، وبحلول الوقت الذي اعتقِل فيه بيلي في ذلك المساء كان قد فات الأوان لتغيير أي شيء. كنا أخفينا الجثة وتولينا أمر تجهيز مسرح الجريمة، كنا جميعنا مذنبين. جاءت الشرطة للتحدث معنا في اليوم التالي، لكن لم يكن لديهم سبب للاشتباه فينا في أي شيء. ولم يفتشوا المنزل قطُّ أو أي شيء من هذا القبيل. ظللت أنتظر حتى تسوء الأمور، لكنْ لم يحدث ذلك. كان ما تبقى من تشارلي مغلق بإحكام فوقنا، لكنْ في النهاية كان من السهل التظاهر بأن كل شيء... ذهب أدراج الرياح.

بسط يديْه وكأنه لا يصدق ذلك تمامًا، ولكنه كان مخطئًا رغم ذلك. فربما قد أفلت ثلاثتهم من الجريمة، لكنَّ تداعيات اختفاء تشارلي لا تزال محسوسة حتى الآن. كان الناس يموتون بسبب هذا السر. ما حدث في ذلك اليوم قد مدَّ أصابعه في الخمسة والعشرين عامًا التي تلت ذلك ولا تزال لديه قبضة مسيطرة على العالم.

قال كارل: «لم يتعافَ جيمس قطُّ وكانت حياته صعبة، ما بين شرب الكحوليات والمخدرات. حصلنا أنا وإيلين على بعض المال وانتقلنا لنكون أقرب إليه، فلقد احتاج دائمًا إلى شخص يعتني به».

قلت: «نعم».

- وبذلتُ قصارى جهدي للمساعدة، وحاولتُ إقناعه بأن ما حدث لم يكن سوى حلم سيئ.

ثم ضحك كارل على السخرية: «أعتقد أنه تقبل كون هذا صحيحًا بمرور الوقت، واعتقد أن تشارلي اختفى حقًّا في ذلك اليوم. ظل يتحدث عن ذلك طوال الوقت محاولًا إثبات الأمر لنفسه. احتاج إلى أن يكون هذا ما حدث حتى لا يتذكر».

فكرتُ فيما أخبرتني به أماندا.

- هل يتحدث عن ذلك خلال الإنترنت؟

- ماذا تقصد؟

- لا أعلم.

اعتقدتْ أماندا أن المستخدم في المنتدى الذي ذكرتْه كان يشجع القتلة في مسقط رأسها. تساءلت الآن أكانت قد أساءت تفسير الرسائل التي رأتها. إذا كان ذلك ممكنًا فلم تُصمَّم للتحريض بل لتعزيز الاعتقاد الذي يحتاج المستخدم إلى التشبث به، وهو أن تشارلي لم يكن ميتًا. أن ما وصفه كارل لي للتو لم يحدث قطُّ.

لم يجب أي منها عن سؤالي الأصلي.

- كيف كانت والدتي متورطة؟

نظر إليَّ: «لم تكن، **عليك** أن تصدقني يا بول، هي لا علاقة لها بما حدث».

- لكن؟

نظر بعيدًا.

- لكن كان الأمر صعبًا، الذنب والضغط. وكانت دافني أعز أصدقائي، نحن حقًّا... حسنًا، كنا نهتم ببعضنا.

فكرتُ مرة أخرى في صورتهما ثم أيضًا في المحادثة التي سمعتها عندما كنت طفلًا.

يمكنك اختيار شخص أفضل بكثير كما تعلم.

الصمت الذي أعقب ذلك قبل رده.

لا، أنا حقًّا لا أستطيع.

بحلول ذلك الوقت طبعًا كانت أمي وأبي متزوجين منذ سنوات، وكان كارل قد تولى فعلًا مسؤولية تربية جيمس. في ذلك الوقت لم تكن المحادثة مشحونة بالنسبة إليَّ، لكنني كنت كبيرًا بما يكفي الآن لأتخيل ثقلًا للكلمات والمسافات بينها، القواعد التي كان يجب اتباعها، والفرص التي لم تُستَغل. والأشياء التي تُرِكَتْ غير معلنة والحياة غير مستكشفة.

- أخبرتَها بما فعلتَ؟

- بعد بضع سنوات.

- ماذا قالت؟

- أنني فعلتُ الشيء الصحيح، أنه لن يأتي أي شيء جيد من قول الحقيقة. لأنها فهمت أنني كنت أبذل قصارى جهدي من أجل جيمس، وأنه من الأفضل أن يُنسى كل شيء. ولهذا أبقت الأمر سرًّا طوال هذه السنوات.

نعم كان هذا بالضبط ما فعلتْه والدتي بدافع الواجب والصداقة وربما حتى الحب الضائع. لكنه كان عبئًا وجدتْ صعوبة في تحمُّله. فكرتُ في الأيدي الحمراء في العلية وتقارير الصحف التي جمعتْها. لقد فهمتُ عواقب صمتها وقد عذَّبها الأمر لكنها حملت الثقل على أي حال.

يضحي جيل بالكثير لحماية الجيل التالي.

قال كارل: «لكنَّ العام الماضي أو نحو ذلك بدأت تتصل بي وكان واضحًا مما كانت تقوله أنها كانت... تفقد قبضتها على كل شيء قليلًا. ظلتْ تتحدث

معي عما حدث وكنتُ قلقًا مما قد تقوله للآخرين، وهكذا قبل أسبوعين عدت إلى جريتن».

- ذهبتَ لرؤيتِها؟

- حاولتُ التحدث معها لكنها لم تكن هي نفسها.

- لذا دفعتها من الدرج؟

- لا!

كانت الصدمة المفاجئة في صوته والتعبير على وجهه حقيقيًّا.

- إذن قل لي ما حدث.

- قررتُ أن أفضل شيء يمكن فعله هو إخراج الجثة من منزلنا القديم، وبهذه الطريقة إذا **قالت** دافني شيئًا فلن يكون هناك دليل ليعثر عليه أي شخص، لذلك في تلك الليلة أخذتُ بقايا جثته إلى الغابة ونثرتها وغطيتها قليلًا. لقد بذلت قصارى جهدي لجعل الأمر يبدو كأنها كانت هناك منذ مدة طويلة.

إنه في الغابة يا بول.

يتحرك بين الأشجار.

- ربما رأت دافني المصباح لكنْ لا يهم فقد كانت تعرف فعلًا ما كنتُ أفعله. المشكلة كانت مذكرات أحلام تشارلي، أتعرف؟ لقد أخذها جيمس، وأعدتُها معي. لكنني أدركتُ أنني لا أستطيع ترك ذلك معه في الغابة، فقد كانت رفاته مجرد عظام، لكنْ لم تتحلل المذكرات- ربما كانت كالجديدة تمامًا، لذلك كانت خطتي هي حرقها. تركتها على طاولة المطبخ عندما خرجتُ إلى الغابة وعندما عدتُ لم تعد موجودة.

- دخلتْ أمي وأخذتها؟

- فعلتْ بالتأكيد، لكنْ بحلول ذلك الوقت كان الأوان قد فات بالنسبة إليَّ لفعل شيء حيال الأمر. ذهبتُ إلى منزلكَ وكانتْ خدمات الطوارئ بالخارج.

كلهم متشابهون.

لقد فهمتُ ما حدث الآن، فقد أخذتْ والدتي المذكرات وأخفتْها بين الدفاتر المتطابقة الأخرى. لقد وصلتْ إلى هذا الحد لكنَّ جسدها لم يعد قويًّا بما فيه الكفاية.

قلت بهدوء: «لذلك كانت تنزل على الدرج».

- ماذا؟

- لا يهم.

استقر الصمت بيننا.

ثم تنهَّد كارل.

- أنا متعب يا بول. الآن أنت تعرف كل شيء وكما قلتُ إن الأمر متروك لك فيما تفعله بما قلتُه لك.

ثم أشار خلفنا: «إن تشارلي موجود في الغابة الآن وعاجلًا أم آجلًا سيُعثَر عليه وسينتهي الأمر. في غضون ذلك عليك أن تقرر ماذا ستفعل. يمكنكَ تدمير ما تبقى من حياة ثلاثة أشخاص ويمكنك إتلاف ذاكرة والدتك أو يمكنك...».

- أنسى؟

- نعم أفترض ذلك.

نظرتُ بعيدًا، بالنظر إلى كل ما قاله وبالتفكير من خلال سلسلة الأحداث وشبكة الأسباب والنتائج إذا كان ما قاله لي صحيحًا فهل لمتُ أي شخص على الطريقة التي تصرف بها؟ لم أكن متأكدًا أفعلتُ أم لا. كانوا يحاولون بذل قصارى جهدهم لحماية الناس الذين أحبوهم ولتحصينهم من الأذى ولتحمل الأعباء المنفصلة التي سُلِّمَتْ لهم. ربما حان الوقت لتحمل نصيبي من ذلك.

تذكرتُ كلمات أمي حينها.

قلت: «يمكنكَ اختيار شخص أفضل بكثير كما تعلم».

كان محفورًا على وجه كارل عمر كامل من الندم. واعتقدتُ أن ما قلتُه ربما كان صحيحًا بالنسبة إلى الجميع، وربما فقط مع اقترابكَ من نهاية حياتكَ ستقدر قوته.

قال: «نعم أنا أعلم».

ثم يمكنك حمله على عاتقك أيضًا.

ويمكنك أن تقرر ماذا تفعل حياله.

وكنت على وشك أن أقول شيئًا آخر، لكن بعد ذلك نظرتُ ورأيتُ سيارات الشرطة التي كانت تصل.

36

قاد دواير السيارة بسرعة كبيرة، وتوقف بجانب ما كان في السابق الملعب في جريتن وود. توقفتْ سيارة ثانية خلفها وكادت تصطدم بها من الخلف.

نظرتْ أماندا من نافذة الراكب ورأتْ شخصين يجلسان على أحد المقاعد. تعرَّفتْ بول وافترضتْ من بيانات التتبع الحية التي كان ثيو لا يزال يزودها بها أن الرجل الآخر هو كارل داوسون.

من الواضح أن دواير لم يكن لديه أي شك: لقد كان فعلًا خارج السيارة يتحرك بسرعة أكبر بكثير مما رأتْه في أي وقت مضى. كانت لا تزال تفك حزام الأمان في حين كان يخطو فوق السياج الصغير حاملًا بطاقة هويته أمامه.

سمعتْه يقول: «السيد داوسون؟ السيد كارل داوسون؟».

أسرعتْ للحاق به، وسمعتْ خلفها الأبواب تُغلَق. كانت كلتا السيارتين متوقفتين على الجانب نفسه من المنطقة: ليس إجراءً رائعًا، لكن كانت هناك مجموعة من الشجيرات الكثيفة تحاوط الجانب البعيد من الملعب، وبدا كارل داوسون متفاجئًا جدًّا فلن يكون قادرًا على الهروب. ومع ذلك فقد وقف وابتعد عن المقعد تجاه وسط المنطقة. كان بول لا يزال جالسًا ومن الواضح أنه مرتبك مما كان يحدث، لكن كان لدى كارل نظرة ذعر على وجهه كما لو أنه لم يتفاجأ ولو قليلًا من رؤية الشرطة هنا.

كما لو أنه كان سيحاول الركض إذا استطاع.

لكنَّ هذا كان غير وارد عندما وصل إليه دواير. اختفت الهوية بيد والأخرى كانت تستريح على أعلى ذراع داوسون قبل أن تراه يتحرك.

- أنت كارل داوسون، أليس كذلك؟ اهدأ يا صديقي نحن نريد فقط أن نتحدث، حسنًا؟

تجمد داوسون في مكانه الآن. تجاوزتْ أماندا الاثنين متجهةً إلى حيث كان بول لا يزال يجلس على المقعد، وقف عندما وصلت إليه.

- ما الذي يجري؟

مدتْ يديها تحاول تقييم حالته، لقد بدا مرتعشًا، لكنه ليس مصابًا بأذى: «لا شيء، هل أنت بخير؟».

لكنه حدق خلفها، ويمكنها سماع المزيد من الضباط ينضمون إليهم في الملعب بالخلف، إلى جانب خشخشة من الراديو.

قالت «اهدأ يا بول».

- ماذا يحدث؟

- نحتاج فقط إلى التحدث مع السيد داوسون.

- حول ماذا؟

- لا أستطيع إخباركَ بذلك الآن.

انتقلتْ نظرته إليها لحظةً ورأتْ نظرةَ اليأس على وجهه. يداه كانتا بجانبه ويستمر في فتح وضم قبضتيه. استدارت ورأت دواير يقود داوسون إلى السيارة، وكانت إحدى ذراعيه تلتف حول أكتاف الرجل الأكبر سنًّا. بدا الأمر في الخلف كما لو كانا صديقين ويساعد أحدهما في اصطحاب الآخر إلى المنزل بعد قضاء ليلة في الخارج.

ثم رأتْ داوسون يتعثَّر بخطواته قليلًا كما لو كان قد فقد أنفاسه، وكانت تعلم أن دواير قد أخبره للتو بسبب اعتقاله. الاشتباه في قتل زوجته وابن زوجته وبيلي روبرتس.

ألقى كارل داوسون نظرة خاطفة إلى الوراء لحظةً وجيزةً على المكان حيث كانت تقف هي وبول. لم ترَ مثل هذه الخسارة على وجه رجل من قبل. بدا الأمر كما لو أن كل ما كافح وعمل من أجله على مر السنين قد انتُزِعَ منه. كما لو أنه في تلك اللحظة كان ينظر إلى حياته كلها ويدرك أن كل ثانية منها لا طائل من ورائها.

ثم كان دواير يقوده نحو السيارة مجددًا.

قال بول: «ماذا فعل؟».

عادت أماندا إلى الخلف.

- لم يفعل بالضرورة أي شيء، نحن فقط بحاجة إلى التحدث معه.

ثم وضعتْ يدها على كتفه متحدثةً بهدوء: «هل أنت متأكد من أنك بخير؟».

- أنا بخير.

- لماذا كنت هنا معه؟

- كنا نتحدث فقط.

سمعتْ باب سيارة يُغلَق خلفها.

قالت: «ما الذي كنتما تتحدثان عنه؟».

كان بول يحدق خلفها وعندما نظر إليها الآن، وجدت أنه من المستحيل قراءة التعبير على وجهه. تذكرت عندما سألته في الحانة أكان هناك أي شخص آخر هنا في جريتن يجب أن تتحدث إليه، كان كما لو كان يتصارع مع شيء داخله غير متأكد من مقدار ما يجب إخبارها به.

قال: «أمي».

- ماذا عنها؟

- ماتت.

قالت: «أعلم، أنا آسفة».

- وكان كارل صديقها.

نظرتْ خلفها إلى السيارة حيث كان دواير ينتظر، وكارل داوسون في المقعد الخلفي. كان لديهم ثلاث جرائم قتل وحشية، وكان الرجل على صلة بجميع الضحايا. **أنا أشتبه فيه لذلك**، كما قال لها دواير في القسم وبالتأكيد كان على حق. كان هذا يلعب بالاحتمالات بعد كل شيء، فإذا لم يكن هو، فمن إذن؟ لكنْ بالنظر إلى بول مرة أخرى الآن، اعتقدتْ أن هناك شيئًا ما مفقود- أن هناك المزيد مما يحدث هنا أكثر مما أدركوا.

قالت: «بول؟».

اللعنة! ساعدني هنا.

لكنَّ وجهه أصبح فارغًا. ومهما كان القرار الذي كان يتألم بشأنه فمن الواضح أنه اتخذه. وعندما تحدث بدا الأمر كأنه كان يتحدث إلى نفسه.

قال مرة أخرى: «كان كارل صديقها».

ثم نظر إلى الأسفل وابتعد.

- هذا كل شيء.

37

اعتاد والدي حرق الأشياء.

كانت واحدة من الذكريات القليلة التي ما زلتُ أملكها له من طفولتي المبكرة. يبدو أنني تجاوزتُ كل حياتي البالغة دون الحاجة إلى إشعال حريق من أي نوع، ومع ذلك فقد كانت تحدث بنظام في ذلك الوقت. عندما كنت صغيرًا بما يكفي حتى لا يكرهني والدي، كنت أقف معه في الحديقة الخلفية أراقبه وهو يقطع الحطب تاركًا شرائح رقيقة من الخشب تتدلى من الأطراف مثل المخالب، وأساعده في وضع أكوام من الأوراق في حفرة النار التي كانت لدينا هناك، صحف وقمامة ومجموعات من الأغصان وحبال حادة من العليق. حُرِقَ كل ما أراد التخلص منه، وبعد ذلك سيُجرَّف الرماد في اليوم التالي، جاهزًا للحرائق القادمة. كان من المفترض أن هذا ما كان عليه والدي، عندما لم يعد هناك شيء مفيد له كان يأخذ على عاتقه مهمة طمسه من العالم.

ربما كانت لديه الفكرة الصحيحة.

وقفتُ على درجة السلم الخلفية الآن ممسكًا بأول الصناديق.

كان الوقت مساءً، وفي كل مكان نظرتُ إليه كانت الظلال تتكاثف. حلَّ الليل بسرعة في جريتن وسيعم الظلام قريبًا. حتى الآن تلاشى وجه الغابة في نهاية الحديقة إلى خليط من الأسود والرمادي، مغلق أكثر بسبب الضباب الذي يرتفع من تشابك الشجيرات أدناه. كان الهواء يبرد وكان هناك نسيم طفيف جلب معه رائحة الأرض والأوراق إليَّ.

كنت في حالة ذهول طوال وقت ما بعد الظهر مصدومًا وحائرًا مما حدث: أولًا بكل ما قاله كارل، ثم بوصول الشرطة. رفضتْ أماندا شرح ما يريدون التحدث إليه مع كارل، ولم تتواصلْ معي منذ ذلك الحين. طبعًا الشيء نفسه ينطبق من جهتي، فلم أخبرها بما قاله كارل ولم أتصل وأتطوع بإخبارهم المعلومات بعدها. بالعودة إلى الملعب كان الأمر ببساطة مبكرًا جدًّا، لقد شعرتُ أن القرار الذي تركني كارل معه كان مفروضًا عليَّ وما أحتاج إليه حقًّا هو فرصة للتفكير وإعداد أفضل شيء لتنفيذه.

إذا قلتُ الحقيقة فستُدمَّر حياة ثلاثة أشخاص وسيصبح تورط والدتي أمرًا معروفًا. ولأي غاية؟ كنت أتحرك ذهابًا وإيابًا طوال الوقت محاولًا تشتيت انتباهي بالأعمال، جمعتُ أغراض والدتي من دار رعاية المسنين وحصلتُ على شهادة وفاة، وبحثتُ في ترتيبات الجنازة.

لكن كان لا بدَّ من اتخاذ قرار.

اعتقدتُ أنني قد نجحتُ في اتخاذه الآن.

حملتُ الصندوق إلى الحديقة. كانت حفرة النار متضخمة قليلًا لكنْ صمد الطوب على الحواف، وكان إلى حد ما كما تذكرتُ: قرحة شاحبة على الجلد الأخضر للحديقة. قلبتُ الصندوق وأفرغتُ الصحف في الحفرة ثم ركلتُها حتى أجمعها في كومة في المنتصف، كان ينتج عن كل ركلة تصاعد نفث الرماد القديم والرائحة الحامضة والقذرة من الحرائق السابقة.

ثم عدت إلى الداخل.

بدا هذا كأنه عمل يجب فعله في الظلام، لذلك تركتُ الأنوار مطفأة في المنزل في الوقت الحالي. لم يزل هناك ما يكفي من ضوء النهار لأشق طريقي إلى الباب الأمامي حيث جمعتُ كل شيء.

التقطتُ الصندوق الثاني وحملته إلى حفرة النار.

أفرغته.

هل كنت أفعل الشيء الصحيح؟

نظرتُ إلى الأعلى وكانت السماء زرقاء داكنة ومرقَّطة بثقوب خافتة من النجوم. لا توجد إجابات يمكن العثور عليها هناك.

عدتُ إلى الداخل مرة أخرى وحملتُ الصندوق الثالث ثم أفرغتُه في الحفرة، تبدو كومة الصحف هناك رمادية باهتة مثل العظام القديمة.

تبقى صندوق واحد.

الصندوق الأخير إذن. كان الجو أكثر ظلامًا في الداخل مما كان عليه عندما بدأت، وكان في الهواء ثقل كما لو أن أفعالي كانت تضيف بطريقة ما إلى المنزل بدلًا من الطرح منه. عندما حملتُ الصندوق إلى الحفرة اشتد الريح وارتجف العشب من حولي. أفرغتُ المحتويات التي كانت دفاتري القديمة ومذكرات أحلامي ومجلة الكتابة الإبداعية والدمية التي أعطاها تشارلي لجيمس والكتاب النحيف المقوَّى الذي يحتوي على قصة جيني عن الأيدي الحمراء.

لكنْ ليس مذكرات أحلام تشارلي.

عبستُ

أين كانت؟

استغرق الأمر مني لحظة لأدرك أنها لا تزال في الطابق العلوي في غرفة والدتي. عندما رأيتُ كارل في الخارج في وقت سابق كنتُ قد وضعتُها على السرير قبل أن أتبعه إلى الملعب. عدتُ إلى الداخل مرة أخرى وتسلقت السلالم ببطء، كانت بسطة الدرج شبه حالكة السواد كما لو كان المنزل يجمع الليل بداخله، وعندما دخلتُ غرفة والدتي كانت مليئة بالهياكل والظلال. لكنَّ المذكرات كانت واضحة كمستطيل شديد السواد على المرتبة المكشوفة.

التقطتُها.

هل أفعل الصواب يا أمي؟

ما كانت والدتي ستريدني أن أفعله كان يدور في ذهني طوال وقت الظهيرة. لقد قررتْ أن تسرق المذكرات من كارل لسبب ما. بعد سنوات عدَّة

من تحمُّل الذنب ربما أراد جزء منها ظهور الحقيقة. لكن بالقدر نفسه في تلك المرحلة كان عقلها ينسى. لقد حافظتْ على سر كارل طوال هذا الوقت لأنهما كانا صديقين، إن لم يكن أكثر.

هل أفعل الصواب؟

لم أكن متأكدًا مما كانت ستقوله إن كانت موجودة هنا الآن. ولم يقدم المنزل المظلم إجابات أكثر من سماء الليل بالخارج، اعتقدتُ أنه ربما لم تكن هناك أي إجابات. ربما كانت الحياة مجرد مسألة فعل ما تعتقد أنه الأفضل في ذلك الوقت ثم التعايش مع العواقب بأفضل ما يمكنك فيما بعد. ماذا كانت ستقول أمي لو كانت موجودة هنا الآن؟ ربما كانت ستقول إنني كنت رجلًا بالغًا، أنها ربتني وحمتني بأفضل ما تستطيع، وأنها ذهبت الآن، وهذا ما يعني أنه كان عليَّ أن أقرر ماذا أفعل بنفسي.

ضوضاء في الطابق السفلي.

وقفت ثابتًا للحظة.

أستمع.

لا شيء أكثر من ذلك، كان فقط المنزل يتمدد بعد أحداث اليوم ويستعد للنوم. ربما كان يعرف ما كنت على وشك فعله بطريقة ما، وكان يستعد ليُغلَق ويُنسَى لبعض الوقت.

أخذتُ المذكرات إلى بسطة الدرج.

ثم ترددت ناظرًا إلى أسفل الدرج.

كان الجو مظلمًا جدًّا هناك الآن وشعرت بأن المنزل مثقلًا أكثر مما كان عليه من قبل. بدأتُ أشعر بالوخز في ظهري. منذ عودتي إلى جريتن لم أشعر قطُّ بالوحدة التامة هنا، ولكنَّ ذلك كان بسبب أن كل زاوية وسطح يحتويان على ذكريات. في الوقت الحالي كنت أشعر بنوع مختلف من الوجود.

يوجد شخص ما في الأسفل.

أتتني الفكرة من العدم.

لم يكن هناك سبب للاعتقاد بأن ذلك صحيح. فكل شيء حدث هنا يعود إلى محاولة كارل لتخويفي بعيدًا. ومع ذلك كان الصمت يرن في أذني، وكان جزء مني على الهاوية.

حدقتُ إلى الباب الأمامي، لقد أغلقتُه بالسلسلة عندما وصلتُ ولكنَّ الباب الخلفي كان مفتوحًا.

هل يمكن أن يكون الصوت الذي سمعته هو فتح الباب؟

يجب أن تخرج من هنا.

بمجرد تفكيري في ذلك أصبح الأمر عاجلًا فجأة.

نزلتُ الدرج متحركًا بسرعة لكنني أحاول البقاء هادئًا قدر المستطاع، أجفل من كل صرير هادئ. في الأسفل نظرتُ خلفي على طول الممر المظلم. كان المطبخ مظلمًا والباب الخلفي مغلقًا. لم يكن هناك أحد.

لكن بمجرد عودتي إلى الوراء ووصولي إلى السلسلة لفتح قفل الباب الأمامي، خرج شبح رجل من الظلال في غرفة المعيشة بجانبي. لقد تحرك بسرعة كبيرة حتى إنه لم يكن لديَّ وقت كافٍ لاستيعاب وجوده قبل أن ينفجر الألم في رئتي.

دار العالم من حولي وامتلأ الظلام في الردهة بالنجوم.

38

قال دواير: «إنه يكذب بشأن شيء ما».

حدقت أماندا إلى الشاشة على المكتب وأومأتْ برأسها. كانت الشاشة تعرض لقطات من الكاميرا في غرفة المقابلة. كان كارل داوسون جالسًا إلى المكتب هناك ومرفقاه على سطح المكتب ووجهه محجوب بيديه. ما تبقى من شعره دُفِعَ إلى أعلى مخللًا أصابعه بينه. لقد مرتْ عشر دقائق منذ أن تركوه وحده بعضَ الوقت، ومن مشاهدة الشاشة استطاعت أن ترى أنه لم يتحرك على الإطلاق.

إنه يكذب بشأن شيء ما.

اعتقدتْ أنه يكذب بشأن الكثير من الأشياء.

على سبيل المثال ادعى داوسون أنه عاد إلى جريتن لعدة أيام. إلى حد ما هذا يتناسب مع النشاط الذي وجدوه على بطاقته الائتمانية، لكنه لم يكن منطقيًّا بطرق أخرى. لماذا كان هنا؟ لقد جاء لرؤية دافني آدامز على ما يبدو، لكنَّ هذا لم يضِفْ شيئًا. لقد عاد إلى جريتن في اليوم السابق لحادثها، ومع ذلك عندما فحصوا مع دار رعاية السنين لم يكن هناك أي سجل له على الإطلاق عن زيارته بعد ذلك. إذن ماذا كان يفعل بحق الجحيم؟

قالت: «لم تكن لديه إجابة عندما تعلق الأمر بدافني».

- نعم لقد التزم الصمت لأنه يكذب.

- هل هو يفعل حقًّا؟

قال دواير: «طبعًا هو كذلك، إذا جاء لرؤيتها فقد أخفق إخفاقًا ذريعًا. لنكنْ صادقين ليس الأمر كما لو كانت تتجول هنا وهناك».

- لا.

كان دواير على حق، ومع ذلك ظل هناك بعض الشك في ذهنها. لسبب ما لم يخبرهم داوسون كل شيء لكنها اعتقدتْ أن في ما قاله ذرة من الحقيقة. كان الأمر كما لو كانت لديهم صورة وهو لديه أخرى، وبعض الأجزاء متطابقة والأخرى غير متطابقة. ربما قد جاء حقًّا لرؤية دافني آدامز، لكن كان هناك ما هو أكثر من ذلك، ورغم عدد ساعات الضغط التي وضعوه تحتها فإنه لم يعترف بما كان عليه الأمر.

كانت هناك حلقة مفقودة.

قال دواير: «ألا تشتبهين فيه في تنفيذ عمليات القتل؟»

نظرتْ إليه: «لست متأكدة، أستطيع الجزم أنك ما زلتَ تفعل».

هزَّ كتفيه: «يمكننا ربطه بالضحايا الثلاثة، ثم إننا نعلم أنه كان هنا في جريتن في الوقت الذي قُتِلَ فيه بيلي روبرتس. وهي ليست رحلة طويلة بالعودة إلى المنزل. لذا نعم أنا أشتبه فيه وبشدة».

- لكن ما الدافع؟

- سنوات من العنف المنزلي المدرج، ربما قد طفح به الكيل أخيرًا.

نظرت أماندا إلى الشاشة.

لا يزال داوسون لم يتحرك.

قالت: «ربما».

قال دواير: «إليكِ ما أعتقده، يعود داوسون إلى هنا لسبب ما- لنفترض أنه من الممكن حقًّا لرؤية دافني آدامز. إنها تحتضر وهو مستاء. لقد عاش حياة بائسة لعينة وهو مليء بالاستياء. وفي جريتن كل هذه الذكريات السيئة،

لذا فهو يثور لمدة من الوقت وينتهي به الأمر بتعقب بيلي روبرتس ومن ثم ينفجر كل شيء. بعد ذلك يعود إلى المنزل ويفقد أعصابه مع أسرته».

- ثم يعود لإجراء محادثة مع بول آدامز؟

هز دواير كتفيه مرة أخرى.

- إذا كنتِ تعتقدين أن هذا ما كانا يفعلانه حقًّا.

لم تكن لدى أماندا إجابة عن ذلك. من الواضح أن بول كان يتصارع ذهنيًّا مع شيء ما في الملعب. عندما قابلته لأول مرة كانت واثقة من أنه يخبرها بالحقيقة، وهذا ما جعل من السهل جدًّا ملاحظة الفرق عندما لم يكن كذلك. لكنْ كان لديها شعور أيضًا أنه مهما كان ما لم يكن مستعدًّا لإخبارها عنه فقد كان شيئًا منفصلًا عن هذه الجرائم. كانت متأكدة أنه كان سيخبرها إن كان يعرف أي شيء عن عمليات القتل. يمكن أن تكون المظاهر خادعة طبعًا لكنه صدمها بكم كان محترمًا جدًّا ليفعل ذلك.

قالت: «لا أستطيع تخيلهما متورطين في الأمر معًا».

- إنهما فعلًا متورطان معًا.

- لم يكن لدى بول دافع لإيذاء إيلين وجيمس.

- لكنْ كان لديه دافع لبيلي روبرتس رغم ذلك.

- بالتأكيد، لكن عندما تحدثتُ إليه لم أعتقد حقًّا أنه كان يعلم بخروج بيلي من السجن. بصراحة أعتقد أن بول بذل قصارى جهده لنسيان ما حدث هنا في جريتن. يمكنني قراءة الناس جيدًا وقد صُدِمَ حقًّا عندما أخبرتُه.

ثم أشارت إلى الشاشة: «وطبعًا هذا هو الشيء الآخر».

- ما هو؟

- وجه كارل داوسون عندما أخبرتُه.

تلك اللحظة في الملعب كانت لا تزال محفورة في عقلها. ومنذ أن بدأوا المقابلات بدا داوسون كأنه رجل محطم بالنسبة إليها. لم ينفجرْ في البكاء أو

يصرخ بالإنكار أو ينهار من الصدمة، لكنه كان فارغًا، لكن أيضًا هناك نوع غريب من التصميم. كما لو أنه حمل أوزانًا أثقل من هذا من قبل، ومهما تطلب الأمر فقد كان سيفعل ذلك مجددًا الآن.

نظر دواير إلى الشاشة.

قال: «ما زلتُ أشتبه فيه لفعله ذلك».

تنهَّدت أماندا لنفسها، فمهما كانت تحفظاتها كانت هناك فرصة جيدة أن يكون دواير على حق. وعلى أي حال خاصة مع رفض بول التحدث، كان داوسون هو كل ما لديهم الآن.

قالت: «الجولة الثالثة؟».

- هيا بنا.

كان المكتب الذي تراجعوا إليه على بُعد بابين فقط من غرفة المقابلة. عندما وصلوا إليها رنَّ هاتف أماندا. أخرجته من جيبها متسائلة أكان بول. لكنها احتفظت برقمه في هاتفها المحمول ولم تتعرَّف الرقم الذي يظهر الآن.

قالت لدواير: «ابدأ أنت وسأنضم إليك خلال ثوانٍ».

- حسنًا.

نظر كارل داوسون إلى أعلى وكان دواير يدخل، ولا يزال وجهه ضائعًا وفارغًا، ثم أغلق الباب، وهذا ما حجب رؤيتها. أجابت المكالمة متئكةً على الجدار.

قالت: «المحققة أماندا بيك».

- المحققة بيك؟

كان صوتُ امرأة لم تستطع أماندا تعرُّفه، لكن حتى مع هاتين الكلمتين فقط فقد أدركت الإلحاح والذعر في صوتها.

استقامت مبتعدة عن الحائط

- نعم، مع من أتحدث؟

- أنا ماري.

- ماري؟

- ماري برايس؟ لقد أتيتِ إلى منزلنا قبل بضعة أيام للحديث عن مقتل ابننا. أنا حقًّا بحاجة إلى التحدث معكِ، أنا خائفة جدًّا.

والدة مايكل برايس، تذكرت أماندا جلوسها في غرفة أمامية لا تزال مبعثرة بممتلكات الصبي، والهواء المشبَّع بالحزن، يائسة حتى تكون في أي مكان آخر.

قالت: «ماري طبعًا. من فضلك حاولي أن تهدئي».

- أنا آسفة، أنا آسفة جدًّا.

- لستِ بحاجة إلى أن تكوني آسفة.

- كان يجب أن أتصل بكِ في وقت أقرب، ولكنني فقط لم أفعل... يا إلهي. **أنا خائفة جدًّا.**

- أخبريني ما الخطب يا ماري.

- زوجي.

دين برايس، تذكرت أماندا كيف غادر الرجل الغرفة فجأة غير قادر على قبول مقتل ابنه بسبب القصة التي أخبرتْهما بها. **هل تقولين إن ابني قد قُتل بسبب شبح؟** والتهديد الذي شعرتْ به منه، والعنف المخفي بالكاد الذي شعرت به يزداد بداخله.

قالت: «ماذا عنه؟».

كانت ماري تبكي الآن.

- أعتقد أنه ربما فعل شيئًا سيئًا.

39

فُتِحَ ضوء الردهة، ووجدتُ نفسي أحدق إلى زوجين من الأحذية الحربية.

استمرا في الظهور والاختفاء من مجال تركيزي. كنت مستلقيًا على الأرض المصقولة أحاول يائسًا التنفس من خلال ألم في رئتي لم يكن مثل أي شيء عانيته من قبل. بدا الأمر كما لو كان الرجل بالكاد تحرك لكنه ضربني بطريقة ما في بطني بقوة لدرجة أنه سلب الهواء مني وجعل من المستحيل التنفس.

قال لي: «تنفس، سوف تعيش».

كان صوته فارغًا وبلا عاطفة وهو يذكر الحقائق دون الاهتمام بالنتيجة. لكنِ اتضح أنه كان على حق، فقد خفَّت آثار الضربة تدريجيًّا وتمكنتُ من أخذ أنفاس عميقة من الهواء، وبدأ الألم يقل مع كل نفس.

وقف الرجل طيلة الوقت هناك بلا حَراك تمامًا ينتظر وأنا أتعافى. بطريقة ما كنتُ أكثر تعقلًا من أن أحاول الوقوف -هو يريدني على الأرض وأنا ببساطة سأسقط مرة أخرى إذا قاومت- لكن بعد لحظة خاطرتُ بالنظر إليه. كان يقف في مدخل الغرفة الأمامية مرتديًا بنطالًا قتاليًّا داكنًا وسترة سوداء. بدا جسده نحيفًا وهزيلًا ومبنيًّا للعنف، وكان شعره قصيرًا جدًّا. لم أستطع تعرُّف وجهه لكنَّ تعبيره كان حاقدًا مثل صوته.

كان يحمل سكين صيد في إحدى يديه التي يرتدي فيها قفازًا.

بدأ قلبي يخفق بشعور الرهبة.

تمكنتُ من القول وكل كلمة تسبب الألم في صدري: «ماذا تريد؟».

تجاهلني الرجل، وأنزل حقيبة ظهر لم ألاحظها حتى ذلك الحين. مدَّ يده الحرة إلى الداخل ثم ألقى شيئًا تجاهي، جفلت وهي تهبط على الأرض بجانبي بصخب.

أصفاد.

قال: «ارتدِها».

أخبرتْني كل غريزة في جسدي ألا أفعل، لكن ولو لم يملك السكين ولم أكن مستلقيًا بلا حول ولا قوة على الأرض يمكنني القول إنني لا أضاهيه جسديًّا. وأنه ببساطة سيضعها عليَّ بنفسه وسيؤلمني كثيرًا إذا جعلته يفعل ذلك.

اقترب خطوة مديرًا السكين في يده.

- لن أخبرك مرة أخرى.

- حسنًا.

التقطت الأصفاد التي كانت صلبة ومصنوعة باحترافية مع مسافة قصيرة بين الحلقتين. فكرتُ أنه من الشرطة أو ربما عسكري، فقد كانت للرجل هالة من السلطة، كما لو أن السيطرة على الناس وإيذاءهم كان أمرًا طبيعيًّا بالنسبة إليه.

وضعتُ حلقة على معصمي الأيسر وأغلقتها.

قال: «أكثر إحكامًا قليلًا».

فعلتُ ما قيل لي.

- الآن اليد الأخرى.

كررتُ الفعل بالمعصم الآخر وجعلني هذا عاجزًا، لكنني كنت كذلك من قبل فعلًا. ربما كان في معرفة أنه شعر بالحاجة إلى تقييدي بعض الراحة، فإذا أراد قتلي كنت سأكون ميتًا الآن.

قلت مجددًا: «ماذا تريد؟».

ومجددًا لم تكن هناك إجابة.

بدلًا من ذلك جلس على الأرض ونظر إليَّ بلا مبالاة. كانت السكين أقرب بكثير الآن واستطعتُ رؤية أنها كانت مسننة من جهة ورفيعة من الأخرى. كانت الطريقة التي نظر بها الرجل إليَّ كما لو كان يفحص جثة كُلِّفَ بذبحها، واقشعرَّ جسدي عندما أدركتُ أنه قد يكون هناك سبب آخر لتقييدي، وأن هناك مصاير أسوأ من مجرد الموت.

شعرتُ باهتزاز على فخذي.

هاتفي يرن.

سمع الرجل ذلك أيضًا ومد يده إلى جيبي، فحص الشاشة لحظةً ثم ألقى الهاتف المحمول بإهمال على الأرض، وهذا ما جعله ينتهي به الأمر إلى الغرفة الأمامية المظلمة.

رفع السكين.

قال: «هل ترى هذه؟».

- نعم.

- هذا يعني أننا سنتحدث.

- حول ماذا؟

- كن هادئًا. سيستمر الحديث ما دام تطلَّب الأمر ذلك، وإذا لم تعطِني الإجابات التي أريدها سوف أؤذيك بشدة حتى تفعل، هل تفهم؟

- نعم.

- لأنني أعلم أنه لديك تلك الإجابات، أعلم أنك تعرف ما حدث لتشارلي كرابتري وأين اختفى.

أغمضتُ عينيَّ.

لم أكن متأكدًا مما كنت أفكر فيه- ربما سرقة؟ لكنني تذكرتُ بيلي روبرتس الآن وكيف بدتْ أماندا مضطربة بعد قدومها من مسرح الجريمة.

سيستمر الحديث ما دام تطلَّب الأمر ذلك.

وضع الرجل ركبته على جانبي منحنيًا إلى أسفل وهو يثبتني على الأرض، ثم تتبع طرف السكين على كتفي.

قلت: «ليست لديَّ أي فكرة عما حدث لتشارلي».

- حقًّا؟ إذن لماذا كنتَ تخطط لحرق الأدلة؟

حاولت التفكير.

- أردتُ فقط أن أنتهي من كل شيء، هذا كل ما أردتُه.

يبدو أن هذا أغضبه، فقد زاد ضغط ركبته على جانبي وحرك السكين إلى خدي. شعرتُ بطرفها يخترق الجلد هناك، بعيدًا عن عيني اليمنى بمقدار عقلة أصبع.

قال: «أنت تعرف ما حدث له».

يمكنني إخباره الحقيقة لكنني لم أرغب في ذلك، ومن التعبير على وجهه اعتقدتُ أنه كان يخطط لإيذائي مهما قلتُ. رغم الوضع شعرتُ بالغضب يشتعل بداخلي، غضب من أنه حتى بعد كل هذه السنوات كان تشارلي لا تزال لديه القدرة على الوصول إليَّ وتصميم على أنه سيتوقف.

- أخبرني أين تشارلي.

تعمق طرف السكين فجأة، وجفلتُ في حين أدار الرجل يده واضعًا النصل على عظام وجنتي. لم يكن الألم فظيعًا بعد، لكن ملأ المعدن اللامع مجال رؤية عيني اليمنى وكان الترقب أسوأ.

عليك أن تخبره بقصة.

قلت: «هيج».

أتاني الاسم من العدم ووصل إلى رأسي فجأة وبعنف مثل الشاحنة التي أودت بحياة هيج.

بداية القصة.

الآن كنت بحاجة فقط إلى العثور على بقيتها.

لكنْ في الوقت الحالي توقف النصل عن الدوران في حين كان الرجل يفكر في إجابتي. استغرق الأمر منه ثانية لاستيعاب الاسم، لكنْ يمكنني القول إنه كان مألوفًا له. لا بدَّ أنه قرأ من خلال المنتديات نفسها خلال الإنترنت التي كنت قرأتُها.

ابتعدتِ السكين عن وجهي بعد لحظة.

وقال: «الصبي الذي قُتِلَ في الحادث».

قلت: «لا ليس هو إنما أخوه الأكبر، كان اسمه روب هيج».

لم تكن لديَّ أي فكرة أكان هذا صحيحًا.

- ماذا عنه؟

- كان في السجن لكنه خرج في ذلك العام. انتشرتْ شائعات حول ما قاله تشارلي في ملعب الرجبي ذلك اليوم. يعتقد بعضهم أن تشارلي تسبب حقًّا في الحادث وكان روب هيج واحدًا منهم. وألقى باللوم على تشارلي في قتل شقيقه.

لقد كان تلفيقًا كاملًا طبعًا، لكنِ الآن بعد أن بدأت في إخباره أدركتُ أنه يمكنني رؤية القصة تتكشَّف في رأسي، بالطريقة التي مررتُ بها في مناسبات نادرة في أثناء مراهقتي عندما جلستُ وخططتُ لقصصي. يتجول روب هيج وأصدقاؤه في سيارتهم باحثين عن فرصة لتولي أمر تشارلي، ووجدوه يتجول بمفرده بالقرب من جريتن وود بعد أن استيقظ وتخلى عن بيلي بين الأشجار.

سحبوه إلى السيارة.

ضربوه، لكنْ خرج الأمر عن السيطرة.

قلت: «كان هناك ثلاثة منهم، لكنْ لا أتذكر الأسماء الأخرى. أصيبوا بالذعر بعد وفاة تشارلي. احتفظوا بجسده ملفوفًا في سجاد في صندوق السيارة، وفي وقت لاحق تخلصوا من الجثة في الغابة وأحرقوا السيارة».

- أين في الغابة؟

- هناك بئر قديمة.

- فُتِّشَتْ جميع الآبار.

- سلفًا، إذن أين أفضل مكان لإخفاء جثة؟

حبستُ أنفاسي وكان الرجل يفكر في الأمر. كنت بحاجة إليه ليصدق القصة بما يكفي ليمنحني بعض الوقت، لم تكن لدي أي فكرة عما كنتُ سأفعله في ذلك الوقت لكنني كنتُ أعلم أنني لا أريده أن يبدأ في إيذائي. وأن أيًّا كان ما سيحدث سيكون بشروطي.

حرَّك السكين في النهاية.

- كيف تعرف عن ذلك؟

- أراني هيج.

- ولمَ سيفعل ذلك؟

سؤال جيد.

قلت: «كان هذا بعد شهرين، فقد كان يعلم أنني أكره تشارلي واعتقد أنني قد أرغب في معرفة أن العدالة قد تحققت. ربما اعتقد أنه يمكن أن يثق بي أني لن أقول شيء وكان محقًّا في ذلك».

نظر الرجل إليَّ.

لم يصدق تمامًا بعد لكنْ تقريبًا.

قلت: «أعطاني هيج شيئًا».

أشرت برأسي نحو مذكرات أحلام تشارلي التي أسقطتُها بجانب الباب عندما أصبتُ لأول مرة. حدق الرجل فيها لحظةً ثم مد يده والتقطها متصفحًا الصفحات. أيًّا من كان فقد علم بوضوح بما يكفي عن القضية لفهم ما كان يراه.

قلتُ: «وأنا سعيد، أنا **سعيد** للغاية لأنه أخبرني».

حتى لو كان بقية ما قلته خيالًا فلم تكن الضغينة في صوتي حينها مجرد تظاهر، فإذا كانت قصتي حقيقة -إذا كان شقيق هيج قد ظهر حقًّا على عتبة بابي- كنت سأذهب إلى تلك الغابة معه دون ذرة تردد. وعندما نظر إليَّ تمكن الرجل من رؤية أنني كنت أقول الحقيقة.

بعد بضع ثوان ألقى بالمذكرات في الغرفة الأمامية.

قال: «سوف تأخذني إلى هناك».

40

وقفتُ خارج الباب الخلفي على حافة الحديقة، لفائف ودوامات العشب أمامي كبحر أزرق داكن متجمد. يبدو الشجر حالك السواد في الأسفل كنهاية العالم. أنار الرجل خلفي كشافًا، حول شعاع الكشاف الشجيرات أمامنا إلى سجادة معدومة اللون من الملمس والظل.

قال: «سنذهب من هذا الاتجاه؟»

- لن نُرَى إذا ذهبنا من هذا الاتجاه.

- كم يبعد؟

فكرت في الأمر.

- كيلومتر أو نحو ذلك.

- من الأفضل ألا تكذب عليَّ.

ثم ضغط السكين أسفل ظهري: «أنت تعرف ما سيحدث إذا كنت تفعل».

- أنا لا أكذب.

تنفستُ في هواء الليل. لقد كان باردًا الآن وكان من الغريب كيف شعرت بالهدوء، خاصة أنني لم أكن أعرف كيف ستنتهي الدقائق المقبلة. في جميع الاحتمالات كان هذا الرجل سيقتلني وكل ما كنت أحققه حقًّا هو الحصول على المزيد من الوقت المتبقي لي، لكنْ كان حول العالم شيء غير متوازن، وجوده غير منطقي للصمت هنا. شعرتُ كما لو أن الرجل وأنا قد خرجنا من

الوقت ووجدنا أنفسنا في مكان حيث يختلط الماضي والحاضر بحريَّة أكبر من المعتاد.

مكان قد يحدث فيه أي شيء.

رفعتُ يدي المكبلة وأغلقتُ أنفي محاولًا التنفس.

قال: «ماذا تفعل؟».

أنزلت يدي.

- لا شيء، هيا.

ثم انطلقت إلى الحديقة بالكاد أدرك تتبعه لي بصرف النظر عن الضوء المتذبذب الذي حافظ على إيقاع هادئ ومتسق. في أسفل الحديقة سحب الشبك السلكي القديم بعيدًا عن الأعمدة ودعسته إلى أسفل. وجَّه الرجل الشعاع إلى الغابة وكشف عن طريق متضخم للغاية على الجانبين وفي الأعلى لدرجة أنه كان أشبه بنفق أكثر من كونه طريقًا.

نظرتُ خلفي، مع الضوء الساطع جدًّا كان من المستحيل رؤية الرجل، لكنْ كان لديَّ انطباع بأنه غير مرتاح كما كنتُ- أو كما كان ينبغي أن أكون. ثم استدرتُ وصعدتُ فوق بقايا السياج، وبدأتُ في شق طريقي خلال الأغصان وأوراق الشجر التي كانت تخدش ذراعي فعلًا.

أتوجه إلى الظلال للمرة الأخيرة.

كان من السهل العثور على أحد الطرق الوعرة التي تتلوى خلال الغابة. وبمجرد أن فعلت قدتُ الرجل على طوله مدةً من الوقت.

لقد ظل متخلِّفًا قليلًا عني لكنه كان يوجه الكشاف أمامنا، وهذا ما جعل الضوء سببًا لكي يبدو الخشب غريبًا ومن عالم آخر. كانت أقرب الأشجار على كلا الجانبين مضاءة بسطوع وكانت تفاصيل اللحاء المحفور مكشوفة، ويمكنني رؤية مجموعة من العشب المتشابك والعصي المكسورة تمتد قليلًا في الطريق أمامنا، لكنْ لم يصل الضوء إلى هذا البعد. كان المنظر أمامي على بعد أمتار فقط مثل بؤبؤ أسود أو ثقب كنت أقودنا إليه نحن الاثنين.

بدأتُ أفقد مسار الاتجاه الذي كنا نتجه إليه ونحن نسير، ليس كأنه مهم. بعد بضع دقائق اكتشفتُ مكانًا خاليًا مناسبًا بين الأشجار على الجانب الأيسر -ليس طريقًا ولكن يمكن تدبر أمره- وكان ذلك حيث قررت إخراجنا من النطاق.

- نحن بحاجة إلى الذهاب من هذا الطريق.

- هل أنت متأكد؟

كانت هناك مجموعة أغصان رفيعة تتدلى من أغصان أكبر بارتفاع نحو متر على أقرب جزء مثل أصابع هيكل عظمي موضوعة على بيانو. أشرتُ إليها كما لو كانت علامة بارزة تعرَّفتها.

- أنا متأكد.

تقدمت بثقة على أمل ألا يؤدي ذلك إلى طريق مسدود وكان الحظ في جانبي. على طول الطريق كان يوجد مكان خالٍ آخر بين الأشجار، لكن هذه المرة إلى اليمين، وذهبتُ بناء عليه وهو يقودنا أعمق في الغابة.

انكسر فرع على أعلى ذراعي، وحاولت بغرابة ثني الآخرين عن الطريق بيديَّ المكبلتين في أثناء سيري. كلما تعمقنا في الغابة بدا أن الكشاف لم يعد يعمل بالكفاءة نفسها، وألقت الأشجار بظلالها على بعضها، وهذا ما أضفى إحساسًا محطمًا على كل شيء. كل ما سمعتُه في الصمت هو أن صوت الأغصان تتكسر تحت أقدامنا ونحن نتحرك مبتعدين عن بقية العالم.

لقد أخبرته: **إنه يبعد.**

كيلومتر أو نحو ذلك.

طبعًا لم أضع وجهة فعلية في الحسبان. لا توجد لديَّ فكرة حقيقية عن المكان الذي كنتُ أصطحب إليه هذا الرجل أو ماذا سيحدث عندما نصل إليه.

وفجأة ظهر كسر في الأرض.

تأرجحت وكدت أسقط. عُزِقَتِ مساحة شاسعة من الأرض على بعد بعض خطوات أمامنا واقتُلِعَتْ.

حافظ على هدوئك.

لم يكن أمامنا طريق لذلك اتجهت إلى اليسار رافعًا قدمي بحذر فوق مجموعة متشابكة من الشجيرات.

قلت: «انتبه لنفسك هنا».

كان عليَّ فقط أن أتمنى. تذكرتُ كيف كانت هذه الغابة -كيف شعرتُ في كثير من الأحيان أنك لا تتحرك فيها بقدر ما كانت هي تتحرك حولكَ- وأرسلتُ نداءً صامتًا إلى الغابة لتحرِّك قطعة في مكانها من شأنها أن تساعدني الآن.

حالفني الحظ مرة أخرى، فبعد مسافة قصيرة أُغلِقَتِ الأرض، وتمكنتُ من قيادتنا إلى اليمين مرة أخرى. شعرتُ بأن القرية كانت تبعد عنَّا الكثير الآن.

قال الرجل: «كم يبعد أكثر؟».

- لا يزال بعيدًا.

لكنْ يمكنني القول من الصمت الذي أعقب ذلك أن صبره بدأ ينفد. كنت بحاجة إلى تشتيت انتباهه وأنا أوجهنا إلى أعمق في الغابة.

قلت: «لماذا تفعل هذا؟».

لا يوجد رد.

- من أنت؟ جندي على ما أعتقد.

ومجددًا لم يقل شيئًا، لكنْ هذه المرة اعتقدتُ أن الرجل كان يفكر في السؤال على الأقل.

قال أخيرًا: «كنتُ جنديًّا ذات مرة لمدة طويلة، وفعلت بعض الأشياء السيئة للغاية عندما كنتُ كذلك. أشياء أخجل منها. بعد ذلك أصبحت أبًا وبدأتُ أشعر بأن كل شيء كان صحيحًا مرة أخرى».

بدا صوته خاليًا من الحياة, فارغًا جدًّا، واعتقدتُ أنني فهمتُ الآن. كان أحد الوالدين- على الأرجح للضحية في فيذربانك التي أخبرتني أماندا عنها. لم يُعثَر على تشارلي ومن ثَمَّ مات طفله وهذا قد حطَّمه. وكان هذا سبب وجوده هنا ليفعل ما كان يفعله، كان يحاول تصحيح ذلك.

قلت: «أنا آسف».

- كن هادئًا.

- كنت مجرد طفل، حاولتُ أن أبذل قصارى جهدي ولم تكن لدي أي فكرة أنه سيؤدي إلى تقليد أطفال آخرين ما فعله تشارلي. اعتقدتُ بصدق أنه سيُنسَى كل شيء.

ثم نفد الوقت.

مشيتُ بين الأشجار وواجهتُ طريقًا مسدودًا. كان في الأرض هنا هبوط هائل آخر، الحافة مليئة بجذور الأشجار التي بدت كأنها عروق سوداء تخرج ملتفة من الأرض المتهالكة، لم يكن إلى الأمام طريق إذ إن الأرض إلى اليسار كانت متضخمة وغير سالكة، وإلى اليمين كان هناك امتداد صغير من الأرض ينتهي بجدار كثيف من الأشجار والعشب، والأشجار بينهما لا يمكن اختراقها مثل الأسلاك الشائكة.

كان هذا بقدر ما ذهبنا.

قلت: «هناك».

تقدم الرجل بجانبي. كان قلبي ينبض بشدة في حين أشرتُ إلى منطقة الأرض على يمين الوادي الذي أمامنا. وجَّه الكشاف نحوه محركًا الشعاع ذهابًا وإيابًا باحثًا عن بئر قديمة لم تكن موجودة.

- أين؟

اعتدتُ أن تكون حاسمًا جدًّا.

مددتُ يدي بسرعة وطرقت الكشاف لأعلى باتجاه وجهه، ثم ضربته بكتفي بعيدًا عني بأقصى ما أستطيع، بالقوة نفسها التي أتذكر أنني ذات مرة تخطيتُ بها صبيًّا في ملعب الرجبي. تعثر إلى الخلف- ليس على الحافة كما أردتُ، لكن على الأقل بعيدًا بما يكفي لكي أعود بالطريق الذي أتينا به.

ثم أفر ناجيًا بحياتي في الظلام.

41

أتقولين إن ابني قُتِلَ بسبب شبح؟

كان هذا ما سألها دين برايس. لكنْ عندما انطلقتْ أماندا على طول الطريق المزدوج المظلم تجاه قرية جريتن وود تذكرتْ كلمات ماري برايس في اليوم نفسه.

كان دين في الجيش.

فقط منذ أن ترك دين الجيش بدأ الاثنان في الارتباط.

لطالما كان دين عمليًّا وقادرًا على حل المشكلات.

في ذلك الوقت قالت أماندا إن هذه ليست مشكلة يمكن لأي شخص حلها، لكنها الآن تساءلت أكان هذا صحيحًا. فقد قُتِلَ مايكل برايس لأنه لم يُعثَر على تشارلي كرابتري قطُّ. لقد ألقى لغز اختفائه بظلاله على كل شيء وسبَّب الكثير من الألم. وكانت تلك مشكلة **يمكن** حلها، أليس كذلك؟

إذا كنت مدربًا كفاية ولديك الإرادة.

إذا لم يكن لديك شيء لتعيش من أجله.

بالعودة إلى القسم أخبرتها ماري أن دين خرج من المنزل منذ ثلاثة أيام ولم تسمعْ عنه شيئًا منذ ذلك الحين. أُغلِق هاتفه واختفى الرجل.

قالت أماندا لنفسها **إن كل شيء على ما يرام.**

لقد تحققتْ فعلًا ولم يكن بول في غرفته في الفندق، لكنَّ هذا يعني أنه ربما كان في منزل والدته. وبينما لم يكن يجيب هاتفه فقد كان التفسير الأكثر ترجيحًا بالتأكيد هو أنه بعد أحداث اليوم لم يكن يرغب في التحدث إليها.

لذلك لم يكن هناك ما يدعو إلى القلق.

لكنَّ هذا كان كلامًا منطقيًّا وكانت تسمع أصواتًا أخرى أعلى الآن. ذكَّرتها المناظر الطبيعية المظلمة خارج السيارة بالكابوس الذي راودها في كثير من الأحيان، وبدأت تشعر بشعور الذعر والإلحاح نفسه الذي كان يجلبه دائمًا. كان شخص ما في ورطة ولم تكن ستتمكن من الوصول إليه في الوقت المناسب.

كان هاتفها موصلًا بلوحة القيادة، اتصلت بدواير.

قال: «إلى أين اختفيتِ بحق الجحيم؟».

- أنا في طريقي إلى جريتن وود.

مكتبة
t.me/soramnqraa

شرحتْ ما عرفتْه من ماري برايس.

قال: «يا إلهي، ألم تفكري في انتظاري».

- لا يوجد ما يكفي من الوقت. أنا متأكدة أن كل شيء على ما يرام، لكنني أردتُ الذهاب إلى هنا في أسرع وقت ممكن. ابقَ على الخط وسأخبرك إذا كنت بحاجة إليك.

- سأرسل شخصًا ما على أي حال.

فكرتْ في الأمر.

- حسنًا.

كانت السيارة التي أمامها تتحرك ببطء شديد. انسحبتْ أماندا وتجاوزتْها وأسرعتْ بعيدًا متجاهلةً البوق الذي يدوي خلفها- لكنْ بعد ذلك ظهر انعطاف جريتن وود فجأة على اليسار، وانحرفت عن الطريق المزدوج بالكاد تباطأت مع ضيق الطريق. اهتزَّت السيارة وارتدَّت حولها واصطدمت الإطارات بالأرض الوعرة. ظهرت بداية القرية أمامها مظلمة مهجورة كما كانت من قبل.

ومجموعة الأشجار السوداء وراءها.

بدأ قلبها ينبض بسرعة أكبر.

وصلت إلى المنزل بعد دقيقة. كانت سيارة بول آدامز متوقفة بالخارج، اتجهت خلفها محركةً مكابح اليد وجذبت هاتفها من لوحة القيادة.

قالت: «أنا هناك».

- هل يوجد أي شيء؟

- السيارة هنا.

ثم ترجلتْ ونظرت إلى المنزل: «ضوء الردهة مضاء».

- فقط ابقي على الخط.

- حسنًا.

- لا تفعلي أي شيء غبي.

تذكرتْ أماندا الوحشية التي تعرض لها بيلي روبرتس، والرعب الذي شعرتْ به بعد الاقتراب من مثل هذا الوحش.

- لا تقلق، لن أفعل.

أبقتِ الهاتف مضغوطًا على أذنها وهي تتجه نحو الطريق المؤدي إلى الباب الأمامي. طرقت الباب لكنها لم تنتظر ردًّا- أدارت المقبض ووجدته مفتوحًا. في الداخل، كانت الردهة المضاءة فارغة.

صرخت: «بول؟».

ولم يكن هناك أي رد.

قال دواير: «ماذا يحدث؟».

- انتظر.

حدقتْ أماندا إلى الردهة تجاه المطبخ من بعيد، لم يكن الضوء مضاءً هناك لكنها استطاعت الشعور بنسيم قادم من هذا الاتجاه. توجهت إلى هناك، كان الباب الخلفي مفتوحًا على البحر الأسود المتضخم للحديقة.

- الباب الخلفي مفتوح.

خرجتْ وكان من الصعب تحديد الكثير من التفاصيل لكنها كانت ترى الأشجار في الأسفل. كان الظلام هناك مطلقًا.

قال لها دواير: «الضباط في الطريق».

اعتقدت أماندا أنه كان خبرًا رائعًا لأنها كانت تدرك أنها بحاجة إلى المساعدة هنا- أنها لا تستطيع فعل ذلك وحدها. لم تكن هناك أي طريقة مطلقًا كانت ستطأ بها قدمها في تلك الغابة بمفردها. لكن في الوقت نفسه كانت توجد فكرة مختلفة تقضم مؤخرة عقلها، ورغم عدم وجود طريقة يمكنها من خلالها معرفتها على وجه اليقين فإنها بطريقة ما فعلت.

لن يصل الدعم إلى هنا في الوقت المناسب. لبضع ثوانٍ وجدتْ نفسها متجمدة على عتبة السلم الخلفية غير قادرة على التوجه إلى أسفل خلال العشب نحو السواد القاتم في النهاية. كانت ترتجف، ومع أنها كانت ترغب في تحريك جسدها فإنه لم يستجب.

ثم:

قالت لنفسها: **اهدئي.**

أتاها الصوت كالصفعة، وللحظة اعتقدت أنه كان صوت والدها، لكنه لم يكن كذلك.

لم يكن سوى صوتها.

شخص ما يحتاج إليكِ.

نعم، لقد أدركتْ أن هذا ما كان يتلخص فيه الأمر. لم تعدْ تلك الفتاة الصغيرة مستلقية على السرير في منتصف الليل خائفة من الظلام وتنتظر من ينقذها، أصبحتْ هي الشخص الذي ينقذ الناس عندما ينادونها.

قال دواير: «هل أنتِ معي؟».

قالت أماندا: «أنا هنا».

ثم أنزلت الهاتف وتوجهت بسرعة خلال الحديقة نحو الغابة.

42

جثوتُ بين شجرتين لاهثًا أحاول مقاومة الذعر الذي كان يتملكني. كانت الشجيرات غير المرئية كثيفة ومتشابكة حولي، وبالكاد يمكنني رؤية أي شيء.

وكنت ضائعًا.

عندما هربتُ من الرجل أولًا على يقين من أنني كنت سأعود إلى الطريق الذي أتينا منه، لكنْ لا بدَّ أنني أخذتُ منعطفًا خاطئًا في مكان ما، لأنه لم تكن لدي أي فكرة عن مكاني الآن. كانت الغابة مربكة حتى في وضح النهار بصرف النظر عن السواد المطلق الذي وجدتُ نفسي فيه في الوقت الحالي. لم أكن متأكدًا حتى أكنت أتجه نحو القرية أم دفعت نفسي إلى أعماق الغابة.

حافظت على ثباتي واستمعت.

تصدعتِ الفروع عن يميني- ليست قريبة جدًّا ولكنها ليست بعيدة بما يكفي أيضًا. ألقيتُ نظرة خاطفة على هذا الطريق ورأيتُ الضوء يومض بشكل خافت بين الأشجار. كان هناك يفحص الغابة باحثًا عني وبدا كأنه رجل يبحث بمنهجية، إذا بقيتُ حيث كنت فسيجدني.

لكن إذا تحركتُ فإلى أين سأذهب؟

كان العليق يحفر في ذراعي. تحركتُ قليلًا محاولًا التفكير.

اذهب يسارًا بعيدًا عن الضوء كبداية.

بدأتُ في النهوض لكن بعد ذلك سمعت صوتًا...

- لا يمكنكَ الاختباء.

كان رأسي يتحرك يمينًا ويسارًا. جاءت الكلمات من مكان ما بعيدًا عن يساري، وكان بإمكاني رؤية وميض الضوء بين الأشجار في هذا الاتجاه الآن أقرب مما كان عليه من قبل. لكنْ كان من المستحيل عليه تغطية هذا القدر من الأرض بهذه السرعة.

هل كنتُ أستدير أو كان العالم من يفعل؟

- اعتدتُ اصطياد أشخاص مثل الآن من أجل لقمة العيش.

ابتعدتُ عن الصوت والضوء وتحركتُ بحذر وبطء بين الأشجار واضعًا يدي على الجذوع الخشنة وأنا أتحرك ببطء وهدوء وأدعو ألا ينتهي بي الأمر محاصرًا.

كان كل شيء صامتًا لبعض الوقت باستثناء حفيف أوراق الشجر على ذراعي وصوت الانكسار الناعم للعشب المتشابك الذي يفسح المجال حول كعبي.

ثم فجأة انفتح العالم أمامنا. في ثانية واحدة كان ظهر يدي مقابل فرع، وفي الثانية الأخرى شعرتُ كما لو أن الشجرة قد استدارت بعيدًا عني، وبطريقة ما كان الضوء أمامي مباشرة الآن ساطعًا بإشراق بين الجذوع السوداء.

- هأنت ذا.

انطفأ الضوء وغرقتِ الغابة في الظلام.

ثم سمعتُ صوتًا فظيعًا وغاضبًا عندما جاء الرجل نحوي مباشرة. استدرتُ وركضتُ إلى أحد الجوانب وأنا أغوص بعمى خلال الغابة وأشق طريقي بعنف بين الأشجار وأرتد منها، متوجهًا في أي اتجاه يصبح مفتوحًا أمامي. ومع ذلك فأينما ذهبتُ شعرتُ أنني كنت في الواقع أتحرك نحوه، أن الغابة كانت تسحب كلينا أقرب أكثر من أي وقت مضى. وبدت الضوضاء كأنها قادمة من كل مكان.

بصرف النظر عن الطريق الذي نظرتُ إليه لم أستطع سوى رؤية أشكال رمادية لا يمكن تمييزها، وفي كل مرة أستيدر فيها كان المسار الغامض أمامي يبدو مطابقًا للسابق، وكنت محاطًا من جميع الجوانب بصوت تكسُّر الأشياء وطحنها تحت أرجل الرجل الذي يطاردني هنا.

لم أتمكنْ من إيجاد مخرج من هنا بنفسي.

كنت بحاجة إلى...

- بول.

أوقفني الصوت قليلًا. كان يصدر من خلفي وكان بعيدًا جدًّا لدرجة أنني تساءلت أكنت قد تخيلته. ولكن بطريقته الخاصة كان ثقيلًا مثل المرساة، كان صوت امرأة واعتقدتُ أنها جيني لكنْ طبعًا كان ذلك مستحيلًا.

- بول، هل أنت هناك؟

ترددتُ ثم بدأتُ في العودة إلى الطريق الذي أتيتُ منه، لكنْ سمع الرجل صوت المرأة أيضًا. استطعتُ أن أشعر به في مكان ما بعيدًا بين الأشجار على يميني. كان صوت لهاث التنفس الثقيل يصدر من هناك. وبينما كنت أتحرك شعرتُ أنه يقترب.

- بول؟

تسللتُ في البداية متتبعًا الصوت مثل خيط خلال متاهة. تشققتِ الأغصان إلى الجانب وكان الرجل يتعقبني، لكنْ على الأقل كان جانبًا واحدًا فقط الآن. ثم قلَّ عدد الأشجار أمامي ووجدتُ نفسي على الطريق. تحركتُ بسرعة أكبر الآن وما زلتُ أتوقع ظهور الرجل في أي لحظة.

ثم سمعتُ صوتًا مختلفًا من مكان ما خلفي، سمعتُ صوت الرجل مجددًا، ليستْ كلمات هذه المرة بل صرخة بدائية من الإحباط والألم.

بدأت في الجري.

- بول.

تلاشتِ الصرخات خلفي. ولسبب ما لم يكن يتبعني. وأيًّا كانت من تكون المرأة فإن صوتها يرتفع ويقودني للخروج من هناك. ركضتُ أسرع بأقصى ما أستطيع عائدًا نحو جريتن، نحوها، نحو الصوت البعيد المتمثل في اقتراب صفارات الإنذار، وخارجًا من الظلال.

43

لاحقًا

في الصباح الباكر

كان اليوم مشرقًا وواضحًا إذ غادرت أماندا منزلها وانطلقت بالسيارة في رحلة تستغرق نصف ساعة إلى حدائق روزوود. كانت السماء صافية والطرق هادئة. تركتِ الراديو مطفأً وقادتِ السيارة ببطء مقدِّرة الصمت. وكالعادة في هذه الساعة كانت الزائرة الوحيدة للمقبرة. عندما وصلتْ أوقفتْ سيارتها على الطريق المغطى بالحصى ثم شقَّت طريقها الذي تسلكه دائمًا بين القبور هنا.

ربما كانت تتخيل فقط، لكن بدت الأمور مختلفة اليوم. اجتازتِ الأماكن المألوفة المعتادة مثل تلك المُزيَنة بالورد وتلك المحتوية على زجاجة البراندي القديمة والقبر المحتوي على الدمى المحشوة الموضوعة على الحجر. بدوا ظاهريًّا كما هي الحال دائمًا لكنها شعرتْ كما لو كانتْ تراهم بعيون جديدة هذا الصباح. كانت الزجاجة موجودة هناك لفترة طويلة، وأيًّا كان من تركها -من المفترض أن يكون رفيقًا قديمًا للشرب- لم يعد منذ ذلك الحين. وبدت الأزهار النابضة بالحياة كأنها إيماءات حزن أكثر من كونها بادرة شكر وحب. وبقدر حزن ألعاب الطفل فقد كان في وجودها على الأقل نوع من الإقرار. كان وجودها هنا أفضل بالتأكيد من جمعها الغبار في غرفة نوم صغيرة لم يمسها أحد وحُوفِظَ عليها كالمتحف.

وأخبرها كل ذلك بحقيقة أساسية، هي أنها في الماضي كانت تفكر في المجيء إلى هنا لزيارة والدها لكنها أدركت الآن أن هذه لم تكن الحال قطُّ. ذهب والدها، ربما كانت المقابر تُؤوي الموتى تحت الأرض، لكنْ ما كان فوقها دائمًا للأحياء؛ كانت هي الأماكن التي جاء إليها الناس للتعامل مع الفاصل بين ما كانت عليه حياتهم من قبل وما هم عليه الآن. ففي كل الأوقات التي أتت فيها إلى هنا كانت فقط تزور نفسها وعلاقتها بالماضي.

وكيفية فعلها لذلك كان متروكًا لها لتقرره.

وصلت إلى قبر والدها، مربع الجرانيت الصلب الذي يمكن الاعتماد عليه، مع افتقاره إلى العاطفة.

قالت: «مرحبًا أبي، أعلم أنك قلت إنك لا تريدني أن أتحدث إليك أو أي شيء من هذا الهراء، لكنني أخشى أن هذا صعب لأني اشتقتُ إليك».

لم يكن من الحجر رد طبعًا وظلت المقبرة حولها صامتة. لكنَّ الارتياح الذي شعرتْ به كان قويًّا لدرجة أنها بدأت تضحك فعلًا وتحولت إلى دموع بعدها، ووضعت يدها على أنفها.

- اللعنة لكني أفعل، كما تعلم أنا أفتقدك وأنا آسفة لأنني لم أصبح مثلكَ، لكنْ أعتقد أن هذا صعب أيضًا لأن الأمر هو أنني أعتقد أنك ستفتخر بي على أي حال.

توقفت.

- نعم، أعتقد حقًّا أنك ستفعل.

كان هذا كافيًا الآن. وقفتْ هناك تبكي بعضَ الوقت. باتباع لتعليمات أخرى من والدها، لم تسمح لنفسها مطلقًا بفعل ذلك هنا من قبل، لكن كما هي الحال مع كل شيء آخر اعتقدتْ أنه سيتفهم. ربما كان سيومئ برأسه بهدوء مظهرًا موافقته لأنه كان قد ربَّى ابنته لتكون قوية، أليس كذلك؟ لتقف على قدميها وتتخذ قراراتها بنفسها بدلًا من أن تتبع الأوامر. وإذا أرادتِ البكاء فإنها ستفعل ذلك.

اختيارها.

وبالطريقة نفسها لم يكن الرد على نوع ضابط الشرطة الذي صارت تشبهه في حاجة إلى أن يُحكَم عليه مقابل ذلك النوع الذي كان عليه والدها. كانت من النوع الذي باتت **عليه**. وإذا كان ذلك النوع في بعض الأحيان متورطًا جدًّا ومطاردًا جدًّا وغير قادر على حصر الأشياء وإبقاء العمل منفصلًا عن حياته- فليكن.

لكنْ شعرت أنه حتى هذا قد تغير ولوْ على الأقل قليلًا. مرَّ ما يقرب من أسبوع على الأحداث التي وقعتْ في جريتن، وقد راودها الكابوس مرة واحدة فقط بعد يومين من مساعدة بول على الهروب من الغابة. كان الحلم ظاهريًّا هو نفسه كما هي الحال دائمًا لكنه أيضًا بدا مختلفًا. كانت تقف في الظلام وتعلم أن شخصًا ما قد ضاع في مكان قريب، لكنها هذه المرة أدركتِ الحلم على ما كان عليه، وقد هدَّأها الإدراك.

على ما يبدو يمكنك فعل أي شيء تريده في الحلم الجلي، ولكن بدلًا من محاولة إنشاء أي شيء مفصل بدأت أماندا ببساطة في السير في الظلام، لم تفعل ذلك من قبل. وبينما لم تكن لديها أي فكرة أكانت تسير في الاتجاه الصحيح، فإنها على الأقل كانت تتحرك.

لم يعد الكابوس منذ ذلك الحين.

نظرت إلى قبر والدها.

قالت: «أعدكَ أنني سأفعل هذا مرة واحدة فقط».

وازنت الزهور التي أحضرتْها على شاهدة القبر ثم استدارتْ ذاهبةً إلى العمل.

***

لكنْ ليس إلى فيذربانك.

بدلًا من ذلك قرب منتصف النهار قادت سيارتها خلال الريف المثالي المحيط بجريتن، ثم إلى قلب وسطها الرمادي الخافت. مرَّت بالفندق الذي أقامت فيه الأسبوع الماضي ثم دخلت إلى ساحة انتظار السيارات في الحانة

التي أحضرها إليها بول في أول مرة التقيا فيها. في الداخل وجدته جالسًا في المقعد نفسه مثل قبل. ولكنه بدا مختلفًا فقد قُصَّ شعره بدقة وكان يرتدي حلة سوداء أنيقة. كانت هناك جعة نصف منتهية على المنضدة أمامه. حصلتْ على نبيذ لنفسها وانضمَّت إليه وهي تتظاهر بالتحقق من ساعتها.

قالت: «هل يجب أن تشرب بعد؟».

- قطعًا، أنا لست من محبي الخطابة.

- أنت مُحاضر بحق الإله.

- أعرف، لكنْ في الوقت الحالي على الأقل.

ثم أشار إلى الجعة قائلًا: «ولم تشتري لي حتى مشروبًا».

ابتسمت. كان من الغريب بالنظر إلى المرات القليلة التي التقيا فيها أنها شعرتْ بالراحة في رفقته كما فعلتْ. ربما كانتْ مجرد حالة كونهما مرتبطين بالأحداث ، لكنها كانت معجبة به أو على الأقل كانت معجبة به بما يكفي لعدم الضغط عليه بشأن كل ما حدث فعلًا هنا في جريتن.

على أحد المستويات كان ذلك بسيطًا بما فيه الكفاية- فوضويًا بطريقته الخاصة، لكنه لا يزال واضحًا نسبيًا. ربط الطب الشرعي دين برايس بجرائم قتل بيلي روبرتس وإيلين وجيمس داوسون. بعد أن فقد صوابه نتيجة مقتل ابنه بدا أن برايس قد شرع في اكتشاف حقيقة اختفاء تشارلي كرابتري. ولحل المشكلة بطريقته الخاصة. عرفتْ أماندا المزيد عن تاريخ برايس في الجيش الآن والأشياء التي فعلها وتسريحه من الخدمة والطريقة التي كافح بها للعثور على هدف مرة أخرى في الحياة المدنية. ساعد ابنُه مايكل على توفير ذلك، وعندما فقده تحطم شيء بداخله.

عُثِرَ على جثة برايس في أعماق الغابة في صباح اليوم اللاحق لخطفه بول. في أثناء مطاردته من خلال الأشجار لوى برايس كعبه. ويبدو أنه حاول بعد ذلك الابتعاد أكثر بين الأشجار قبل أن يتخلى في النهاية عن الأمل في الهروب. كانت أماندا قد شاهدت صورًا لمسرح الجريمة الذي اكتشفه الضباط بعد شروق الشمس في صباح ذلك اليوم التالي. رجل مثل برايس لن يسمح

لنفسه بالقبض عليه إلا أنه قد عُثِرَ عليه جالسًا على الأرض وظهره مواجه لقاعدة شجرة ومعصماه مقطوعان والشجيرات من حوله غارقة في الدماء.

أُغْلِقَتِ القضية.

باستثناء أنه كان هناك الكثير من الأسئلة التي لا تزال قائمة. ما زالت لا تعرف سبب عودة كارل داوسون إلى جريتن، أو ما الذي تحدث عنه هو وبول في الملعب القديم في ذلك اليوم. ومن المؤكد أن أساليب دين برايس لا تتناسب مع العلامات التي تُرِكَتْ على باب والدة بول أو الدمية التي أُرسِلَتْ إلى المنزل. وبينما تُتُبِّعَ حساب CC666 إلى كمبيوتر جيمس داوسون فإنها لم تفهم لماذا أرسل الرسائل التي كانت بحوزته، أو كيف حصل على صورة لمذكرات أحلام تشارلي كرابتري.

كل هذا يعني أنها كانت متأكدة تمامًا من وجود شيء آخر يحدث هنا كانت لا تعرف عنه. لكنْ لم يكن كارل ولا بول مستعدين لمناقشته. لقد حافظا على صمتهما تاركين لها أجزاء من اللغز لم تستطع وضعها في مكانها.

لكنْ ربما قررت وهي تحتسي نبيذها الآن أن الأمر لا يهم بالضرورة. فبعد كل شيء كانت لديها إجابات عن الأسئلة التي تحتاج إليها. وبينما هي لم تكن والدها فقد شعرت بأن كل ما يُخفَى عنها هنا هو شيء قد يكون من الأفضل تركه بمفرده لمصلحة الجميع.

قال بول: «لماذا أردتِ مقابلتي اليوم؟».

قالت: «للدعم المعنوي، ألَمْ تعرف؟ بمجرد أن تنقذ حياة شخص ما فأنت مسؤول عنه إلى الأبد».

رفع حاجبه تجاهها.

قالت: «حسنًا، أعترف أن هذا مستوى من المسؤولية ربما لستُ قادرة عليه. في الواقع كان لدي سبب آخر أيضًا».

مدَّتْ يدها وأخرجتْ ملفًا صغيرًا من حقيبتها.

قالت: «القصة التي أخبرتَ بها دين برايس في تلك الليلة حول كون شقيق هيج مسؤولًا عن قتل تشارلي كرابتري».

- لقد اختلقتُها.

- نعم، لقد قلتَ ذلك وبصراحة لا أقصد الإساءة لكننا فحصناها، وكان شقيقه يُدعى ليام وكان لا يزال في السجن في ذلك الوقت.

- كنتُ أحاول فقط التفكير في أي شيء يمكنني التفكير فيه.

- وأنا أصدقك.

وضعت أماندا الملف على الطاولة بينهما مدَّته إليه.

قال: «ما هذا؟».

- حصلتُ عليه بالأمس. افتحه.

نظر إليها لحظةً ثم إلى أسفل في الملف. عندما فتحه رأى الصورة الوحيدة بالداخل. كانت مقلوبة من منظوره، لكنه كان قد حدق إليها فعلًا بما يكفي لاستيعابها من أي زاوية، الملابس الممزقة والعظام القديمة المنتشرة نصف ملفوفة في الشجيرات والجمجمة العارية التي تدحرجت إلى أحد الجوانب.

التُقِطَت الصورة في الصباح نفسه إذ عُثِرَ على جثة دين برايس، على بعد مسافة قصيرة فقط من المكان الذي كان يرقد فيه. أُكِّدَتِ الهوية الرسمية في وقت متأخر من يوم أمس، وأرسلها إليها دواير على سبيل المجاملة. وأرسلتْ أماندا بدورها رسالة نصية إلى بول لترتيب لقاء اليوم للسبب نفسه بالضبط.

لم يزل ينظر إلى الصورة.

- هل هذا...؟

قالت: «نعم إنه تشارلي كرابتري».

استمر في التحديق وتساءلت عما كان يفكر فيه. كيف سيكون شعوره وهو يرى ذلك بعد كل هذا الوقت؟ لمعرفة أن كابوسًا دام ربع قرن قد انتهى أخيرًا؟ كان من الصعب تخيُّل ما يدور في رأسه.

قالت: «لا ينبغي أن أريك هذا بالمناسبة لكنني اعتقدتُ أنك قد ترغب في معرفة الأمر، وأنكَ تستحق أن تعرف».

نظر إليها أخيرًا، ورأت الكثير من الشعور على وجهه لدرجة أنه كان من المستحيل تفسير معظمه.

كله ما عدا واحدًا.

ذكَّرها الارتياح الذي رأته على وجهه بما شعرتْ به في المقبرة أول شيء في ذلك الصباح.

قال: «شكرًا لكِ».

44

كانت والدتي من أخذتني إلى محطة القطار.

كان والدي في الواقع هو من أوصلني، لكنه لم يكن سوى وجود بعيد في حياتي بحلول ذلك الوقت، وكان قد ذهب في هذه الرحلة الأخيرة معي تقريبًا على مضض. وظل في السيارة عندما وصلنا إلى هناك. كان من المفترض أنه أراد المكوث لمراقبة حراس المرور لكنَّ كلينا عرف أن السبب الحقيقي هو أنه لم يكن لدينا ما نقوله لبعضنا، وكان من الأسهل نسيان وداع في السيارة أكثر من نسيان وداع على رصيف المحطة. كانت والدتي من رافقتني إلى الداخل وانتظرت معي، ولذا فإنني دائمًا ما أفكر فيها على أنها من أخذتني إلى هناك في ذلك اليوم.

كانت لديَّ حقيبة ظهر مملوءة وحقيبة ثقيلة، كانت الأخيرة على عجلات أحدثت ضجة في المحطة في حين كنا نشق طريقنا خلال حشود الركاب. أتذكر طنين لوحات مواعيد المغادرة ووميضها في أثناء تحديثها فوقنا، ويصدر من مكبرات الصوت رسائل مشوشة متقطعة. وتردد في كل مكان صدى الصوت المختلط للمحادثات على الجدران. في تلك المرحلة من حياتي لم أكن قد ركبتُ قطارًا من قبل، ووجدتُ الأحاسيس غامرة تقريبًا. أتذكر أنني كنت متوترًا وخائفًا أيضًا.

وهذا ما لم أقله.

لم نتحدث أنا وأمي حتى وصلنا إلى الرصيف، كان موعد القطار في غضون بضع دقائق ووجدنا مكانًا في الظل للانتظار.

قالت: «هل لديك تذكرتك؟».

كنتُ أرغب في إلقاء نظرة عليها تظهر أنني أبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا الآن ولست أحمق، لكن في تلك اللحظة وجدت نفسي أتذكر رحلة مختلفة قمنا بها معًا، عندما كنتُ أبدأ في مدرسة جديدة وسألتني شيئًا مشابهًا. لم يكن السؤال لمصلحتي في ذلك الوقت وأدرك جزء مني أنه لم يكن الآن أيضًا- أنها كانت تطرح السؤال لطمأنة نفسها.

قلت: «نعم».

قالت: «طبعًا لديك، أنا آسفة».

بدا اعتذارها صادقًا حقًّا لكن يمكنني القول إنها كانت مشتتة أيضًا وتتملكها طاقة توتر. كانت هذه هي الطريقة التي يتعامل بها الناس عندما يكونون قلقين بشأن شيء مهم خارج عن سيطرتهم.

فكرت **أنه لا يوجد داعٍ لأن تكون آسفة**

ولكني لم أقل ذلك.

أتذكر أنني كنت خائفًا لكنِ الحقيقة الصادقة هي أنني كنت متحمسًا أيضًا. كانت السنوات القليلة الماضية صعبة للغاية بالنسبة إليَّ، من المهم عدم المبالغة في الأمر طبعًا، وفي المناسبات القليلة التي فكرت فيها حول جريتن على مر السنين -في تلك اللحظات القصيرة التي نسيتُ فيها أن أنسى- كان دائمًا بهذه الشروط المحددة للغاية وهي ما حدث عامةً وليس ما حدث لي **وحدي**، لأنني كنت أعرف في ذلك الوقت وأعرف بشكل أفضل الآن أن الآخرين عانوا أسوأ بكثير مما عانيتُ، وأن المأساة بحق تخصهم أكثر وبالأخص جيني تشامبرز طبعًا.

ومع ذلك فمثل الكثيرين منَّا كنت جزءًا من تلك القصة وكنتُ مُطاردًا بالدور الذي أديتُه، وإن كان عن غير قصد في ما حدث. إن معرفة الأشياء التي فعلتُها وما لم أفعلها قد طغت على حياتي منذ ذلك الحين. كنتُ منتظرًا على

الرصيف في ذلك اليوم ولم تكن لديَّ أي فكرة عما يخبئ لي المستقبل، فقط أنني كنت أترك ورائي أشياء أكثر بكثير من جريتن نفسها.

قالت والدتي: «سيحلُّ عيد الميلاد قبل أن تدرك».

- أعلم.

لقد أمضيتُ العامين الماضيين في الادخار. كنت أعمل في مكتبة وعملت بأي وظائف غريبة في المنطقة يمكنني أن أناسبها بين دراستي. كان تركيزي الذي بالكاد أعترف به لنفسي شبيهًا بالليزر، وبينما كان فعلًا سيحلُّ عيد الميلاد قبل أن أدرك فإنني علمت أيضًا أنه ليست لديَّ أي نية للعودة إلى الوطن عندما يحل.

وهذا ما لم أقله.

نظرتُ إلى الأعلى لأرى القطار يصل، كان سيارتين متهالكتين تتحركان ببطء نحونا، لونهما أزرق في الأعلى وملطختين بطين أسود في الأسفل كما لو كانا يمشيان إلى هنا خلال حقول موحلة. في أعلى الرصيف كان الناس يحملون حقائبهم فعلًا. تقدمتُ إلى الأمام وشعرتُ أنني بحاجة إلى الصعود على الفور وإلا فقد أضيِّع فرصتي وسيغادر القطار من دوني. ولكن عندها وضعتْ أمي يدها على ذراعي، وعندما نظرتُ إليها استطعتُ أن أقول من التعبير على وجهها إنها تعرف فعلًا ما لم أقله بصوت عالٍ. أنها لن تراني مرة أخرى لمدة طويلة وأنها قد تصالحت مع الأمر.

قالت بهدوء: «أحبك يا بول، اعتنِ بنفسك».

- سوف أفعل.

- وبحق الإله عانق والدتك.

أنزلت حقيبة ظهري، لا أعرف عدد السنوات التي مرَّت منذ أن احتضنتُ والدتي لكنني أتذكر أنني تفاجأتُ بمدى ضآلتها وهشاشتها. عندما ابتعدنا عن بعضنا مجددًا وضعتْ يديها على جانبي ذراعي ونظرتْ إليَّ للتأكد من أني بخير.

- لقد أصبحتَ طويلًا جدًّا.

لم أكنْ أعرف ماذا أقول لذا لم أقل شيئًا. ازدحم القطار خلفي، وربَّتت والدتي ذراعي ثم تركتني.

قالت: «فقط عدني بأنك ستعتني بنفسك».

- سأكون بخير يا أمي.

ابتسمتْ.

- أعلم أنك ستكون.

بمجرد أن صعدتُ إلى القطار وجدتُ مقعدي، وهي انتظرتْ على الرصيف لتودِّعني. لم أفهم في ذلك الوقت ما كان يدور في رأسها، ومن الواضح أنني ما زلتُ لا أعرف على وجه اليقين، لكنْ على الأقل لديَّ فكرة الآن.

كانت تفكر في أنني سأصبح كاتبًا.

لأنه كانت هناك قصة خاصة بي لم أرِها إياها من قبل، لكنها وجدتها وقرأتها على أي حال. وبينما كانت حزينة لرؤيتي أغادر فإنني أعتقد أنها كانت سعيدة أيضًا لأنني كنتُ أتوجه إلى العالم وأهرب من الماضي وأتقدم إلى حاضر مختلف دون حتى إلقاء نظرة خاطفة خلفي. فمهما كان الأمر مؤلمًا فهذا ما على جميع الآباء الجيدين فعله في النهاية. أعتقد أن ما حدث قد رفع ستار الصمت بيننا، وهذا ما جعل من المستحيل قول أشياء معينة بصوت عالٍ.

أحب أن أعتقد أنهم لم يكونوا بحاجة إلى ذلك.

لم تقل **إنها فخور بي وأنها تتفهم.**

وأنا لم أجب **بشكرًا لكِ وأنا أحبكِ.**

توقفتُ مؤقتًا ورفعتُ نظري عن ملاحظاتي.

بمساعدة سالي تمكنتُ من التحدث إلى العديد من أصدقاء والدتي في الأيام التي تلت وفاتها، وكنت قد اكتشفتُ أن المعتقد الديني السطحي الذي انتحلتْه طوال حياتها قد ازدهر في السنوات الأخيرة. لذلك اتُّخِذَ القرار من

أجلي أن الجنازة يجب أن تكون في الكنيسة. تبدو المساحة أمامي الآن كهفية، ومع ذلك كان كل ممر ممتلئًا. حُشِرَتْ صفوف وصفوف من الناس كتفًا إلى كتف كما لو أن الجميع على بعد أميال من جريتن قد استُدعوا هنا بشيء من الإحساس بالواجب للالتقاء معًا وتوديعها.

عندما كنتُ جالسًا هناك في وقت سابق في انتظار بدء مراسم الجنازة، كان يتردد صدى كل حركة وسعال خلفي. الكلمات التي قلتها للتو فعلت الشيء نفسه الآن.

شكرًا لكِ وأحبكِ.

ألقيتُ نظرة خاطفة من حولي كان الظلام يعمُّ الكنيسة، والحشد أمامي مضاءً بأشعة الشمس المنبعثة بضعف من خلال النوافذ ذات الزجاج الملون في الأعلى. لكني رأيت بعض الوجوه المألوفة بين الغرباء، إذ كانت سالي تجلس بالقرب من المقدمة مع بعض الأصدقاء الذين التقيتهم لاحقًا، وكان كارل هنا جالسًا في نهاية ممر باتجاه الأمام، ورغم كل ما حدث فقد كان يرتدي ملابس رسمية والألم الذي كان يشعر به مكبوتًا في الوقت الحالي وتركيزه على الصراع الذي يكمن أمامه الآن، توديع شخص كنت على يقين أنه كان يحبه.

كانت أماندا هناك بالقرب من الجزء الخلفي من الكنيسة.

انتقلتْ نظرتي منها إلى كارل وأنا أفكر في ما قالته لي قبل ساعة. عُثِرَ على تشارلي وهكذا انتهى هذا الجزء من القصة. لم أكن أعرف أكانت هناك أسئلة يجب الإجابة عنها بشأن هذه النتيجة. سوف أتعامل معها إذا كان الأمر مهمًّا. لكن بعد الحريق الذي أشعلتُه أخيرًا قبل يومين علمتُ أنه لا يوجد شيء الآن يربط والدتي بما حدث. وفي الوقت الحالي اعتقدتُ أنني رأيتُ على وجه كارل القناعة نفسها التي شعرتُ بها في قلبي الآن. لم تكن هناك حاجة إلى الحديث عن مثل هذه الأشياء إلا إذا اضطررنا إلى ذلك، فلقد خسر الجميع ما يكفي فعلًا.

وأخيرًا رأيتُ ماري.

لقد وجدتْ مقعدًا في نهاية أحد الصفوف الوسطى من الكنيسة، وابتسمتْ عندما رأتْني ألاحظ وجودها. ذهبتُ إلى المكتبة أمس آخذًا معي كتابًا قديمًا وهي رواية «**شعب الكابوس**». كان موضوعًا على الرفوف المقابلة لطاولة الدفع لكنْ دون سعر مكتوب بالقلم الرصاص من الداخل. لقد اقترحتُ على ماري أنه إذا وجدها شخص ما وأرادها فعليه أن يأخذها فقط، وقد اتفقت معي.

ثم ساعدتُها في تفريغ طلبية تمامًا مثل الأوقات القديمة، وقد قالتْ شيئًا آخر بصراحة قليلًا.

أتعلم.. لن أتمكن من فعل ذلك لمدة أطول يا بول.

كنت لا أزال أفكر في الأمر عندما تحدثتُ إلى أماندا في وقت سابق، قلت إنني كنتُ محاضرًا في الوقت الحالي، لأنه مع أنني لم أتخيل ذلك مطلقًا قبل أسبوع فإن جزءًا مني كان يصور فعلًا لافتة مختلفة فوق هذا المتجر، لا يزال اسم جونسون وروس موجودًا طبعًا -من المهم أن تتذكر من أين أتيت- لكنْ لا يبدو من المستحيل أن تضيف لافتة جديدة اسمًا مختلفًا أيضًا، فبعد كل شيء لقد شعرتُ دائمًا كأنه منزلي.

كان شيئًا يستحق التفكير فيه.

لكنْ في الوقت الحالي نظرتُ إلى أسفل.

قلتُ: «القصة التي كتبتُها والتي قرأتْها أمي، لقد كانت غبية. كان الأمر يتعلق بعودة شخص ما إلى منزله للمرة الأخيرة، وتوقفتِ القصة قبل أن يصل إلى هناك فعلًا، لأنني لم أكنْ أعرف كيف أنهيها، وما زلتُ لا أعرف. كل ما أعرفه هو ما حدث عندما عدتُ».

ثم تحدثتُ قليلًا عما علمته عن والدتي منذ عودتي إلى جريتن، لم يكن هناك الكثير، لكنْ كان هناك القليل على الأقل. الأصدقاء الذين لم أعرفهم حتى الآن وشغفها بالقراءة الذي اكتشفتَه لاحقًا في حياتها والأشخاص الذين كانت تهتم بهم والذين بدورهم اهتموا بها.

عندما انتهيتُ نظرتُ إلى التابوت بجانبي، وتذكرتُ كل الصور التي رأيتُها. تلك عندما كانت صغيرة بلا حراسة وتضحك بفرح، الحياة أمامها مليئة بالإمكانات. ومع أنني لم أكن رجلًا متدينًا فإنني وجدتُ نفسي أتساءل أكانت تحلم بأي شيء الآن.

قلتُ: «احظي بنوم جيد».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الظلال
THE SHADOWS

مراهق مثل تشارلي كرابتري بمخيلته المظلمة الشنعاء وابتسامته الشريرة، وكونه لا ينتمي إلى أي مجموعة أصدقاء، سيشتبه بعضكم في أنه قد يكون قادرًا على فعل أمرٍ مروع. وبالفعل، فعل كرابتري ذلك قبل خمسة وعشرين عامًا، فقد ارتكب جريمة قتلٍ صادمة جدًّا لدرجة أنها اجتذبت الناس لذلك النوع الغريب من السلوك الشائن الذي لا يوجد إلا في أحلك أركان الإنترنت. وألهمَ أكثر من جريمة قتل مقلدة لتلك التي ارتكبها.

يتذكر بول آدامز القضية جيدًا: كرابتري وضحيته أحد أصدقاء بول. استجمع بول شتات حياته ببطء مرة أخرى، ولكن الآن بدأت حالة والدته المسنة -التي تعاني الخرفَ- في التدهور. وعلى الرغم من أن كلّ جزء منه يقاوم، فإنه قد حان الوقت للعودة إلى المنزل.

لن يمضي الكثيرُ من الوقت حتى تبدأ الأمور في السوء. يعلم بول أن المحققة أماندا بيك تحقق في جريمة قتل مُقلّدة، هزت شوارع بلدة فيذربانك القريبة. والدته قلقة وتصرُّ على وجود شيءٍ ما في المنزل. ويطارده شخص ما. وتلك الأحداث السابقة لم تقم بشيء سوى تذكيره بأكثر الأمور المضطربة التي تخص ذاك اليوم المروع منذ خمسة وعشرين عامًا.

لم يكن الأمر يخص جريمة القتل فقط ولكن حقيقة أن تشارلي كرابتري لم يُرَ مرةً أخرى بعدها.

telegram @soramnqraa

غلاف: عبد الرحمن الصواف

470 يوم
غزة

عصير الكتب

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb